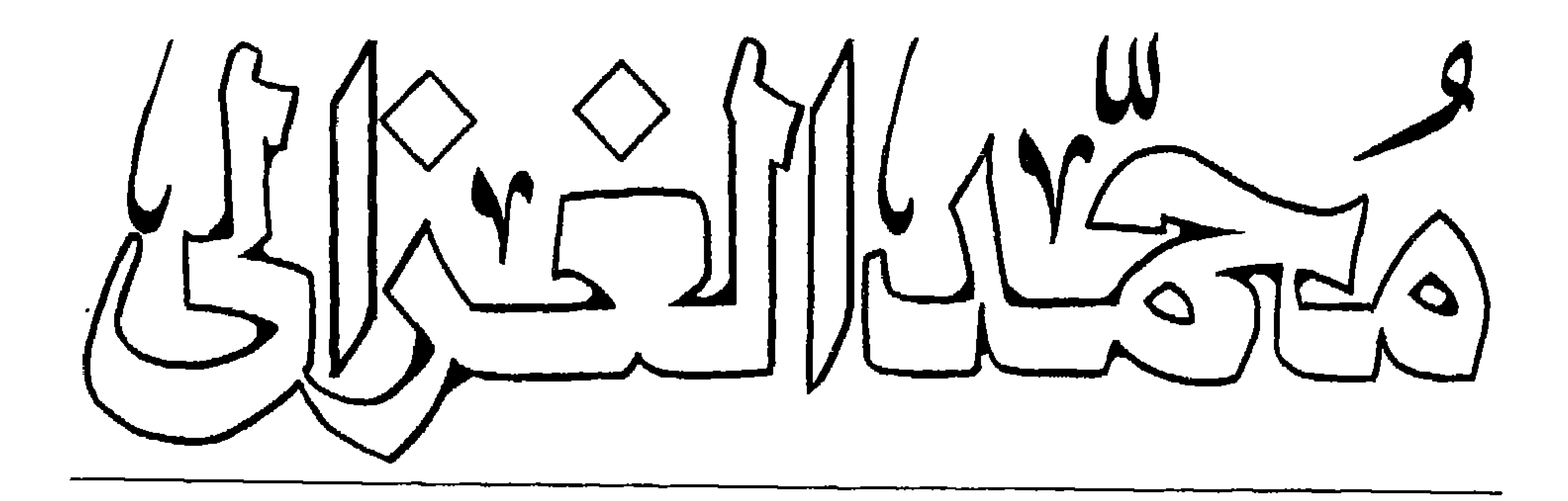

محمد الغزالي
16
الجرعات الأخيرة من
الحق المر
«الجزء السادس»
نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع



الجرعات الأخيرة من



الجزء السادس

طبعة جديدة ومنقحة

16



اسـم الكتـاب: الجرعات الأخيرة من الحق المر (الجزء السادس).
المـؤلـف: الشيخ/ محمد الغزالى.
إشراف عام: داليا محمد إبراهيم.
تاريخ النشر: الطبعة الخامسة - إبريل 2006م.
رقم الإيداع: 2003 / 1633
الترقيم الدولى: ISBN 977-14-2061-5

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابى - المهندسين - الجيزة
ت: 3466434(02)-3472864(02) فاكس: 3462576(02) ص.ب: 21 إمبابة
البريد الإلكترونى للإدارة العامة للنشر: Publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: 8330287 (02) - 8330289 (02) - فاكس: 8330296 (02)
البريد الإلكترونى للمطابع: Press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسى: 18 ش كامل صدقى - الفجالة - القاهرة - ص. ب: 96 الفجالة - القاهرة.
ت: 5909827 (02) - 5908895 (02) - فاكس: 5903395 (02)

مركز خدمة العملاء: الرقم المجانى: 08002226222
البريد الإلكترونى لإدارة البيع: Sales@nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طريق الحرية (رشدى)
ت: 5462090 (03)
مركز التوزيع بالمنصورة: 47 شارع عبد السلام عارف
ت: 2259675 (050)

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com
موقع البيع على الإنترنت: www.enahda.com

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

ربما اعتمدت وسائل الإعلام الحديث على الصورة الساخرة أو الخبر الموجَّه أو التعليق السريع . . فإن القارئ المعاصر يشغله عن الإسهاب ما هجمت به الحياة من تعقيدات وهموم . .

ولما كنت واحدًا من الذين يحملون أعلام الدعوة ويرابطون على ثغور الإسلام فإنى أخذت أرمق كل حركة مريبة تصدر عن خصومنا - وما أنشطهم فى هذه الأيام - لأنبه خطوط الدفاع المترامية ، وأدفعها لاتخاذ الأُهْبة ولزوم اليقظة .

وأعداؤنا لهم باع طويل فى الفكر السيئ ، والإساءة إلى الرسالة الخاتمة ، وتاريخهم امتداد لماض مليء بالغارات ، وهم فى هذه الأيام يضمّون إلى الحروب الساخنة غزوًا ثقافيًا كثير الشُّعب ، مَخُوف العواقب!

ومن هنا كانت كلماتنا ذات موضوعات شتى ، تستمد سطورها من الواقع ، وتعتمد على إثارة الوعى الكامن فى أفئدة المؤمنين ، وحسبها أن تكون كضوء البرق الذى يكشف الظلام ، ويوضح الطريق . .

إنها كلمات قصار لكنها فواتح لمعانٍ جمة عند أولى الغيرة على دينهم وأمتهم .

أحيانًا تتناول القيم ، والأخلاق ، والتاريخ ، والفقه وأحيانًا تغوص فى واقعنا الحىِّ لتشد أزر المجاهدين فى سبيل الله ، وتحق الحق وتبطل الباطل ، وجماهير المسلمين - فى يومهم الحاضر - بحاجة إلى هذه اللفتات ، فإن مناسباتها إن مضت تكررت على مرِّ الأيام ، حتى لتحسب أن ما يتمخض عنه الغد صورة لما كان بالأمس ، وتدبر قوله تعالى : ﴿ **كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ** ﴾ (١) .

وستظل كلماتنا - بتوفيق الله - وميضًا يبرق بالإيمان ، ويحامى عن الحق .

وفى هذا الكتاب حصاد لثمرات القلم خلال عامين حافلين بالأحداث ، أرجو أن تكون منه عبرة تنفع المؤمنين .

محمد الغزالى

---

(١) البقرة : آية ١١٨ .

القسم الأول



حقوق الله ثم حقوق الإنسان

يعلق بذهنى من أيام الصِّبا ما قرأته فى الصحف عن سقوط الحكومة المصرية القائمة ، بعد اكتشاف حادثة تعذيب شائنة فى مركز البدارى بمحافظة أسيوط ، الرئيس الذى سقط هو إسماعيل صدقى ، والرئيس الذى أتى هو عبد الفتاح يحيى ، وكان ذلك كله فى أيام النظام الملكى السابق .

كان اشمئزازنا كبيرًا لما وقع ، واشتد غضبنا لعدوان الشرطة على سجين مستضعف وقلنا : لعل ذلك لا يتكرر أبدًا .

وذهب النظام الملكى ، وحل محله نظام جمهورى شعبى وفى يوم ما ، ذاع أن بضعة وعشرين شابًا من الإخوان المسلمين قُتلوا فى سجن طرة ، حصدهم الرصاص فى ساعة من نهار ، وأمر بدفنهم سرًا ، ولم يسقط وزير ولا خفير!!

وفى ظل الرعب السائد كانت العيون مفتوحة من الدهشة ، والأفواه مغلقة من الجبن والناس يمشون متخاذلين فى معركة الخبز ، أما معركة الحرية فلا حديث عنها ، فقد نُسيت أنباؤها مع لباس الجوع والخوف الذى ارتدته مصر .

لقد بلوت من خديعة العناوين ما أفقدنى الثقة بها .

ليست القصة فى نظرى عنوان الملكية أو الجمهورية ، وإنما القصة ، ماذا تملك الأمة من حريتها؟ وماذا تستطيع أن تواجه به حكامها؟ .

أعرف معرفة اليقين أفكارًا هدمت فيها مدن على رءوس أصحابها ، ومات عشرات الألوف تحت الأنقاض ، وسدنة نظامها الجمهورى يبتسمون وينتفخون!!

وأعرف عشرات الأطفال والكهول صعقتهم الغازات الخانقة وهم لا يملكون حولاً ولاقوة ، بينما حديث القتلة عن الحريات لا يخفت .

إن خداع السياسة وضجيج الأذناب يعفيان على الحقائق ويجعلان الليل نهارًا والظلم عدلاً .

الغريب المفزع أن أكثر من ذلك يقع فى العالم الإسلامى ، العالم الذى يحلم بالحرية فلا تتحقق لها رؤيا . . ويسمع بأخبارها فى بقية الدنيا فيشتاق ويتلفظ ثم يقلد يائسًا .

إن عددًا من الدعاة الإسلاميين فقَد الإحساس بقيمة الحرية السياسية والفكرية ، وضرورة توفير العناصر التى تغذيها وتنميها ، وفقد الوعى بأن حقائق الإيمان فى غياب الحرية تضؤل وتنكمش حتى تختفى من الحياة ، وربما تحولت بعد إلى كفر وإلحاد .

إن الإيمان بالله فى ظل الاستبداد السياسى كثيرًا ما يتحول عن معناه ومجراه ليكون لونًا من الشرك القبيح .

وقد رأيت عددًا من الإسلاميين فى فتنة الكويت والعراق يرسل أحكامًا مستغربة ، أو يطلق صيحات مستهجنة ، إن دلت على شيء فعلى أنه لا يعرف رسالة الدين بين الناس ، ولا وظيفة أصحاب السلطة فى خدمة الجماهير .

أريد أن أقول للمسلمين فى كل مكان : إن تخلفنا الحضارى جريمة ، نحمل نحن عارها ولا يحمله الآخرون عنا .

وإن الأخطاء أو الخطيئات التى ارتكبها المسلمون داخل أرضهم هى التى استدعت القوات الأجنبية للمجيء من الخارج ، وإن العلاج ليس فتوى مضحكة بإعلان الجهاد ، وإنما هو إعادة ترتيب البيت كله ، ليعود للعقل الإنسانى مكانه وللخلق الإنسانى مكانه .

إن دين الفطرة لا وجود له فى بلاد تحيا على التصنع والتكلف والمراءاة والكذب .

إنه عندما تنوسيت عمدًا حقوق الله تبخرت فورًا حقوق الإنسان .

* * *

رأس السنة ومستنقع الشهوات

لم أكن أظنْ المعصية فادحة الثمن إلى هذا الحد ، إن سعرها المعجل باهظ ، أما نتائجها المؤجلة فلا يعلم جسامتها إلا الله . .

قرأت هذا الخبر الذى يصف واحدًا من أحفال رأس السنة الميلادية ، ثم استولى عليّ فكر عميق ، الخبر يقول : فى رأس السنة الأسعار دون دعم ، زجاجة الويسكى بـ ٣٤٠ جنيهًا ، والعشاء بـ ٢٥٠ جنيهًا .

زجاجة خمر واحدة تشترى بثلاثمائة وأربعين جنيهًا؟ إن هذا المبلغ تشترى به ستة آلاف وثمانمائة رغيف!

حلوف واحد يحتسى شرابًا من الإثم يكفى ثمنه لإطعام قرية من الفلاحين؟ لماذا قلت حلوفا واحدا؟ قد تكون معه أنثى يتبادلان السكر ويستمعان إلى الأغنية الشهيرة كلما قلت له : خذ . . قال : هات .

والعشاء المقدم فى هذا الحفل المائج ثمنه ٢٥٠ جنيهًا ، إن مرتب ستة من خريجى الجامعة . . يستقبلون به الحياة بعد كدح طويل ، يتجرعه هذا التائه فى مساء أسود .

والنساء الحاضرات قد انسلخن من الفراء الذى كان على أجسادهن ، فأمسين لحمًا يتاجر فيه الشيطان من عالم الجن أو الإنس . وتوجد قطع من ثياب بقيت لأمر ما ، لكن هذا الأمر ليس ستر العورات على كل حال .

أما العطور فقد قال الراوى . . إنها تدوخ من يشمها ، ونظر المدعوون والمدعوات إلى راقصة تجيد فن الأفاعى فى الالتواء والامتداد .

قال الراوى : كانت الفتاة الراقصة تصدر أصواتًا أثناء الرقص انزعجت لها الزوجات وذهل لها الأزواج .

وانطفأ النور فى منتصف الليل ثلاث دقائق ، وفق تقاليد الاحتفال بانتهاء سنة واستقبال أخرى ، وكان الجميع على موعد مع هذه الظلمة المفتعلة ليعبث الذكور وليأتى النساء ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن .

إن عيسى وموسى ومحمد وسائر الأنبياء عليهم السلام يرفضون هذه المآسى أو هذه المعاصى جملة وتفصيلاً ، إن الأندية والفنادق فى هذه الليلة الحمراء تتحول إلى غابات طافحة بالكفر والفسوق والعصيان .

وأنا أعرف أن الحضارة الغربية لا تنظر إلى السماء ولا تفكر فى آخرة ، لكنها حضارة منتصرة ، وللنصر نشوة قد تفقد ذوى الألباب عقولهم إلى حين .

وسؤالى إلى العرب المهزومين والمسلمين المقهورين ، ما أقحمكم فى هذه الأحفال؟ ما حملكم على المشاركة فى أرجاسها ومباذلها؟ .

لماذا رضيتم بفقدان الشرف والأَنَفة؟ وخنعتم لما نزل وينزل بكم من خزى؟ إن الشباب الناضر فى فلسطين يدفن حيًا أو تدق عظامه كلها حتى يبقى حيّا كميت .

إن معركة الإسلام مع الشيوعية فى أفغانستان استنفدت ألوف الشهداء ولا تزال تطلب المزيد .

إن دينكم ودنياكم معًا يتهددهما الابتزاز والاغتصاب والكساد والجفاف ، وصنوف من الهوان المادى والأدبى لم تعرف فى هذا العصر الكالح بين أتباع دين آخر! .

ماذا فعلتم بماضيكم وتراثكم؟ ماذا تفعلون بحاضركم وقضاياكم؟

إذا رقص المنتصر وانتشى رقصتم معه وفقدتم وعيكم ، وأنتم مغلوبون على أموركم فى ميادين العلم والإنتاج وشئون الحياة كلها .

ما أصدق قول القائل فى كل واحد منكم :

بعتُ دينى لهم بدُنياىَ حتَّى . . . . . . سَلَبونى دُنياىَ مِن بَعدِ دِينى

* * *



مأساة مصرى فى الخارج

لابد أن العربى المخلص سوف يشعر بالوحدة عندما يقضى أيامًا أو أعوامًا فى ربوع الولايات المتحدة! خصوصًا العربى النابه فى ميدان العلوم الطبيعية والكيمائية ، إنه سيكون هدفًا لمؤامرات الصهيونية العالمية ، ترقبه وتختله لتقضى عليه إن استطاعت .

وقد طاردت الدكتورَ المشَدَّ حتى أجهزت على حياته ، كما اغتالت فتاة أخرى بدا عليها النبوغ وهى تعمل فى الميدان المحظور على العرب .

إن اليهود فى أمريكا هم الجنس المدلل ، وقد استطاعوا فى صمت أن يضعوا أصابعهم على مراكز التوجيه العلمى والإعلامى كما أن قدراتهم المالية مزدهرة أو طاغية .

أما العرب فقد أفلت منهم قلائل إلى مواقع علمية أو عملية حساسة ، أفلتوا وأيديهم على قلوبهم من المستقبل الغامض ، ففى هذه الولايات المتحدة يسمع العرب أن جنسًا طفيليًا يجب أن يزول «وادفع دولارًا تقتل عربيًا»!

ويؤلف الحاخام (كاهانا) كتابًا عنوانه «شوك فى عينيك» أى أن العربى شوكة فى عين الإسرائيلى ، لا راحة إلا بإزالتها ، فهل يستغرب أحد مقتله ، وهو يشرثر بهذه الإهانات والتهديدات؟ ذلك ما فعله «سيد نصير» المصرى الأصل والمتجنس بالجنسية الأمريكية .

وبين يدى الآن قصة محزنة للأستاذ الدكتور عبد القادر حلمى كبير علماء أبحاث الدفع الصاروخى بشركة «إيروجيت» للنفاثات الجوية .

والدكتور عالم واسع الخبرة ، دميث الخلق مستقيم السيرة ، وما وصل إلى منصبه إلا بكفاءته الرحبة ، وفجأة قبض عليه متهمًا بالمساعدة على تهريب مواد محظورة إلى دول أجنبية! والدولة المعنية هى مصر ، الحليفة الأولى للولايات المتحدة والتى تتعاون معها فى صناعاتها العسكرية وتسليحها العام!!



مصر تتجسس على أمريكا وتحاول استكشاف أسرارها وتهريب ما تؤثر به نفسها من مزايا صناعية!! .

والذى ترافع ضد الدكتور عبد القادر قانونى صهيونى متعصب قدح ذهنه حتى كون اثنتى عشرة تهمة تستحق السجن ٩٧ عامًا .

ولكن المحكمة مشكورة اختصرت هذه القائمة إلى تهمة واحدة ، هى تصدير مكونات صاروخية إلى مصر ، وحكمت عليه بالسجن ٤٦ شهرًا ، وذلك فى نهاية سنة ١٩٨٩ م ، كما حكمت عليه بغرامة ٣٦٠ ألف دولار إلى جانب مصاريف المحاماة وهى نحو ١٨٠ ألف دولار .

وزيادة فى النكاية بالدكتور عبد القادر اتهمت زوجته بمشاركته فى الجريمة ، وأخذ منها ابنا الرجل الجريح ليودعا فى إحدى مؤسسات التبنى ، ثم أخلى بعد سبيل الأم وولديها ، وكانت المحكمة قد رأت حبس الدكتور فى سجن قريب من أسرته فى ولاية كاليفورنيا ، ولكن الصهاينة تمكنوا من نقله إلى سجن بعيد فى ولاية (أريزونا) زيادة فى تمزيق شمله ، ألا تستحق هذه المأساة تدخل مصر كى تخفف من آلام الرجل المخلص الذى اتهم بمساعدتها؟

أعرف أن الأخوة الدينية قد غاضت من العلاقات المحلية والدولية فأين المواطنة؟ أليس من الوطنية أن نذكر رجلاً قيل عنه : إنه حاول خدمة مصر وتطوير قوتها الحربية؟ وأين الرجال الذين عرفوا عبد القادر حلمى واستثاروا حميته لخدمة قومه؟ أيفرون عنه فى محنته؟

أعتقد أنه يجب عليهم تحمل ديونه كلها ، والوقوف إلى جانبه حتى يخرج طليقًا من سجنه!

ثم هذه الأسرة التى غاب عنها ، ألا من رفيق يواسيها أو صديق يؤنسها؟ إن الرجال يعرفون أيام الشدائد لا أيام الموائد!!

يعلم الله أنى لم أر الرجل ولا واحدًا من أسرته ، ولكن أنباءه بلغتنى من عابر سبيل ، فرأيت أن أذيعها ، لعل الناس يذكرون .

* * *



الرمم.. والقمم

سلمان رشدى – أو سيمون رشتى – كما سمى نفسه أخيرًا ، فأر هندى ولد فى بومباى ، وتربى فى مجارى إنجلترا ، فلما كبر كان صورة دميمة لحقارة البشر حين يفقدون الصدق والشرف ، ويحيون على الافتراء والاجتراء .

سخرته القوة المعادية للإسلام ، وبسطت عليه حمايتها ، فشرع يكتب ضد الإسلام ونبيه ، والكتابة المرتقبة من مثله ، فكان صورة مستغربة للسباب القبيح .

وبعض الهجائين له قدرة على الأداء البليغ ، لكن هذا الهجاء الإنجليزى كان سبة على اللغة التى يكتب بها ، لأنه لا يطبق إلا أسلوب الرعاع ، حتى إن أديبًا إنجليزيًا كبيرًا قال لوزير الداخلية البريطانى : إذا كان الرجل لا يساءل من الناحية الدينية ، فيمكن أن يكون من المعقول منع كتابه ، للشناعة التى ألحقها باللغة الإنجليزية ، لو كنت مكان الوزير المسئول لذهبت إلى حظيرة الخنازير لأخرج هذا الكاتب منها وأطرده من البلاد .

انظر كتاب الدكتور محمود دياب ، فى الرد على أكاذيب سلمان رشدى الذى ظهر أخيرًا ، ولكن التعصب المحفور الذى يكنه البعض ضد الإسلام ، جعل الفأر الهندى يبقى فى حماية السلطة ، وعلى عينها ، باسم حرية الرأى .

ولو أن واحدًا فى الألف من شتائم الكاتب ومفترياته وجه إلى ملكة إنجلترا لمات ضربًا بالنعال فى أحد ميادين لندن ، وهل كان يترك شخص مغرم بوصف من يتحدث عنهم فلا يسبهم إلا بأنهم أولاد زنى ، ويرى أن جبريل كان يعشق هذا الوصف ، وأن رئيس الملائكة كان من مؤيدى اللواط ، وأن الله عجوز شرير ، وأن محمدًا نبى مزيف ، وأن الحجاب عنوان على ماخور للمومسات . . إلخ .

والأوربى عندما يكفر لا يتجه ذهنه إلا إلى الغريزة الجنسية وانحرافاتها ، من أجل ذلك وجدنا كاتبًا فرنسيًا مدنسًا يتهم المسيح ، عيسى ابن مريم – وهو من أسمى نماذج الطهر والعفة – بتهمة الشذوذ .

وقد أيدت – والحق يقال – الجمهور الذى أحرق دار العرض لهذه الرواية الحقيرة ،

إن الرعاع قد يسرهم أن يتطاولوا على القمم ، لكننا لا يجوز أن نأذن بهذا تحت أى عنوان ، وقد شعرت بالدهشة لوصف خالد بن الوليد بأنه سقاء ، ما هذا النعت؟ وما علاقته بقائد منزلته العسكرية فوق منزلة نابليون فى القرن الماضى ومونتجمرى فى القرن الحالى؟ والذى ثار فى نفسى أن القضاء الإنجليزى ترك سلمان رشدى ، لأنه لم يخرج على قوانين البلاد ، وليته صرح فقال : إنه أرضى مشاعر الحقد المشبوبة فى نفوسنا ضد الإسلام .

وعدت لأقرأ مقاطع رائعة من شعر الأستاذ فاروق جويدة ، يخاطب هذا السلمان فى زمن الردة والبهتان :

اكتب ما شئت ولا تخجل . . فالفكر مباح
يا سلمان ضع ألف صليب وصليب فوق القرآن
وارجم آيات الله ومزقها على كل لسان
لا تخش الله ولا تطلب صفح الرحمن
فزمان الردة نعرفه . . زمن المعصية بلا غفران
إن ضل القلب فلا تعجب أن يسكن فيه الشيطان
ولا تخش خيول أبى بكر . . أجهضها جبن الفرسان
وبلال يؤذن بين الناس بلا استئذان
أتراه يرتل باسم الله ولا يخشى بطش الكهان
فاكتب ما شئت ولا تخجل فالكل مهان
واكفر ما شئت ولا تسأل فالكل جبان

إلى أن يقول : اكفر ما شئت ولا تخجل ميعادك آت يا سلمان . .
دع باب المسجد يا زنديق وقم واسكر بين الأوثان . .
سيجيئك صوت أبى بكر ، ويصيح بخالد : قم واقطع رأس الشيطان .

والقصيدة جياشة بمشاعر اليقين والإنكار على هذا الوغد ولعلها أفضل ما قرأت فى وصفه .

أرض الميعاد أم أرض البغايا والأوغاد

قرأت ذلك الخبر فى صحيفة الأهالى ، فأثار فى نفسى التساؤل عن طبيعة الصراع الدينى ، الذى عادت إليه الحياة فى هذا العصر ، على نحو جدير بالدراسة ، والخبر ما أكده إسحاق بيريز ، وزير الهجرة فى إسرائيل ، من أن ممارسة الروسيات المهاجرات للدعارة أمر معروف . .

وقال : إن هذه الظاهرة لن تختفى إلا بعد أن تحل السلطات اليهودية مشكلة البطالة ، فإن معظم العاطلين فى المدن هم السوفييت - المهاجرين إلى أرض الميعاد - وكذلك أكدت أورانامير عضو الكنيست عن حزب العمال ، قالت : إن حوالى ألف مواطنة سوفيتية هاجرن إلى إسرائيل ، يمارسن الدعارة ، وأن ٥٠٠ منهن يؤدين عملهن فى تل أبيب على أنهن يعملن مدلكات ، على حين يدعى النصف الآخر أنهن يشاركن الرجال المتوحدين حياتهم .

وأشارت وكالة (نوفستى) إلى أن أحدًا لا يعرف متى تحل السلطات الإسرائيلية هذه المشكلة ، وهل فى الإمكان حلها؟

إننى أرثى لحال أولئك البغايا ، ولست ألومهن على سقوطهن بقدر ما ألوم الساسة اليهود الذين استقدموهن ليواجهن هذه المأساة المعتمة .

أهذه أرض الميعاد التى يتجلى الله فيها على شعبه المختار كى يصلح به العالم؟ إن دولة إسرائيل تقوم على الدين وتنتمى إلى الأنبياء ، وللقوم دعاوى عريضة فى نسبهم السماوى العريق .

وهم الآن فى قمة حماسهم ، وفى مرحلة الوثوب لإقامة إسرائيل الكبرى ، وحشر سائر الأقطار تحت علمها الطهور ، فهل تلك غايتهم؟ .

إننى أحسب هؤلاء النسوة البغايا أزكى قلوبًا من ساسة يحترفون المظالم ، ومن حاخامات يتاجرون باسم الله ، وإنى مكره على التصريح بأن حقيقة التدين أرفع مما يمارس أولئك الساسة والحاخامات من بغى وعدوان .

لو بقى أولئك المهاجرون والمهاجرات فى البلاد التى قدموا منها، وأحسنوا العمل مع الله ومع الناس لكان شأنهم أفضل، ولكانوا أقرب إلى الإيمان منهم إلى الفسوق والعصيان.

إن الأرض لا تقدس أحدًا والباغى والبغى لا تزكيهم أرض الميعاد والله يمنح رضاه من يترفعون عن الدنايا، ولو كانوا فى القطبين أو خط الاستواء، وينزل سخطه بمن يسكنون الأرض المقدسة وهم يقترفون الرذائل والدنايا.

عندما ظهر الإسلام جعل الأرض كلها مسجدًا، وأتاح للناس كلهم أن يقتربوا من الله باتجاه قلوبهم وسناء ضمائرهم، وحدد وظائف الأنبياء بالبلاغ المجرد، فقال ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾[1].

إن بنى إسرائيل فى العصر الحالى يرجعون بالعالم القهقرى ويردون الدين إلى طور مجدب عقيم، يجعلونه هيكلاً لرب الجنود، ومثابة لحفنة من اليهود، ولونًا من التعصب الأعمى والكبرياء المنكرة.

وقد ظاهرهم على هذا الفهم العفن رجال دين كذبة، نسوا الإيمان العاقل أو العقل المؤمن ومشوا وراء تُرَّهات لا تزيد الإنسانية كلها إلا خَبالا.

إن جعل الدين نبوءات وأحلامًا هو ضرب من الكهانة التى حاربها الإسلام، لأنه لا يعرف الدين إلا إيمانًا واضحًا وعملاً صالحًا، وقد قال الله لأتباع القرآن وحملة الوحى الخاتم ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا * وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ ﴾[2].

ماذا لو بقى اليهود فى أراضيهم بأرجاء العالم وأصلحوا صلتهم بالله، وعاشوا بناة لا هدامين وأصحاب وفاء لا مصاصى دماء؟ ونسأل داعميهم ومحرضيهم: هل من تقوى الله – فى منطق الصليبيين الجدد – أن يطردوا العرب من أرضهم؛ ليحل محلهم القتلة والبغايا؟ أما لهذا الحقد من آخر؟ ألهذا أنشأتم مجلس الأمن وهيئة الأمم؟.

---

(١) الأنعام: آية ٤٨، ٤٩.

(٢) النساء: آية ١٢٣، ١٢٤.

هم.. ونحن

أليس عجيبًا أن تكلف أمة ببناء إيمانها على دراسة الكون ، ومع ذلك تحيا محجوبة عن الكون ونواميسه وأسراره وقواه .

أهذه هى استجابتها لقول الله ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ . . ﴾[1] .

لو كانت أمتنا حين تكاسلت واستنامت تعيش على ظهر الأرض وحدها لكان وزر تخلفها على رأسها ، تعانى منه فى شئونها قَلَّت أو كثرت ، لكن أمتنا فى سباق مع أمم أخرى لا تنام ، أمم لا رسالة لها ، أو لها رسالة مادية محدودة قوامها الباطل والهوى .

ومع ذلك فإن المبطلين يسابقون الريح نشاطًا وعزيمة ، ونحن ممثلى الحق جاثمون على الثرى ننظر ببرود أو بلاهة إلى الآخرين ، ولا نعى من رسالتنا شيئًا ذا بال .

الآدمية فى كتابنا علم عجزت عنه الملائكة ، وظفر به آدم وحده فاستحق الخلافة فى الأرض ، والآدمية فى حياتنا طعام وسفاد ، وتحاسد وتفاخر ، أى هى الحيوانية الهابطة! ، الآخرون سيروا الأقمار الصناعية وأرسلوا مركبات الفضاء تزودهم بمزيد من المعرفة ، وفى الوغَى لهم أظافر تخنق وتذبح وتصعق وتفعل المنكر بعدوِّها .

أما نحن فقد نتودد لهم مشترين من أسواقهم ، أو متزودين من غنائمهم أو مستعيرين من أسلحتهم ما نحتاج إلى تعلمه منهم قبل أن نحسن استخدامه .

أنا ما أشك فى أن هناك عطبًا أو كسرًا أو تلفًا فى كياننا الفكرى والنفسى جعلنا فى هذا الوضع المهين ، وما نصح أبدًا إلا بذهاب هذه العاهات وعندئذ نصنع كما يصنعون .

---

(١) آل عمران : آية ١٩٠ ، ١٩١ .

وقد أنظر إلى أنظمة الحكم هناك فأجد القادة بلغوا فى ثقافتهم أعلى شأوٍ، وفى تجربتهم أعظم خبرة .

ومع اقتدارهم على الرأى السديد فهم يستشيرون أهل الحل والعقد فى بلادهم ، ويستمعون بإخلاص إلى الرأى الآخر ، وإلى النصح المجرد ، وكأن على لسان كل منهم كلمة أبى بكر : «وليت عليكم ولست بخيركم ، إن رأيتم خيرًا فأعينونى ، وإن رأيتم شرًا فقوِّمونى» .

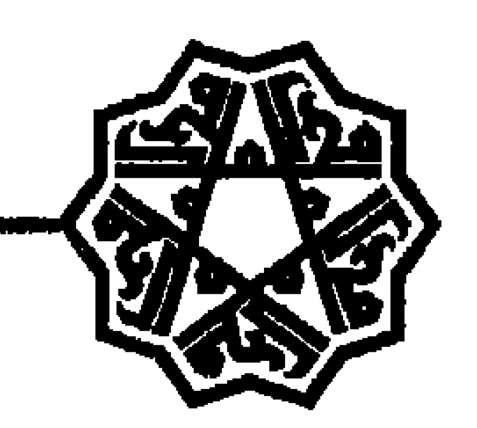
أما نحن فقد وقعت أمورنا بين أيدى أقزام متعالين متطاولين ، لا ندرى من أين جاءوا ثم تسمع الواحد منهم يقول فى صلف وزهو : **﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾**[1] .

قائد الحق تجرى على لسانه صيحة فرعون - قبحه الله - وقائد الباطل تجرى على لسانه كلمة الصديق - رضى الله عنه - .

أية موازنة تلك وما يكون المصير مع هذا البلاء فى الأحوال السياسية والعمرانية التى تسود أرض الإسلام . . .؟

* * *

(١) غافر : آية ٢٩ .



من المجرمون حقّا؟

أستحى من المقارنة بين مجالس الشورى عندهم وعندنا ، لقد تابعت المناقشات التى دارت بين الحكومات وممثلى الشعوب فى باريس ولندن والولايات المتحدة وقارنتها بما وقع فى بغداد ، وما وقع قبل ذلك فى عواصم أخرى شعرت بالعىّ والحسرة ، كيف أقارن بين الجد والهزل ، والقماءة والشموخ ، وسجال الأحرار وبُغام العبيد . .؟

الحكومات هناك – وجُلُّها من رجال فارعين – تقف أمام ممثلى الشعوب وقفة المتهم أمام القضاء همه الأول والأخير أن يبرئ ساحته ، ويعرض جهده الذى بذل فيه طاقته ، فإذا ظفر بالبراءة خرج متهللاً .

أما فى أغلب العواصم العربية فممثلو الشعب يقولون للزعيم : بالروح والدم نفديك يا فلان . . أهذه مجالس شورى؟!

وهذا الزعيم رجل واحد ، وهو يمثل العدد الواحد ، ولكن الأفراد أعنى الأصفار التى تصطف عن يمينه تجعله ألفًا أو مليونًا أو مليارًا حسب كثرة العشاق الوالهين أو العباد الفانين!! .

وعندئذ لا يفكر بعقله الخاص بل يرى أنه يفكر بعقل الألوف المؤلفة التى ذابت فيه ، ومن حقه أن يقول : أنا الشعب ، إن المليم الواحد أمسى مليونًا أو مليارًا ، والويل لمن يتحداه أو يقف فى وجهه .

إنه لا يقف فى وجه «مليم» ، بل فى وجه «بنك» عامر الخزائن يعطى ويمنع ، ويخفض ويرفع ، والويل للشعوب التى تحيا على هذا النحو ، وتفنى وراء هذه القيادة ، إنها تحكم على نفسها بالموت المادى والأدبى .

الناس فى أرض الله الواسعة تشغلهم مآربُ كثيرة وأهدافٌ شتى ، هذا عالم يمشى فى الطريق وذهنه سارح فى قضايا علمية ، وهذا رب أعمال يكاد يذهل وهو غارق فى تثميرها وتنميتها ، وهذا وهذا . . . . .

لكن هناك ناسًا شغلهم الشاغل كيف يقفزون؟ كيف يتصدرون؟ كيف يرأسون ويزأرون ويلبسون جلود الآساد؟ وكيف يسيرون على هامات العباد؟ هذا النوع من الناس لا يعرف إلا نفسه ولا يعبد إلا شخصه .

وبدل أن يكون هذا الصنف جذامًا يهرب منه الناس ، نجده فى بعض البلاد المنكوبة أو المتخلفة يقوم بانقلاب إن كان ضابطًا ، أو ينفق القناطير المقنطرة إن كان غنيًا ، وبأسلوب أو بآخر يتولى الزعامة ثم تتكاثر الأصفار عن يمينه - كما وصفنا - فإذا هو رسول العناية الإلهية الذى ينبغى التفانى فى نصرته ، والصياح حوله : نفديك بالروح والدم يا فلان .

فى الشرق العربى وغير العربى حملت الجماهير على كواهلها هذه الأوثان السياسية وداخت تحت وطأتها فما نجت منها إلا بموت مجهز أو انقلاب طارئ .

ترى من المجرم؟ السيد أم المسود؟ القائد أم المقود؟ أليس هؤلاء الذين قال القرآن الكريم فيهم : ﴿ **إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ * رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا** ﴾[1] .

هل مضاعفة العذاب الأخروى تغنى؟ كلا ﴿ **وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ** ﴾ [2] .

أين الرجال الأحرار؟ متى تتضاعف أنصبتنا منهم؟ متى يستخفى الأقزام ويخلون الطريق لأولى النُّهَى؟ لا نجاة إلا يومئذ ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

* * *

---

(١) الأحزاب آية : ٦٧ ، ٦٨ .　　(٢) الزخرف آية : ٣٩ .

نصيحة لقومى

لا ينفك عجبى من احترام المبطلين وترويجهم له ، واستهانة المحقين بحقهم وخذلانهم له .

لقد سمعت مع غيرى خبر تعطيل الإذاعة الإسلامية الخاصة بمدينة مارسيليا الفرنسية وحرمان مائتى مسلم من المغاربة وغيرهم أن يستمعوا إلى الصوت الوحيد الذى يربطهم بدينهم ولغتهم . . ومعروف أن فرنسا تمنع إنشاء مدارس لتعليم الإسلام واللغة العربية ، وأن الأطفال المسلمين ينشئون تنشئة علمانية فرنسية على حين تظفر الطائفة اليهودية بقدرات على بقاء هويتهم ، واستدامة عقائدهم .

أعرف أن القرار الصادر بذلك شكوى إدارية - لا دستورية - وأن المشرفين على الإذاعة الإسلامية يقاومون بحماس ، لكنى يائس من النتائج القريبة والبعيدة .

ذلك لأن القرار الصادر جانبه الحياء والوعى ، فقد أقدم عليه أصحابه عشية أذِنت مصر بإقامة جامعة فرنسية فى الإسكندرية وقد حضر «مسيو ميتران» حفل الافتتاح بعد ما أدى واجباته الدينية فى كنيسة سانت كاترين بطور سيناء .

أعند القوم ذرة من خجل أو تقدير للآخرين؟

وقد افتتحت عدة دول عربية مسلمة قنوات فى إذاعاتها المرئية والمسموعة لفرنسا قيل : إنها للتثقيف والتسلية .

أى خير يرتقب من هذه القنوات الأجنبية إلا توهين الشخصية العربية ونحت مقوماتها ومعالمها بمكر ودهاء حتى تنشأ أجيال لا تعرف ربها ولا دينها ولا تتجاوب مع لغتها وتراثها .

إننا نساعد الآخرين على إلحاق كل هزيمة أبية بنا .

الأمر خطير . . فهناك عدة ملايين من المسلمين فى كل من أمريكا وإنجلترا وفرنسا مهددون بالذوبان فى محيط موّارٍ بالانحراف وأسباب الضياع ، ويجب على الأوطان

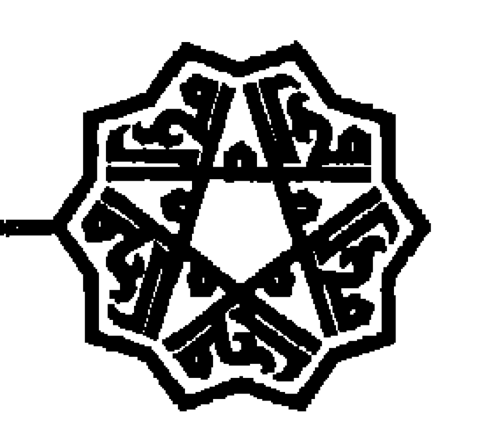
الأم أن تحافظ على عقائد المهاجرين ومواريثهم ، وأن تيسر لهم من القراءات والإذاعات ما يستبقى علائقهم بأمتهم .

بيد أنى أحس الخيبة والاكتئاب لأن هذه الأوطان الأم فتحت أبوابها للغزو الثقافى ويسرت للغزاة أن يُسمِعونا ما نكره ، ويطالعونا بما يُغضب .

الدعوة الإسلامية مغزوة فى عقر دارها ، والأقمار الصناعية تُستغل استغلالاً واسعًا فى تضليل الجماهير ، وبعض الأغبياء لا يزال يتحدث عن حرمة التصوير وهو لا يدرى أن هذه الأقمار تحدد موقعه لتضربه بما تشاء وكيف تشاء ومتى تشاء .

إننى أنصح قومى أن يستشعروا خطورة الحاضر والمستقبل ، وأن يتواصوا بتعليم أنفسهم وأهليهم ومواطنيهم الأقربين والأبعدين ، وأن يحصنوهم ضد أمراض الحضارة فى الوقت الذى يستفيدون فيه من علوم هذه الحضارة وإمكاناتها الهائلة .

* * *



هؤلاء.. ألا يستحون؟

قرأت هذا الخبر فى صحيفة الوفد تحت عنوان «حملة منظمة لقتل أطفال الشوارع فى البرازيل» نقلته وكالات الأنباء من عاصمتها «ريودى جانيرو» يقول الخبر : كشفت الحركة الوطنية للدفاع عن أطفال الشوارع عن قيام فرق اغتيال بصيد وقتل المئات من الأطفال المتشردين فى المدينة خلال العام الماضى ، وقد بلغ عددهم - كما ذكر البيان الصادر - ٤٥٥ طفلاً وقع معظمهم فى أيدى فرق اغتيال تسعى إلى تخليص المدينة من المتشردين وصغار المجرمين .

وأكد البيان أن هذا الإحصاء منقول عن الأرقام الرسمية ، ثم أشار إلى احتمال أن تكون الأرقام الحقيقية أكبر من ذلك .

وقد نظرت فى تعريف عمر الطفل فى الاتفاقية الدولية التى صدرت أخيرًا ، فوجدت أنه من نعومة الأظفار إلى سن الثامنة عشرة!! أى القتلى صبية ومراهقون وشباب فى سنه الباكرة ، ربما كانوا بين السابعة والسابعة عشرة ، المأساة رُويت فى صمت وتناقلتها الوكالات المختلفة للأنباء ، وكأنها تنقل مباراة رياضية انهزم فيها فريق وانتصر آخر ، دون استبشاع أو استنكار أو تعليق عاجب أو ضائق .

وتذكرت أن هذه الوكالات نقلت جَلْد سكِّير فى باكستان على أنه عدوان على الإنسانية ، واحتقار لحقوق الإنسان ، وقد قلت ، وأنا أطالع الخبر الغريب : ترى ماذا كان يحدث لو طار هذا الخبر من بلد عربى يدين بالإسلام؟ .

كانت الأقلام تلهب جلودنا ظهر البطن ، وتصف الإسلام وأتباعه بهمجية أو حيوانية بلغت الدرك الأسفل ، وربما نقلت جماعات الرفق بالحيوان عملها من ميدان الدواب إلى ميدان البشر .

وقد تنعقد مؤتمرات عاصفة خلال عام أو أعوام ، لا عمل لها إلا هجاؤنا وتحذير العالم من أى سلطة قد نملكها ، إننا خطر على الحضارة وسُبَّة فى جبين الإنسانية كلها ، لكن شيئًا من ذلك لم يحدث ، ودفنت جثث الصبية والمراهقين والشباب والصغار فى صمت .

وقد وقعت قصة أخرى لانتحار جماعى ذهب فيه مئات الشباب مع رئيس لهم من رجال الدين فى موجة من موجات الازدراء للدنيا واستعجال الآخرة ، وبعد نفض الأيدى من دفنهم أطبق الصمت على خبرهم ، فلم يَنْبِسْ أحد ببِنتِ شفه ، والبلد الذى وقعت فيه المأساة هى «غيانا» فى أمريكا الجنوبية .

آه لو وقع هذا فى بلد إسلامى إذن لزلزلت الأرض زلزالها ، ولطخ وجه الإسلام بالأوحال وطولب بطرد الدولة التى وقع فيها الحادث من هيئة الأمم المتحدة .

أعرف المثل العربى الذى يقول : «إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره ، وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه» والدنيا الآن ليست لنا ، فلا عجب أن تُنتحل لنا التُّهم ويوصف غيرنا بكل محمدة .

إننى أسأل لماذا لا يتحول رجال التنصير عن عملهم فى بلادنا ، ويوجهون أنشطتهم إلى بلادهم التى يهددها الإيدز والانحلال؟ إن ميازيب شتى تصب أقذارها فى بلادنا التى ما كانت تعرف هذا السيل من الجرائم الخلقية .

هل شعار المحبة الذى يحملونه حقيقة أم هو غطاء لقلوب من حجر لا تحسن تربية النشء ، فتقوم بقتلهم جملة وتفصيلاً ، أما كان الأولى جمع هؤلاء الصبية فى محجر صحى أو معتقل سياسى ، ثم يشرف على تهذيبهم رجال رحماء يحاولون نقلهم من جو الجريمة أو التشرد إلى جو الصلاح والعمل المثمر؟ ثم ألا يستحى الغربيون من الزعم بأنهم أساتذة لنا وساعون إلى ترقيتنا؟ . . وكلمتى إلى المسلمين : ألا أيها النوام ويحكم هبوا ، ففراغ الدنيا من يقظتكم بلاء مبين .

* * *

المصيبة الكبرى



فى وصف خلائق العرب يقول أحد الشعراء :

إذا احتربت يومًا فسالت دماؤها   تذكرت القربى فسالت دموعها!!

هذا النزق الذى يسفك الدماء . . ثم يجيش بالبكاء ، قد يكون مسلك امرئ غضوب سريع الرجوع ، وإذا نما شره يكون مسلك أسرة ضعيفة الوعى حادة العاطفة ، لكنه لا يكون مسلك دول كبيرة ، ولا جماعات راشدة ، وعلى أية حال فإن الأمم فى شتى العصور تصون كيانها من ذوى الأمزجة المتقلبة ولا تضع زمامها فى يد متهور طائش .

وفى هذا العصر خاصة قامت مجالس الشورى بفرض وصايتها على تصرفات الحكام حتى لا ينزع الهوى بهم ذات اليمين وذات الشمال .

وما زلت أذكر رفض مجلس النواب والشيوخ فى الولايات المتحدة لاسم وزير الدفاع الذى عرضه الرئيس ، لأنه مسرف فى الشراب ، فاضطر الرئيس إلى اقتراع رجل آخر . . والرجال كثير ، والشورى ملزمة هناك ، أما العرب فلهم شأن آخر ، لا يعرفه دين صحيح ولا تقره دنيا ناضجة .

ولعل من هذا المسلك المدهش ما ثار من خلاف أخيرًا فى أزمة الخليج . . كان من السهل أن تتفق كلمة العرب على أن يخرج العراق من الكويت ، وأن تعود الجيوش التى جاءت الجزيرة إلى بلادها ، أما أن يقول كلا الفريقين لصاحبه : اخرج أنت أولاً . . فهذا لون من العبث .

ويظهر أن هناك أمرًا آخر قاله لى بعض الناس ، قال لى : إن وحدة العرب غاية مهمة نسعى إليها جميعًا ، وفى سبيلها يجب أن نتجاوز عن بعض الهنات .

قلت : ما هذه الوحدة العربية التى تتحدث عنها؟

أهى الوحدة التى عرفتها الجاهلية الأولى ويدعو إليها حزب البعث العربى الآن أو القوميون العرب ، والتى تهيل التراب على الإسلام ، وتعد محمدًا أحد الزعماء العرب الأشاوس ؛ فلا وحى ولا ألوهية ولا نبوة ، وإنما علمانية واشتراكية . . إلخ؟ .

إن هذه الردة الخسيسة داستها جماهير العرب ، وسودت وجوه أصحابها ، واعتبرتهم شر الكفار ، فاحذر أن تحدث عنها أو تنوه بها ، ويجب أن نحشو بالتراب هذه الأفواه النجسة .

قال : الصلح مع الدين ممكن ، و . . . فقاطعته مستنكرًا : ليس الدين لغوًا على الألسنة ، أو مزاعم للطماعين القتلة . . الإسلام قبل كل علاقة بالله الواحد تعترف بحقه فى حكم العالم وفق ما شرع ﴿ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً ﴾(١) ، ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾(٢) .

إن الله حرم على نفسه الظلم ، وتريد أنت صناعة إسلام يأذن بالسفك والفتك والانتهاب والاغتصاب .

إن نبى الإسلام الذى محا الجاهلية الأولى استثنى حلف الفضول ، وقال : « لو دعيت به فى الإسلام لأجبت » . فهل نقول للناس الآن باسم الإسلام : دعوا فلانًا يكذب أو فلانًا ينهب ، وسنصلح ذات بيننا ، واخرجوا من أرضنا؟

المصيبة الكبرى أن يتحدث عن الإسلام رجال لا يعرفون حقيقته ، ولا يدرسون تاريخه ، ولا يدرون ما يقع فى العالم الآن ، ولا يشعرون بالأوضاع المحرجة التى تكتنف الأمة ، ودينها ، وحاضرها ، ومستقبلها ، ولا يفطنون إلى المؤامرات الخفية التى حيكت للقضاء عليها .

اللهم إليك المشتكى وأنت المستعان .

* * *

(١) الأنعام : آية ١١٤ .   (٢) آل عمران : آية ٨٣ .

دول البلطيق طلقت الشيوعية ، وتأبى البقاء داخل الاتحاد السوفيتى ، ويتعاون الشعب والحكم على قطع كل صلة بالماضى البغيض ، والظفر بحرية التدين ، وحقوق الإنسان والانطلاق مع العالم الحر إلى آفاق أرحب .

وفى الوقت الذى يقع فيه هذا الكفاح المقدور تحاول الحكومة الحمراء فى أفغانستان قهر الشعب المسلم مستخدمة السيف والنار لمد دخان الإلحاد وغيومه إلى كل شبر من الأرض الإسلامية المثخنة بالجراح .

فكرت طويلاً فى هذا التباين فوجدت الغزو الثقافى أفلح فى دار الإسلام أكثر مما أفلح فى أقطار أخرى ، ورأيت أنصارًا للشيوعية يتشبثون بها بعد ما تفرق عنها أنصارها الأولون .

أحسب أن ما يقع يعود إلى تقصير الدعاة فى عرض الإسلام وشرح حقائقه حتى توهم كثيرون أن العودة إلى الإسلام تعنى العودة إلى حياة القبيلة ، والانغلاق دون فهم الكون ، وتجهيل المرأة وحبسها على توافه العيش . . إلخ .

هذا تفكير سخيف لم تعرفه الحياة الإسلامية عندما كان المسلمون العالم الأول وعندما كانت حضارتهم تعنى المعرفة والذكاء والعدالة والتفوق .

وقد تابعت فلول أمتنا الجريحة وهى تعذب تحت وطأة السلطان الكفور فانفطر قلبى ، هذا جمهور الأفغان تطارده الحكومة العميلة لموسكو .

ويقول محرر « لهيب المعركة » : إن أهل القرى من شبان وشيب تتساقط عليهم القنابل العنقودية فتدع بيوتهم رماداً ، ولا يجدون أمامهم إلا الفرار طالبين الأمان فى قرى أخرى ، وإن كان البرد شديدًا ؛ والجليد يكسو أديم الأرض وليس معهم ما يقى من الصقيع والجوع فليتحملوا اللحاق بأقرب قرية مسلمة ، وليفروا من سلطان الكفر ، فبعض الشر أهون من بعض!! .

وأترك الشعب الأفغانى لأرى الشعب الإسلامى فى الهند ، المحاولات مستمرة لهدم المساجد ، ومحو العقائد ، والمليشيات الوثنية تقوم بهجمات وحشية على الشعائر الدينية ، بإيعاز من المجلس العالمى للهندوس ، وقد قتل وجرح مئات فى مدن « جيبور » و « أحمد أباد » و « قودا » و « برودا » و « بنجاور » .

المليشيات مسلحة ، والجماهير المسلمة عزلاء ترد بأيديها القنابل ، والبنادق ، وأمواجًا من الهمج لا يضبطهم فكر أو خلق .

وأنظر قريبًا منى فأرى عرب القطاع والضفة مفروضًا عليهم منع التجول ، تحولت بيوتهم إلى مصائد يتحركون داخلها فحسب ، فإذا تجرأ على مجاوزة عتبة بيته رجل أو امرأة خطف روحه الرصاص!

قالت إذاعة لندن : إن الحقول خلت ممن يفلحون الأرض ، ويرعون الدواب ، واستحكمت أزمة القوت . أما الأمة العربية فإن فتنة الخليج قسمتها فريقين فريق يرى إعطاء الكويت لصدام حسين لعله يرضى ، وفريق يقاوم الجبروت ويحاول استبقاء ما كان على وضعه المعتاد .

وعجيب أن يتبلد الإحساس بالظلم على هذا النحو ، إننى أصارح أمتنا بأنها تسير نحو كارثة مخيفة وأتساءل إلى متى تبقى أنفسنا باردة ونحن نقرأ القرآن ، وتظل أنفاس اليهود حارة وهم يتلون ما لديهم؟!

إن كل شىء الآن يخدمهم حتى تذكرت قول الشاعر الساخر :

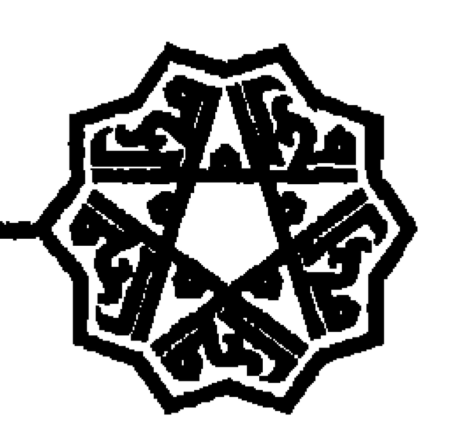
يا أيها الناس قد نصحت لكم ... تهوّدوا فقد تهود الفلك

وماذا تكون النتيجة حين يأخذون كتابهم بقوة ، ونأخذ كتابنا بضعف؟

يوم يكون إيماننا بحقنا أَوْهَى من إيمانهم بباطلهم فلن ننال من عناية الله ذرة .

إن البعث العربى يجرد العروبة من الإسلام ، وإذا انخدع أحد به فقد خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق .

* * *



القرار الشؤم

بدا لكل ذى عينين أن إسرائيل هى الكاسب الأوحد فى فتنة الخليج التى اتسع نطاقها وعم بلاؤها .

إن العنوان الذى وضعه الحلفاء لهذه الفتنة هو حرب تحرير الكويت ، وما ينكر أحد أن الكويت قد احتلها العراق ، وأرهق أهلها ، وسامهم الخسف ، وأن قوى أجنبية سارعت لنجدتها .

ولكن هناك أطماعًا ومطالب لأعداء الإسلام ، ربما واتتهم الفرصة خلال هذه الفتنة كى ينفسوا عنها ، أم يمهدوا لبلوغها . . . وليس هذا عيبهم ، وإنما عيب من أشعل الحرب وقاد الهجوم ، وتجاهل الملابسات ، واستهان بأخوة الإسلام وحقوقها .

وقد درست موقف إسلاميين كثيرين فى المغرب والمشرق وتساءلت : أين كان هؤلاء عندما قتل عشرات الألوف من الأكراد المسلمين خنقًا بالغازات السامة؟ ما سمعنا لهم صوتًا؟ أين كانوا عندما دمرت مدائن عامرة فى إيران ، وصارت خرائب ومدافن؟ ما سمعنا لهم صوتًا! .

إنهم الآن يعدون حاكم العراق المكافح الأول للصليبية والصهيونية .

أعرف أن كرههم لأعداء الإسلام من وراء هذا الشعور الكاذب ، وأن الصيحات الخادعة ضللت تفكيرهم ، إننى أحذر المخدوعين من الانزلاق إلى تزوير الإسلام ، وحسبانه مؤيدًا للعدوان ، وحليفًا للظالم ، وجاحدًا للمظلوم .

إنه يمكن القول بأن الذى حدث كله كان مؤامرة لخدمة إسرائيل ، ودعم كيانها الذى بدا عليه الوهن .

وقد سار صدام حسين بقدميه إلى الشَّرَك المنصوب كما يسقط الطير على الحب داخل الفخ فينطبق على عنقه ، ويورده المهالك .

لقد تخصص فى ضرب المسلمين حين يستضعفهم ، ومضى فى خطته تلك دون حساب للملابسات واختلاف الظروف ، فوقع له ما وقع ، ثم عانت جماهير المسلمين كلها ما عانت . وربط مستقبل الإسلام وأمته بتفكير فرد متسلط مغرور أمر لا يجوز ، والدهماء الذين يسيغون ذلك لا مكان لهم ولا وزن عند أولى الألباب .

إن عبد الناصر سنة ١٩٦٧ م زعم أنه سوف يرمى بإسرائيل فى البحر ، ودخل حربًا لم يحسن بدايتها ولا نهايتها فماذا كان؟ انهزم خلال ساعات وتضاعفت مساحة إسرائيل مرتين ، وانتقصت أطراف وأوساط مصر والأردن وسوريا ، وصبغ القار وجوه العرب أجمعين .

إن القضايا الكبرى لا يجوز أن يستبد بالتفكير فيها واحد مهما كانت عبقريته ، وفى قتال يكون الدافع إليه الذود عن الإسلام ، ومحو الغبن والعدوان ، لابد للمقاتل المسلم أن يستند إلى الله ويخلص نيته ، ويستغيث به رجاء عونه .

أما استعراض العضلات وإبداء الفرعنة ، وإظهار الغرور فلا ثمرة له إلا الهزيمة ، لقد هزم الله المسلمين فى حنين لما أعجبتهم كثرتهم ، فكيف نخوض حربًا دينية نبدأها باغتصاب بلد سالم ، ونخوض حومتها ونحن سكارى بالغرور وبالخمر معًا .

إننى قد أقبل من مسلم أن يمقت أعداء الإسلام ، لكننى لا أقبل من مسلم أن يقول بجلافة : لا يهم ضياع الكويت إذا كانت وسيلة إلى ما هو أعظم!! ما هذا الأعظم؟ غرور بباطل وانتظار لوهم؟ إنه لا أعظم من إحقاق الحق! .

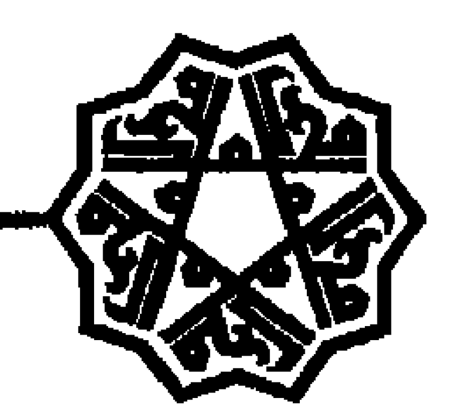
لقد كان قرار احتلال الكويت شؤمًا على صاحبه وعلى العرب والمسلمين فى المشرق والمغرب ، وهكذا يصدق قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ** ﴾[1] . أما تأييد الغوغاء لحاكم العراق فإنه يذكرنى بقول أبى تمام :

إن شئت أن يسود ظنك كله . . فأجله فى هذا السواد الأعظم.. .!

ونحن ولله الحمد لا نأخذ ديننا من طغيان الكبراء ولا من أفواه الدهماء ، ونؤمل يومًا للحق أرشد وأسعد .

---

(١) سورة محمد : آية ١ .



طوق النجاة

مضت تقاليد أهل الإيمان أن يفزعوا إلى الله فى الشدائد ، وأن يلزموا بابه مرتقبين الغوث ، ونحن بطبيعة الخلقة ضعفاء إلا أن يسندنا القوى ، خطاءون حتى يمن الله علينا بالتوبة والعصمة والرضا .

والأيام التى تمر بنا حافلة بالنذر ، بل يكاد يتطاير منها الشرر الذى لا يُبقى ولا يذر! وينبغى أن تدفعنا دفعًا إلى الله مستغفرين مسترحمين .

أمتنا الإسلامية أضاءت رسالتها ، وعاشت صنفين من الناس : صنف واحد أذهله ثراؤه عن آخرته ، فهو مفتون بدنياه ، وصنف فاقد يحسد الأول ، ويريد أن يكون مثله .

وقد انخدع الفريقان برونق الحضارة المعاصرة فتعلقوا بأسوأ ما فيها ، وتركوا ما عداه ، فماذا كانت العقبى؟ .

إن الدماء اليوم تسفك ، والويلات تقترب ، والفتن ظلمات بعضها فوق بعض ، والمستقبل غامض ، وكل شىء يلفتنا بقوة إلى انتهاج أسلوب جديد فى الحياة نرجع فيه إلى الإسلام الذى شرفنا الله به ، وكلفنا بحمله وتبليغه .

أموال المسلمين تحترق أمام أعينهم ، ومدخراتهم تغتال علانية ، والعقد النظيم انقطع خيطه ، وتناثرت حياته ، أفلا نتذكر مقالة أصحاب الجنة التى دمرها الله لما عزم أصحابها على منع حقوقه وحرمان عباده؟

﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ * عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴾ (١) .

إننى أبصر جماعات من أبناء الأمة المنكوبة لا تزال تبحث عن اللذات ، ولا تزال سادرة فى غوايتها ، لا ترعوى ، علام تستيقظ إذا لم تصح على هذه القوارع؟

---

(١) القلم : الآية : ٢٩ - ٣٢ .

إننا يجب أن نستقبل أمواج البلاء بالدعاء ، إننا يجب أن نهرع إلى المساجد قانتين ناشدين العون! .

إننى أنظر إلى طلاب اللهو فى هذا الأوان الصعب فأحسبهم قطيعًا من الدواب ، فقسوة القلب ، وجمود العين ، ونسيان الآخرة دلائل غضب ماحِق .

المفهوم من كتابنا الكريم أن الآلام سياط ترد الشارد إلى الصراط المستقيم إن حاد عنه ، وتلهم المؤمن الضراعة الحارة إن سكت عنها ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا ﴾(1) . ومع عودة العقل ويقظة الضمير ، وحسن الإنابة ينتظر العفو الإلهى ورجوع السراء والنعماء .

أما إذا بقى السكارى يبحثون عن خمر ، والأنجاس ينقِّبون عن شهوة ، والمتكبرون بالغنى يأبون السجود ، والمزدهون بالترف لا يستقيم لهم عوج ، فما بُدٌّ من أن تهجم المآسى ، يردف بعضها بعضًا ، لا تنته غيمة حتى يتبعها أخرى . . وفى أولئك يقول الله سبحانه : ﴿ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾(2) .

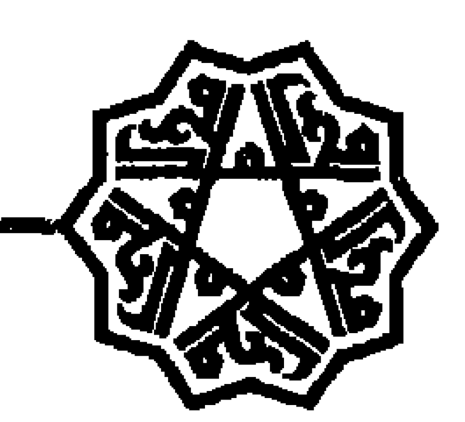
لماذا لا يفكر الشباب العربى فى تحسين مسلكه ، وتهذيب سيرته؟ لماذا لا يفكر الكبار فى تدارس الماضى والتنقيب عن خطأ فيه يتقربون إلى الله بإصلاحه؟

فى مأساة العرب الحاضرة أرى أعداءنا يكثرون ولا يقلّون ، ويَقْوَوْنَ ولا يضعفون ، أما نحن فليست مصيبتنا من قلة السلاح ، ولا من قلة المال ، ولا من قلة العدد! إن مصيبتنا نابعة من أنفسنا وحدها ، وما لم تتغير هذه النفوس فلن يتغير ما بنا .

إذا كنا راضين عن أنفسنا - وتلك أحوالنا - فستبقى هذه الأحوال حولنا كما يبقى الظل الأعوج مع العود الأعوج .

كبرياء السلطة عندنا ، وذل الجماهير عندنا ، وركود الرأى العام عندنا ، وانشغال العلماء يسقط القضايا عندنا ، فبأى وجه يلقى المسلمون الناس؟ ثم بأى وجه يلقون ربهم؟ .

(1) الأنعام آية : ٤٢ ، ٤٣ .
(2) المؤمنون آية : ٧٥ - ٧٧ .



البعث الإسلامى .. منقذنا

لإنقاذ فلسطين وتحرير أهلينا ومقدساتنا فيها طريق واضح : أن يجتمع العرب على قلب رجل واحد ، ومعهم كل ما يملكون من قوة ، وكل ما ورثوا من إيمان ، ويناجزون عدوهم جهرة لا خفية ، ويصارحون بغايتهم دون جبن أو استخذاء ، ويعتمدون على الله وحده فى تحقيق أملهم .

والعرب منذ اغتصبت منهم فلسطين لم يسيروا فى هذا الطريق . بل لم يفكروا فى سلوكه ، وذاك سر هزائمهم المتتابعة! .

وقد عقد بعض الناس أملهم على الرئيس صدام حسين ، كى يدرك ما فات غيره! وكم تكون سعادتنا غامرة لو أن الرجل مضى فى الطريق التى رسمنا معالمها ، فهل كان عند حسن الظن؟ .

إنه أعد جيشًا عظيمًا ، ووفر كل الأسلحة ، وأنفقت عليه أموال طائلة ، وتوافرت له ظروف جعلت الشرق والغرب معًا يمدانه بكل جديد من أدوات الفتك والدمار . .

وكان المفروض أن يبدأ الرجل بإحياء الجبهة الشرقية التى ماتت ، وأن يفاتح زعماء سوريا والسعودية واليمن والأردن وسائر الخليج بما أفاء الله عليه من عدة وعدد ، وأن يطالبهم بمظاهرته فى إنقاذ شباب الانتفاضة ، وطرد اليهود من الأراضى التى اغتصبوها . . .

وهو عندما يفعل ذلك يستطيع معالنة العالم بأنه ينفذ قرارات الأمم المتحدة ، ويحقق بالقوة ما رفضت إسرائيل تحقيقه بالمناشدة والرجاء .

ويوم تسير ألوية العرب فى هذه الجبهة نحو غايتها ، فلن تتخلف عنها دولة من الجبهة العربية ، لا فى وادى النيل ولا فى المغرب الكبير! .

هل هذه الخطة تحتاج إلى عبقرية؟ كلا ، إنها خطة طبيعية لا يعرف عاقل غيرها وستحار الدول الاستعمارية فى مواجهتها ، وكيف تواجه قائدًا يقول : إنه يحقق ما اتفق عليه مجلس الأمن ، ومن ورائه هيئة الأمم ، وأى قائد عربى – وليس زعيم

العراق وحده – ينهض بهذا العمل فسوف يحشد الجماهير حوله ، وسوف يوصف – إن تقاعس عنه – بالخيانة والارتداد .

لكن الذى وقع غير هذا ، بل ضد هذا ، فإن الجيش الذى اعتز بقوة سلاحه ووفرة عتاده ، اتجه أول ما اتجه إلى إيران ، فوقع قتال ظل ثمانية أعوام هلكت فيه الأنفس ، وانقسمت فيه الأمة العربية ، ولم يربح منه إلا عداتها .

ثم عاد الجيش من إيران ، فما مضت عدة شهور حتى كان يتجه إلى الكويت ليحتلها بين عشية وضحاها ، وتبع ذلك أن الشرخ الذى أصاب العرب صدع كيانهم ، فانقسم ووقف الجندى العربى يقاتل الجندى العربى ، أما الإسلام ومواثيقه فقد تبخرت من قديم ، وأما القضية الفلسطينية فقد لحقها خسار بيّن .

ويرمق العدو والصديق ما حدث ، فلا يرى كاسبًا إلا إسرائيل التى تدعمت ماديًا واقتصاديًا حتى كأن هذه الحرب اشتعلت لمصلحتها وحدها . .

إن الرئيس صدام حسين أخطأ حين احتل الكويت ، وفتح باب شؤم على العرب والمسلمين بهذه الفعلة ، يستحيل أنه كان يفكر فى فلسطين عندئذ!! .

على أنى أصارح العرب من بعثيين وقوميين بأن قضية فلسطين دينية وليست عنصرية ، هكذا كانت فى تاريخها القديم وهكذا بقيت إلى عصرنا الحاضر ولو أن العرب احتشدوا صفًا واحدًا ، ثم نظر الله إليهم فوجدهم أقل من اليهود تمسكًا بالدين ما نالوا سهما من نصر ، ولا ذرة من توفيق ، إن إلبعث الإسلامى لا البعث العربى هو الذى يقدر على استنقاذ التراث المنهوب ، والبلد المنكوب .

إننى حين أرسل هذه الصيحة ليست من رجال الوعظ ، ولكننى أبصر الحق فى صميم السياسة التى تَبُتّ فى مصاير الأمم .

ويؤسفنى أن علائق العرب بدينهم تحتاج إلى إعادة نظر .

فى صراع العقائد لا مكان لعابدى نفوسهم ، ولا للمفرطين فى رسالتهم إننا نقول بحق : « الإسلام هو الحل » .

* * *

العروبة .. أم الله أكبر ؟

إلى متى يظل مفهوم العروبة معزولاً عن الإسلام فى بعض الأقطار ، وعوضًا عن الإسلام فى أقطار أخرى؟ إن هذا العوج الفكرى من وراء الفوضى الخلقية والاجتماعية التى يعيش فيها العالم العربى .

لقد كانت شعب الإيمان تسد كل فراغ فى دنيانا ، فلما ساء وضع الدين وأُغير على حقائقه ، وحلت هذه العروبة محله فى شتى الأرجاء تخلخل المجتمع كله ، وشرع الفارغون يملئون أنفسهم بأفكار يجلبونها من هاهنا وهاهنا ، حتى كدنا نكون أمة أخرى غير أسلافنا الكبار .

وهكذا نجح الغزو الثقافى فى تغييرنا ، ونحن ندرى أو لا ندرى .

فى بلاد أخرى أمكن عزل الدين فحلت فلسفات أخرى مكانه ؛ لأن هذا الدين لم يكن يحل ابتداء إلا حيزًا محدودًا من النفس الإنسانية ، وقد يكون ما جاء بدله خيرًا منه فاستراحت الجماهير من قيد موروث .

أما الإسلام فقد كان الوحى الكامل الخاتم ، الكافى الشافى ، فلما تقرر إبعاده كان ما بعده شيئًا دونه يقينًا ، فإذا الأمة تنتقص من أطرافها بل من صميمها ، فاضطرب أولاً حبل الأخلاق ومات الضمير الدينى ، ووهت العلاقات العامة ، وظهر زعماء من طراز لا يعرف فى بلاد أخرى .

كان على بن أبى طالب يقول : « لا تسمعونى خفق أقدامكم ورائى . فإن ذلك مفسدة لقلوب الرجال »!! فإذا حكام يجعلون الهتاف بأسمائهم أساس الولاء وسلّم الترقى ، ووجدنا من تصنع له تسعة وتسعون (اسمًا) كأسماء الله الحسنى .

وكان الذى يستشهد فى سبيل الله يعد من الأحياء عند ربهم ، وهذا هو العزاء الحق ، فإذا نحن نسمع بشهداء العروبة الذين نحيى ذكراهم بالوقوف دقيقة صمت!!

ومرت عهود العوام ، فما يجود عمل ولا يصح هدف ، ولا ينتظر وفاء ولا حياء! ماذا حدث؟ هذا أثر غياب الدين عن القلوب والألباب .

وكان المفروض أن الحريصين على النسب الإسلامى يزينون نسبهم هذا باليقين الواضح والعمل الصالح ، فإذا هم يضعون موازين جديدة للحسنات والسيئات ليس من بينها الحفاظ على حقوق الإنسان ، والعدالة الاجتماعية ، وكرامات الجماهير ، وفعل الخير ، وإقرار المعروف ، وتغيير المنكر .

الدين عند هؤلاء جدل عقائدى من مخلفات القرون الأولى ، وعبادات مفصولة عن آثارها ، فالصلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر ، والصوم لا ينهى عن رفث أو صخب ، وهذا إسلام غريب .

إن الدين قبل كل شىء عقل سليم وقلب سليم ، ومن فقد هذه السلامة فلن يعزيه عنها أن يقيم شعائر أو يحفظ مراسم .

وقد رأيت فى محنة الخليج الأخيرة متناقضات تستدعى الدهشة : هذا يقول : لا مانع فى سبيل الوحدة العربية أن تظلم الكويت ، وهذا يقول : لا مانع فى سبيل حرب أمريكا وإنجلترا أن نقبل الاستبداد الفردى ، وهناك من يقول : إن الحرب الدائرة هى حروب صليبية جديدة .

قلت لأصحاب هذه المقولة : هل الطرف الإسلامى فى هذه الحرب الجديدة يقوده طارق حنا عزيز ، وميشيل عفلق؟

إن الأمة الإسلامية تعانى من فوضى فكرية رهيبة ، لا يصلحها إلا أن تعود إلى الإسلام بمفهومه النظرى الرحب ومفهومه العملى الدقيق ، وجمهور ضخم من الإسلاميين لا يقلون سوءاً عن عبيد العروبة المعزولة عن الدين .

ليست العودة إلى الإسلام أن نكتب على راياتنا : الله أكبر ، بل العودة إلى الإسلام أن نملأ قلوبنا : « الله أكبر » ، ونجعلها باعث أعمالنا وهدف حياتنا .

* * *

بل سينادى : ... يا مسلم

نحب أن نسأل أولئك الذين يملأون بالتفاخر الكذوب أفواههم ، ويريدون أن يخيلوا لأولى الأفهام القاصرة أن العرب يمكنهم الاستغناء عن الأمة الإسلامية ، كما أن العروبة يمكنها الاستغناء عن الإسلام .

نحب أن نسأل هؤلاء : هل قرءوا التاريخ؟ هل وعوا دروسه؟ وهل فى وجوههم بقية حياء تجعلهم ينزلون على حكمه؟ .

إن العروبة فى أشد أزماتها لم تجد منفذًا إلا لدى المسلمين المخلصين من أجناس الأرض الأخرى .

بل إن العرب لما تكسرت صفوفهم تحت سنابك التتار الزاحفين من الشرق ، وانهارت سدودهم أمام الصليبيين المنحدرين من الغرب ، وكادت تذوب هذه الأمة فى دوامة العواصف المطبقة ذوبان الملح فى الماء . .

فى هذه اللحظات العصيبة تقدم المسلمون من الأجناس الأخرى يصدون العدوان ويدافعون عن ديار العروبة ، ويبسطون حمايتهم المشكورة .

اجتاح التتار أقاليم الدولة العباسية الشرقية ودمروها تدميرًا ، ثم دخل زعيمهم هولاكو بغداد فى سنة ٦٥٦ هـ وقضى على الخلافة العباسية ، ثم اكتسحت جيوشه الشام وأصبحت على أبواب مصر .

ولقد أرسل هولاكو إلى سلطان مصر إذ ذاك وهو الملك المظفر (قطز) كتابًا ملأه تهديدًا ووعيدًا ، وطلب إليه فيه المبادرة إلى الخضوع له والاستسلام إليه .

فثارت حمية السلطان ، واستنفر الناس لجهاد التتار فتثاقلوا لما ثبت فى الأذهان إذ ذاك أن التتار لا يغلبون!! .

ولكن السلطان أعلن أنه سائر بنفسه للجهاد على أى حال ، وليصحبه من يشاء ، عند ذلك نفر معه الأمراء بأجنادهم .

وجرت بينه وبين التتار وقعة عظيمة عند عين جالوت وذلك فى رمضان سنة ٦٥٨هـ .

يقول المقريزى فى وصف بلاء « قطز » و « بيبرس » والجيش المصرى فى ذلك اليوم العصيب : « فلما كان يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان التقى الجمعان ، وفى قلوب المصريين وهم عظيم من التتار ، وذلك بعد طلوع الشمس وقد امتلأ الوادى ، وكثر صياح أهل القرى من الفلاحين ، وتتابع ضرب كوسات السلطان والأمراء ، فتحيز التتار إلى الجبل ، وعندما اصطدم العسكران اضطرب جناح السلطان وانتفض طرف منه ، فألقى الملك المظفر عند ذلك خوذته عن رأسه إلى الأرض وصرخ بأعلى صوته : «وا إسلاماه » وحمل بنفسه وبمن معه حملة صادقة فأيده الله بنصره ، وقتل « كتبغا » قائد التتار وانهزم باقيهم » .

صيحة « وا إسلاماه » كانت مفتاح النصر على التتار ، والصيحة نفسها هى مفتاح النصر على اليهود .

إن الحجر لن ينادى : « يا عربى ورائى يهودى مختبئ فأدركه » ، بل سوف ينادى : « يا مسلم » وعندئذ يتنزل النصر . .

* * *

تفسير الشعار المنقوص

الشعار الذى رفعه حزب البعث منذ نشأ : « أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة» ، ولا أرى بأسًا من عقد مصالحة بين المسلمين كافة ، وبين رافعى هذا الشعار ، على أساس التفسير الوحيد الذى يصح له ، وهو أن الرسالة التى حملها العرب - ولا يزالون يحملونها - هى الإسلام .

فماذا حمل العرب غيره؟ وماذا قدموا للناس إلا هذا الدين الكريم؟ ويوم يرتدون عنه فبماذا يوصفون؟ وماذا لديهم يفتحون أفواههم به؟

إن العرب الأقدمين فى تاريخهم السحيق رفضوا الوحى ، وفشل الأنبياء العرب فى اقتيادهم به . فماذا كان مصيرهم؟ هلكت عاد بعدما عصت هودا ، وهلكت ثمود بعدما عصت صالحا ، وهلكت مدين بعدما عصت شعيبًا ، وهلكت سبأ وقوم تُبّع وأصحاب الرس وغيرهم فهل سيكون مصير المستأخرين أفضل من مصير المستقدمين؟ .

إن عرب الجزيرة فى العصور الوسيطة طووا مسافات الخلاف ، وقهروا شياطين الهوى ، وآمنوا بخاتم المرسلين محمد - ﷺ - فإذا هم أمة من طراز جديد ، ﴿ **صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾[1] طلعوا على الدنيا بعد إيمانهم شروقًا ساطع الآفاق ، شريف الأعراق ، زاكى الأخلاق ، فاستكانت لهم الدول الكبرى ، واعتنقت شعوبها الدين الجديد ، وتبدلت الأرض غير الأرض ، واستطاع الصحابة والتابعون أن ينقلوا بأمانة مواريث السماء ، وأن يطبقوا بدقة ما حوت من رشد .

وتدافعت العصور ، وهى تتناقل الرسالة الكبيرة حتى جاء هذا العصر الأغْبَرُ وقد بلغ الإعياء من العرب مبلغه ؛ لأن فيهم مفرطين لم يحسوا عظمة الرسالة ، ولم يوفوا بالمواثيق المأخوذة ، فانقلب المتبوع تابعًا ، والمنتصب راكعًا ، والمبدع بليدًا ، والأباة عبيدًا!!! .

---

(١) النمل : آية ٨٨ .

ثم ظهر بين المسلمين من ارتد على عقبه ، وشرع يصيح : العروبة وكفى ، والبعث لا يكون إلا عربيًا ، والدين لا يعتقد إلا مكانًا ثانويًا ، إن بقى له مكان ، وبهذا الأسلوب من النباح نرتد إلى أيام مسيلمة وسجاح .

وبدهيّ أن يعين الاستعمار العالمى هذه الصيحة الغادرة ، وأن يمد أصحابها بكل سلاح ، وأن يمكنهم من افتراس المجاهدين المقاومين .

وعلم القاصى والدانى أن هذا اللون من الحكم يستحيل أن تأتى به شورى ، أو أن يكون له من الجماهير سناد ، فاتحدت العلمانية والإلحاد ، فى أشكال من القمع والاستبداد تحكم الأمم بالحديد والنار .

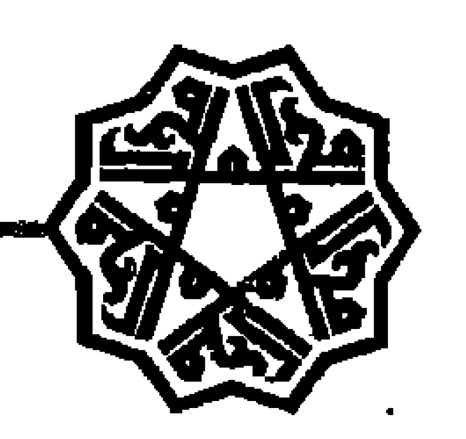
ثم طلع على الإنسانية عصر جديد ، كشفت فيه اليهودية عن وجهها ، وقالت : نريد أرض الميعاد ، وبناء الهيكل وعودة الشعب المختار إلى وطنه . . وكشرت الصليبية عن نابها ، وقالت : لقد توحدت كنائسنا لنستعيد مجد الرب ونمحو ما طرأ عليه من أغيار ، وبقى السؤال الفذ لأصحاب الرسالة الخاتمة : هل سيبقى فيكم جاحدون لرسالة الإسلام ، ساعون إلى ارتكاس العرب فى جاهليتهم الأولى؟

إن الإجابة على هذا السؤال لابد منها ، فإما أن يبقى الإسلام أو لا يبقى . . على النظم الكافرة أن تعلن إيمانها ، وعلى النظم المنافقة أن تبدى إخلاصها ، وعلى الجماعات الهازلة أن تواجه أيام الجد والعبوس .

إن المستقبل حافل بالنذر ، ولا نجاة لنا إلا أن نكون أمة واحدة ، ذات رسالة خالدة هى الإسلام وحده ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ * وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ ﴾[١] .

* * *

(١) هود : آية ١٢١- ١٢٣ .



عاقبة تعطيل الحدود

تفاحشت الجرائم التى تقع هذه الأيام بالليل والنهار ، ولفت الأنظار ما يقارنها من التحدى والبأس ، فقد توقح المجرمون ، وزادت ضراوتهم وشعر الناس بالقلق ، وأخذ الخارج يوصى القاعد ، والقاعد فى بيته يوصى الخارج إلى عمله ، ولا ندرى ما يجىء به الغد . . قلت : ألم يأن للذين عطلوا أحكام الله أن ينفذوها؟ إن حدًا من الحدود يقام بالحق جدير بأن يعيد الطمأنينة إلى القلوب الفزعة ، ويلقى الرعب فى قلوب معتادى الإجرام .

لكننا لا نفكر فى هذا الدواء الحاسم ، وقديمًا قيل :

ومن العجائب والعجائب جمة   قرب الدواء وما إليه وصول

كالعيس فى البيداء يقتلها الظما   والماء فوق ظهورها محمول

ماذا لو قبض على قطاع الطريق الذين سرقوا الذهب أو مادونه ، فقطعوا من خلاف ، أو أخذ من قتل منهم ، فصلب فى ميدان عام ، وعلقت جثته إعلانًا عن مصير العدوان المسلح على الآمنين ، وعن النهاية التى لابد منها لكل فاتك أثيم!!

كان البعض يقول : إن اللص يسرق ليأكل ، وهذا كلام مضحك ، لقد ظهر الآن أنه يسرق ليحشش ، وأنه يملك فى بيته - عندما يسرق - أجر من سيدافعون عنه ، ويلتمسون له البراءة أو تخفيف العقاب .

وقد بلغ الفجور فى الاغتصاب حد إجهاز الوغد على الفتاة التى استعصت عليه ، وأبت التفريط فى عرضها ، ولم تبق الجريمة خاطرا يساور شخصًا بطّالاً ، بل اتفاق بين متعاونين على الإثم والعدوان .

ومع تقلص الروح الدينية ، وضراوة الشهوات المادية ، أخذ شياطين الإنس والجن يذرعون القارات ويبعثرون المآسى فى كل مكان ، والصحف تنشر فتصف الجرائم ، وتسكت عن العلاج الصحيح ، ولا نجاة من البلاء إذا استمر ذلك الأسلوب .

بعض الناس يقصر فى الواجب استجابة للذة عاجلة أو شهوة عارضة ، أما أن يقصر فى الواجب ليتعجل ضررًا ، أو يستجلب خطرًا ، فهنا العجب العاجب؟! ماذا كسبنا من تعطيل الحدود؟ ماذا كسبنا من الحرب على المجرمين؟ لقد سمنت الكلاب ورأت أن تأكل أصحابها . .

إننا قررنا تقليد أوروبا فى كل شىء وما دامت نسبة الإجرام هناك صاعدة فلتكن نسبتها عندنا متزايدة ، لكن القوم مع شيوع المنكرات بينهم يضاعفون إنتاجهم ، ولا يتوانون فى عمل ، أما نحن فنجمع بين الكسل والإساءة ، أو بين العطل والجريمة .

والحكومة الآن تجرى وراء لصوص الذهب فى ضاحية الزيتون ، وربما وصلت إليهم بعد أسابيع أو شهور ، وربما فروا منها أبدًا ، وإذا حدث أن عثرت عليهم فسوف يحاكمون فى آماد طويلة ، ثم يحكم عليهم بالسجن عدة سنين أو حتى عشرين سنة ينزلون فيها ضيوفًا محروسين تعلفهم الدولة من حساب دافعى الضرائب ، وربما أطلقت سراحهم فى أحد أعياد النصر .

هل هذا علاج ناجح؟ إن لنا كتابًا ناطقًا يقول : ﴿ **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا** ﴾[1] . . إلخ فلماذا يكون موقفنا منه : ﴿ **سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا** ﴾[2]؟

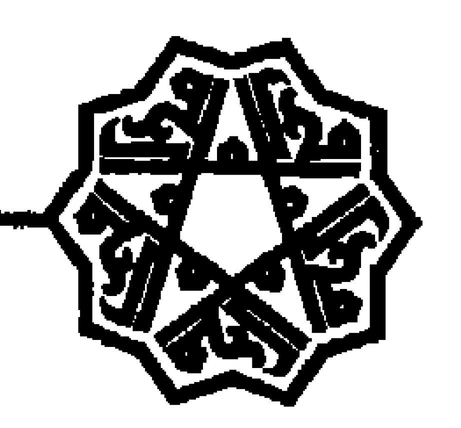
وماذا جنينا من هذا الموقف الذى تجمد ولا أرى ما يدل على تغييره؟ .

* * *

---

(١) المائدة : آية ٣٣ .

(٢) البقرة : آية ٩٣ ، النساء : ٤٦ .



بعث عربى .. أم ارتداد عقائدى ؟ !

فى العصور الأولى لم ينجح الأنبياء العرب فى هداية أقوامهم إلى الله ، ونقلهم من الظلمات إلى النور ، برغم طول المصابرة وجلال النصح ، كان أولئك العرب أغلظ قلوبًا وأسوأ طبائع من أن ينقادوا إلى هداتهم ، فحقت عليهم كلمة ربك .

وأعنى بأولئك الأنبياء صالحًا فى ثمود ، وشعيبًا فى مدين ، ولوطًا فى قرى المؤتفكة ، وكانوا جميعًا شمالىّ جزيرة العرب ، أما جنوبى الجزيرة فقد أنذر هود قومه بالأحقاف ، كما تمردت سبأ على رسولها الذى لم يذكر اسمه .

وعجيب أن يجمع الضلال بين الشمال والجنوب فى مواقف مشتركة ، تستبين معالمها من قوله تعالى للنبى الخاتم ﷺ وهو ينصح قومه بعد قرون طوال : ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾[1] . .

كانت عاد أهل غطرسة وجبروت استكبروا فى الأرض بغير الحق ، وقالوا : « مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً » [2]؟ وكانت ثمود أهل عناد وصلف : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾[3] .

وكانت الإبادة الحاسمة هى الجزاء الماحق للجميع . . ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾[4] .

إن خصائص العرب البائدة هوت بهم ، فلم يفلحوا أبدًا ، وأمسوا أحاديث يسمر بها السامرون ، وينشغل بها الدارسون . .

ثم ظهر محمد - ﷺ - وسط الجزيرة العربية ، واستطاع أن يحقق ما عجز عنه إخوانه فى الشمال والجنوب ، كيف أمكنه ذلك؟ تلك معجزته . .!

---

(١) فصلت : آية ١٣ .
(٢) فصلت : آية ١٥ .
(٣) فصلت : آية ١٧ .
(٤) سبأ : آية ١٧ .

وشاء الله أن يتحول العرب الجامحون إلى رهبان بالليل فرسان بالنهار ، وأن يصنع منهم النبى المحمد صلى الله عليه وسلم قوة للخير دكت الاستعمار القديم ، وأجهزت على جبروت الروم والفرس ، وقدمت للدنيا الإيمان والعدل وحرية العقل والضمير ، وجملة حقوق الإنسان ، والمعالم الدقيقة لفلاحه فى معاشه ومعاده .

ويبدو أن العرب حنوا للطباع التى أبادت خضراءهم بالأمس ، حنوا إلى طباع عاد وثمود وأمثالهم فإذا هم يتخلصون من قيود الإسلام التى كبحت جاهليتهم ، وجعلتهم أصحاب حضارة رائعة ، ثم أخذوا يتهامسون : نحن قبل كل شىء عرب ، وإذا كانت الأيام تقلبت بنا فلابد أن نغالبها بعروبتنا وحدها .

وأتاهم ميشيل عفلق من اليونان هاتفًا بحياة عاد وثمود ، زاعمًا أن محمدًا صلى الله عليه وسلم عظيم مثل هانيبال وحمورابى فهو بانى دولة عربية وحسب .

لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحى نزل

وانطلق العفالقة الحمر يقودون بعثًا عربيًا علمانيًا مقطوع العلائق بالسماء ، وليس الغريب أن يتحرك الشيطان ، ولكن الغريب أن يجد مغفلين يصفقون له ويمشون فى ركابه .

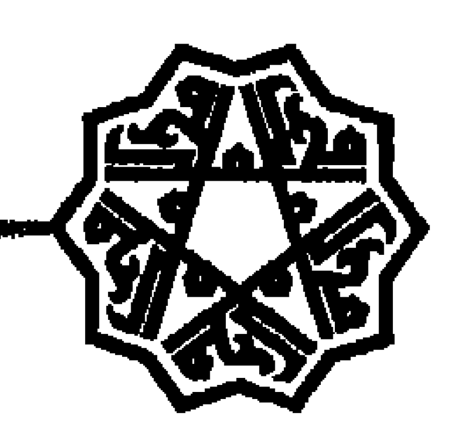
إن تجريد العروبة من كتاب الله وسنة رسوله وجهاد الأسلاف العظام حركة ارتداد عام خطرة فى عصرنا هذا خطورة حركة الردة التى قادها مسيلمة الكذاب قديمًا .

فليرجع العرب إلى الإسلام ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[1] .

ما العرب بغير دين؟! غثاء كغثاء السيل أو أتفه . .

* * *

(1) النور : أية ٦٣ .



مقتضيات الإيمان

الإيمان يفرض على أصحابه مواقف لا محيد عنها ولا فكاك منها ، وهل الإيمان إلا سلوك ملتزم واتجاه صارم؟

في مطلع سورة الأنفال رفض القرآن تطلع المجاهدين إلى الغنائم ، وتنازعهم في تقسيمها ، ورد الأمر إلى حكم الله ورسوله فيها ، فليست لهم مقترحات ، ولا تقبل في ذلك رغبات .

والموقف الوحيد المقبول شرحتهُ الآيات النازلة ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾[1] .

الإيمان الحقيقي يتطلب هنا موقفًا وحيدًا هو ذكر الله ، ووجل القلوب ، وزيادة التسليم والتوكل والصلاة والعطاء ، فهل هذا الموقف يتكرر على اختلاف القضايا المعروضة والأحوال العابرة؟ .

لننظر إلى آخر السورة فسنجد صورة أخرى لما يطلب من المؤمن عمله قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾[2] .

هنا واجبات جديدة من الكفاح الجلد والهجرة الزاهدة في الوطن من جانب ، وضرورة النصرة والإيواء والتعاون من جانب آخر ، ولا يصح الموقف إلا بتلاقي هذه المعاني جميعًا لدعم الحق وذلك وحده هو الإيمان الحقيقي!! .

مقتضيات الإيمان تتغاير حسب الظروف ولابد من القيام بكل موقف على حدة ، وتدبر قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾[3] اليقين الصحيح هنا يقوم

(١) الأنفال : آية ٢ - ٤ . (٢) الأنفال : آية ٧٤ . (٣) الحجرات : آية ١٥ .

على اتقاء الريبة وحسن البذل والتضحية بالنفس والنفيس ، وهذا موقف تمليه الأحوال التى يمر بها الإيمان من بلاء أو رخاء ، وهزيمة أو نصر .

ومع هذا التوجيه نذكر قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ ﴾[1] .

هناك مؤتمرات لها خطرها على مستقبل الجماعة ومصير رسالتها ، لا يتكاسل عن حضورها مؤمن ، فإذا حضر كان عليه أن يجعل نفسه طوع أمر القيادة يبقى ما أحبت وينصرف بإذن منها وحدها .

إن الإيمان مواقف صارمة ، وله توجيهه فى كل أمر ذى بال ، ولا يقبل من مسلم أن يتصرف على النحو الذى يرى ، بل هو تابع طيِّع لأوامر هذا الدين ومطالبه التى تتكاثر وتتغاير وفق تقلب الأحوال! هما خطتان : إما إيمان وإما انسحاب ، أمامك فانظر أى نهجيك تنهج ، طريقان شتى : مستقيم وأعوج! .

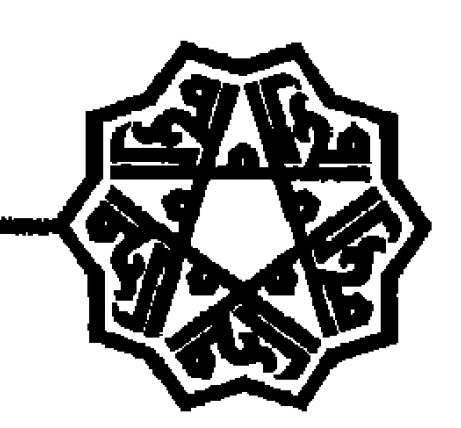
ويقول شاعر معاصر :

فى موكب حق أو فى موكب الزور	وفى ركاب العلا أو مربط العير
اختر لنفسك ما يحلو فليس بنا	من حاجة للمطايا والقوارير

الإيمان مواقف ، وهناك ناس متخصصون فى الهروب من المواقف إلى مواقف أخرى هى الباطل بعبثه ، وإن لبست أحيانًا ثوب التديّن ، فالفرار من الجهاد لا يغنى عنه المُكث فى صحن المسجد .

* * *

(١) النور : آية ٦٢ .



هل من توبة ؟

صلاة الرجل فى الجماعة تزيد على صلاته وحده سبعة وعشرين ضعفًا ، كأن الخير أصبحت له مظاهرة كبيرة تعالن به ، وتفرضه بين الناس ، وتجعله من معالم الحياة الراسية .

إن البر الوحيد شيء حسن ، وأحسن منه أن يتحول البر إلى تقليد متبع ، وعُرف شائع ، ودولة ذات سلطان ، وكذلك الحال مع الآثام .

إن الرجل المنقطع المعزول قد يتورط فى رذيلة فيقارفها وحده ، ما يشعر به أحد فكأنما ولدت ميتة ، ويوشك أن يتوب منها ، فيمحوها الله ، وينساها الحفظة ، كأن لم تكن . .

أما إذا انضم إليه غيره فى أدائها ، وتعاونوا جميعًا على الإثم والعدوان فإن الشر يتفاقم ، ويقوى بعضه بعضًا ، ويمتد أثره ، ويتضاعف وزره ، وذلك كله ذريعة الدمار العام ، وتدبر قوله تعالى فى حق قوم لوط : ﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنكَرَ ﴾[1] لقد ضرى الإجرام فما بُدّ من حسمه بزلزال يغير وجه الأرض ويمحو ما سادها من فحش .

إن الكسل فى أداء الواجبات جريمة ، قد يواقعها فرد فيبوء بإثمها وحده لكن ما العمل إذا وجدت أمة كسول تتراخى فيما يصلحها ، وتخلد إلى الأرض كأنما هى سكرى ، أو مخدرة ، إن عقباها إلى بوار .

وقد ثبت فى الإسلام أن الأمم المفرطة تسأل عن هذا الإجرام العام . . ﴿ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ﴾[2] .

---

(١) العنكبوت : آية ٢٩ .
(٢) الجاثية : آية ٢٨ ، ٢٩ .

وعلى هذه الأمم الخائرة أن تنشط وتتوب إلى ربها ، كما يتوب الفرد الفاشل سواء بسواء ، وقد أعجبنى من الدكتور درويش مصطفى الفار الأستاذ فى علم الجيولوجيا قوله : «المخططون الذين يهملون استثمار كل شبر من أرضنا ويريقون كل قطرة من ماء تعيننا على أن نأكل مما تزرع أيدينا ، هم فى حاجة إلى توبة» .

والمعلم الذى لا يغنى تلاميذه عن الدروس الخصوصية فى حاجة إلى توبة ، والتاجر المنهوم المتعطش إلى الأرباح الفاحشة بحاجة إلى توبة ، وجامعة الدول العربية التى لم تستطع خلال ست وأربعين سنة أن تحقق تقدمًا نحو وحدة الصف والهدف والفكر والعمل ، والتى عجزت عن منع التشرذم والانقسام تحتاج إلى توبة .

والمتفيهقون الصياحون عبيد المظاهر ، وهواة التعويق ، والذين يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا - محتاجون إلى توبة .

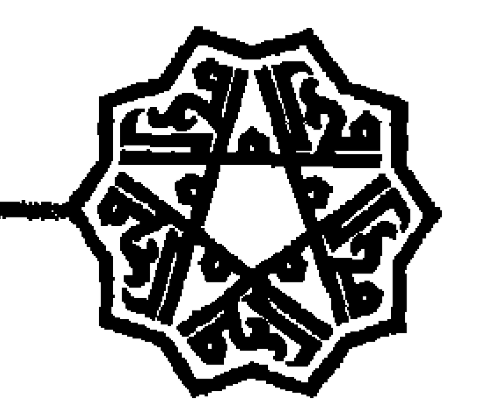
وأى موظف أو رئيس يمارس أساليب النخاسة أو التفرقة العنصرية ، ويشيع الاستعلاء هنا ، والاستخذاء هناك - يحتاج إلى توبة .

ومجامع البحث العلمى ، مجالس الخدمة العامة المكتفية بالألقاب والنعوت ، التى لم تستطع - مع طول بقائها - أن تمنع التسول الثقافى والاستجداء الحضارى - بحاجة إلى توبة .

وكل شيطان أخرس يخذل المظلومين ، ويدعهم مقهورين ، وهو قادر على مساندتهم وصون حقوقهم - بحاجة إلى توبة .

إن المعاصى الاجتماعية هى سرطان الأمم ، وسر ضياعها ، فهل نقلع عنها لتصبح أمّة سوية؟

* * *



اعدلوا... ينصركم الله

التصور الدينى للحكم يجب أن يكون سليمًا ، وإلا جر الخسار على الدين نفسه ، وربما حمل الناس على نبذه والبعد عنه .

إن قيام الناس بالقسط غاية مشتركة لجميع المرسلين ، ولم يقع أن أحد الأنبياء أرخص العدالة ، أو هانت لديه مظالم العباد ، فقد قرر الكتاب العزيز هذه الحقيقة في قوله تعالى : ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ** ﴾[1] .

وعندما تتظالم الأفراد والجماعات يرفع الله يده عنها ، ويتركها لعوادى الدهر تفعل بها ما تشاء ، وفى الحديث الشريف : «**لا تقدس أمة لا يقضى فيها بالحق ، ولا يأخذ الضعيف فيها حقه من القوى غير متعتع**» .

وقد أنكرت على جماعة من الإسلاميين التائهين برود مشاعرهم عندما ظُلمت الكويت ، وأهين أهلوها واستبيحوا ، كان يجب أن يكونوا أحدّ الناس صراخًا فى وجه الظالم ، وأشد الناس مساندة للمظلوم حتى يذهب عنه ما حل به .

وفى عصرنا هذا وضعت مواثيق حقوق الإنسان ، وضمنت كرامات الدول كبراها وصغراها ، ويؤسفنا أن هذا كله ارتكز على مهاد من الفطرة الإنسانية التى تحسن الحسن وتقبح القبيح دون عناء أو تكلف ، وتركت الأديان جانبًا ، لأن فريقًا من حملتها لا يبالى بفقدان الحقوق الخاصة والعامة إذا اطمأن إلى مصير عقائده وعباداته!! .

وقد كان الإسلام أول ما ظهر سنادًا للفطرة السليمة ومصدقًا لإيحاءاتها ومطالبها . . فقرر إقامة العدل ، وإن اختلفت الأديان ، وبرأ يهوديًا مظلومًا ، وأدان مسلمًا متهمًا ، وقال : ﴿ **وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ** ﴾[2] .

---

(١) الحديد : آية ٢٥ . (٢) المائدة : آية ٨ .

فماذا حدث حتى رأينا من يدّعى الإسلام ، ولا يبالى بعدالة فردية أو اجتماعية أو سياسية؟ أتغنى عنه همهمة لسان بكلمات؟ أو انقباض الجسم وانبساطه بأعمال الصلوات؟

الحق أن سقوط الدولة الإسلامية كانت من ورائه هذه الآفاتُ ، ولقد رأيت سيرة السلطان سليم الأول فاتح مصر ، فرأيت رجلاً متعطشًا لسفك الدم ، لم يبال أن يفتك قائد جيشه فى أمر من أوامره الطائشة ، ولما فتح مصر نكّل بعلمائها ورجالاتها ، وجعل القاهرة خرابًا ، فأى دين هذا؟ .

وفى عصرنا استباح صدام حسين دولة الكويت ، واقترف فيها المآسى ، ثم رأينا منتسبين للدعوة الإسلامية يحسبونه من المجاهدين للاستعمار العالمى! كيف يصح فى الأذهان هذا الهذيان؟

أريد من المنتمين للدولة الإسلامية أن يصححوا معرفتهم ، وأن يُصلحوا طواياهم ، وأن ينصفوا الصديق والعدو ، وأن يرتفعوا إلى مستوى الإسلام ، وإلا فستظل أيديهم عاطلة من أسباب السلطة ، وسيمنحها الله قومًا آخرين ، ينظرون فيفقهون ، ويحكمون فينصفون ، ألم يقل ابن تيمية : «إن الله ينصر الكافر العادل على المسلم الجائر»؟

❊ ❊ ❊



تهويل التوافه وتهوين العظائم

المعروف من كتاب الله وسنة رسوله أن الإسلام عقائد وعبادات وأخلاق وشرائع ، وأنه من التقاء هذه الأنواع الأربعة تتكون تقاليد ومعالم لمجتمع كامل وجماعة قائمة . . وليس يغنى فرض عن فرض ولا نافلة عن نافلة ، فكل تكليف له سره وله أثره ، ومجموعة التعاليم كمجموعة الحواس الإنسانية لكل حاسة ضرورتها ووظيفتها والأمر كما قال ابن الرومى :

هل السمع بعد العين يغنى مكانها   أو العين بعد السمع تهدى كما يهدى

ولكن عاطفة التدين عند أصحابها قد تصاب بأمراض مهلكة ، تتورم فيها بعض التعاليم وينكمش بعض آخر! .

ويغلب أن يكون ما تورم من الفروع القريبة أو البعيدة ، فيتضخم ليأخذ حيزًا ليس له ، كما يغلب أن يكون ما انكمش من الأصول المهمة فتكون دحرجته عن مكانته إضاعة للُباب الدين وأساس النجاة . . .

رأيت بعض الطلبة والعمال يتواصون بعدم تحية العَلَم ، ويزعمون أن تحيته شرك ، كما أفتى بعضهم بأن الموسيقى العسكرية ضد الإسلام ، وهؤلاء وأولئك يعملون تحت عنوان «السلفية» ، والسلفية فوق ما يزعمون! .

قلت لأحدهم : إن العَلَمَ رمز لمعنى كبير ، وهذا ما جعل جعفر بن أبى طالب فى معركة مؤته يقاتل دون سقوطه ، وتنقطع ذراعاه وهو يحمله ويحتضنه ، ولم يزعم مغفل أن جعفرًا كان يعبد الراية المنصوبة ، ولا يتصور فى عاقل أن يعبد مترًا من قماش .

ثم إن الموسيقى العسكرية تضبط الخطوات ، وتهيج المشاعر ، وتعين على أداء الواجب فلا مكان لخصومتها!! .

إنكم مولعون بتضخيم أشياء ، وتهوين أشياء دون ميزان يحقق العدل ، هل صورة التديّن المكتمل الجدير بالاحترام جلباب قصير ولحية كثة؟ هذه ظواهر وأشكال ، فأين أركان الدين من خلق وطاعة وجهاد؟

المأساة أن من تورمت لديه بعض المراسم ذهل عن الحقيقة الكبرى ، وتمحّص لمقاتلة الآخرين على التوافه ، ولم تتماسك فى ذهنه صورة سليمة ، أو حكم رشيد .

وقد ظهر أثر ذلك الفقه الضحل فى محنة الكويت وفتنة الخلية كبيرة فإن الذين حسبوا التدين تكبير بعض الأمور التوافه تحركوا بقوة مستغربة لمناصرة العدوان العراقى ، واتهام القوى العربية التى تصدت له .

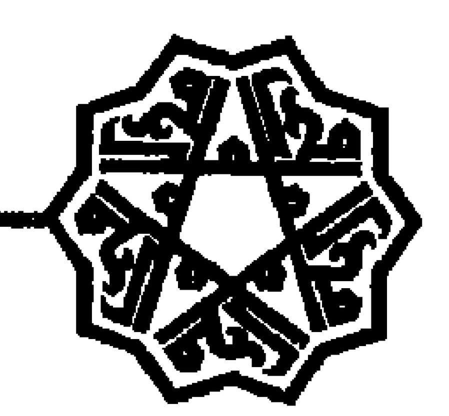
كأن مستقبل الإسلام المستوحش منوط بانتصار «ميشيل عفلق» و «طارق حنا عزيز» وعلمانية البعث العربى .

إن الدين الحق وعى صحيح بجملة العقائد والعبادات والأخلاق والشرائع ، وارتسام صورها فى نطاق النسب التى تقررت من عند الله لها ، فلا تشمل العين الخد ، ولا تضرب الأذن الكتفين!! لكل عبادة مكانها ومكانتها **﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴾**(١) .

والغرور بالجهل لا يغير حقائق الأشياء ، ولا يعترض مجرى الأقدار .

* * *

(١) البقرة : آية ٢٦٩ .



تعطيل الحدود ظلم للمجتمع

لست جبارًا أرصد العثرات لأجعل أصحابها نكالاً ، إننى امرؤ أشعر بضعفى وضعف الناس أمثالى ، وأجثو أمام ربى أسأله السلامة من كل إثم ، والقدرة على السداد والاستقامة .

إن قصة أبينا آدم خطأ وتوبة ، وفى تجاربى مع القدر الأعلى أن الله يستر كثيرًا ، ويمنح عباده فرصًا عديدة ، كى يصلحوا شأنهم ، ويقوّموا عوجهم ، ويوثقوا به علائقهم . .

ولن يهلك مع هذا الحلم إلا شقى لا عذر له ، ظن الصبر الإلهى إهمالاً فمضى يتعسف الطريق حتى لقيته وهدة لم يقم منها ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾[1] .

ومن هنا فأنا أنقم أشد النقمة على من يقترفون جرائمهم فى وضح النهار ، وباقتدار وتبجح ، وتزداد النقمة عندما يكون هذا العدوان وليد قُوى متعاونة ، وخططًا مرسومة ومبعث إصرار عنيد .

والأشخاص الذين يدبرون جرائم الاغتصاب ، ويستغلون قواهم فى ختل امرأة ضعيفة ويشبعون نهمتهم من افتراسها وهم آمنون ، هؤلاء إذا كشف الله عنهم ستره فيجب ألا تأخذنا بهم رحمة ، وأن نوقع بهم عذابًا يلقى الرعب فى قلوب أشباههم من السفلة العادين .

إن الأنبياء يرحمون المخطئ الذى عمى لحظة فهوى ، فلما استيقظ كاد يموت من الغم بل ربما طلب الموت راحة من عذاب الضمير!! وقع ذلك فى حياة محمد بن عبد الله – ﷺ – وفى حياة عيسى ابن مريم .

---

(١) البقرة : آية ٨١ .

ولكن الأمر يتغير عندما نواجه متبجحين بالمنكر ، جرآء على المعصية ، موغلين فى الفساد . . إن تطهير الأرض من هؤلاء حتم ، فهم جراثيم خطرة تحول الخطأ إلى خطيئة ، ولا تبالى بعوج الغرائز وأمراض القلوب ، وأغراها بذلك علماء أهل الكتاب الذين أماتوا أحكام الله ، ويسروا للناس سبيل الانحراف .

وقد حاول اليهود قديمًا تعطيل حد الرجم - مع وجوده فى كتبهم - حتى أكرههم النبى على إيقاعه ، ومع أن حد الزنى تقوم دونه عوائق شتى رحمة من الله بالعباد ، فإنه إذا زالت العوائق ووجب الحد ، لم تأخذنا رأفة بمجرم ، فكيف إذا كان الزنى اغتصابًا ، وفتكًا بمستضعف برىء؟

أعتقد أنه لابد من مراجعة قوانين العقوبات فى هذه القضايا ومحو السخيف منها ، فإن بعض هذه القوانين وضعها ديوث يقبلُ الريبة فى بيته وفى بيوت المؤمنين والمؤمنات . . .! ماذا لو قتلنا مغتصب عِرض؟ ما معنى العطف عليه بعدما فضحه الله ، وثبتت عليه جريمته؟ .

يجب أن نعود إلى شريعتنا فى استئصال الفساد وحماية الأمة؟

أكتب ذلك بعد ما قرأت هذا الخبر : «قضت محكمة جنايات الجيزة بالأشغال الشاقة المؤبدة على ثلاثة من سائقى السيارات استدرجوا فتاة إلى مكان موحش واغتصبوها» .

قلت فى نفسى : ماذا تكسب الحياة من بقاء هؤلاء أحياء؟ إنهم نزلوا ضيوفًا على السجن ، تعلفهم الدولة من أموال دافعى الضرائب! إن قتلهم بصفتهم قطاع طريق ومقترفى الزنى أفضل للمجتمع وأنفى للجرائم ، وأشفى لأفئدة المظلومين .

إنه القانون الوضعى الذى نقلناه عن أوربا لنشقى به ، أو ألزمتنا به أوربا حتى لا نفيق من دوار ، ولا نطهر من عار .

* * *



شياطين الشائعات فى الجزائر

قضيت فى الجزائر بضع سنين من أخصب أيام العمر خدمة للإسلام ورسالته ، وقد راقبت عن كثب مؤامرات شتى تحاول النيل من ديننا وأمتنا ، وتبذل جهودًا حثيثة خبيثة لتضليل مسعى المسلمين وإظلام مستقبلهم .

وماذا نقول فى قرار يصدر بإلغاء التعليم الدينى وحل الوزارة المشرفة عليه وهى وزارة التعليم الأصلى؟ . . إن الأوضاع التى أملت بهذا القرار كانت تخطط لضربات أشد تقصم ظهر الإسلام ، فلا تقوم له قائمة!! . .

حتى جاء الشاذلى بن جديد ، وأصدر قرارًا بإنشاء جامعة إسلامية ، هيأ لها موارد ثرة من طلاب التعليم الثانوى ، ثم قامت الجامعة فى وجه عواصف عاتية ، وكتب الله لها البقاء .

ونظر الشاذلى بن جديد إلى التيار اليسارى المعربد هنا وهناك باسم الاشتراكية ، فتجهم له ، وشرع يهيىء البلاد للاقتصاد الحر ويهيئ دروبها لاستقبال منهاج أجدى وأسد ، وقد تحمل فى سبيل ذلك عنتًا بالغًا ، وعانى المر وهو يرفع الأنقاض ، ويمهد الأرض .

وكان الاستعمار العالمى قد أوعز إلى أصدقائه فى أرجاء الأمة العربية ألا يسمحوا بتكوين حزب دينى ، ولكن الرجل المؤمن تساءل : لماذا يسمح بتكوين حزب شيوعى ، ولا يسمح بتكوين حزب إسلامى؟ ثم أعطى إشارة خضراء للإسلاميين فتكونوا ، وصاروا حزبًا ، إنه الحزب الوحيد فى المغرب الكبير!! .

ووقع ما كنت أحذره ، فإن الماكرين بالجزائر وبالأمة الإسلامية عامة سارعوا إلى إيغار الصدور ، ونشر الأكاذيب وتمزيق الصفوف ، فإذا مسلحون يظهرون فى مواقع مريبة ، ويندسون بين الجماهير يطلقون الرصاص على رجال الأمن ، ويوقعون بين الشاذلى بن جديد وشعبه!! وينشرون دعايات وأكاذيب ، ما أنزل الله بها من سلطان ، ويزعمون أن الرجل خصم للإسلام!! .

تذكرت حديث مسلم فى ذلك : «إن الشيطان ليتمثل فى صورة الرجل ، فيأتى القوم فيحدثهم الكذب ، فيتفرقون ، فيقول الرجل منهم : «سمعت رجلاً أعرف وجهه ولا أعرف اسمه يحدث كذا وكذا» وهكذا تنتشر الشائعات ، وفى حديث آخر لمسلم : **«يكون فى آخر أمتى أناس دجالون كذابون ، يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم ، فإياكم وإياهم ، لا يضلونكم ولا يفتنونكم»** .

فإذا استأجر الاستعمار جزائريًا ليطعن فى شرف المصريات فاعلموا أنه شيطان يفترى ، والشعب الجزائرى برىء منه .

إن الجهود دائبة فى هذه الأيام لتمزيق الشمل الإسلامى ، وبعث مشاعر فتنة بإيغار الصدور ، وحفر فجوات بين الشعوب .

فلنصم آذاننا عن هذا اللغو ، وأنا أهيب بالإسلاميين فى الجزائر ومصر وغيرهما من الشعوب أن يفتحوا أبصارهم بقوة ليضربوا على أيدى الكذبة الفجرة ، إن الاستعمار راغب فى جعل المسلمين أمة يأكل بعضها بعضًا ، ويلعن بعضها بعضًا ، فليكن المسلمون أيقاظًا لرد هذا البلاء وإحباط هذا المكر .

* * *



مازلنا نياما تحت العلل

ألقيت كلمتى فى المجلس الحاشد ، وانتظرت سماع السائلين فيما أثرت من قضايا ، وتوقعت أن تكون حول فتنة الخليج ، فإن الكلمة كانت فى إحدى مدن الخليج ، والأحداث الأليمة لما تزل شديدة الإيجاع ، والآثار التى خلفتها تجاوزت المشاركين فيها إلى جماهير المسلمين فى كل مكان .

ولكن السؤال الذى فاجأنى كان من واد آخر ، والعدد الذى تقدم به كان كبيرًا من الصعب تجاهله! .

قال السائلون : هل الأرواح تعرف ما نحن فيه؟ وهل الموتى من أهلينا وأحبابنا يرقبون أعمالنا ويستغفرون لأخطائنا؟ . . وتريثت فى الإجابة كارهًا السؤال وأصحابه ، إن القوم مشغولون بما وراء المادة لا بالمادة نفسها ، مشغولون بعالم الغيب لا بعالم الشهادة ، لقد فرغوا من قضايا الحس ، وبقى أن يعرفوا قضايا أخرى . .!!

قلت ملتويًا بهم : إذا كان الاستغفار للذنوب يهمّكم فإن الملائكة - كما خبرنا القرآن - تستغفر لكم ﴿ **رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ** ﴾[1] بل إن الأمر أوسع فالملأ الأعلى ينظرون إلى سكان هذا الكوكب المنحوس وما يقترفون من خطايا ، فيرجون الرحمن أن يعفو ﴿ **تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ** ﴾[2] .

فقال السائلون : نعرف هذا ولا نسأل عنه ، إننا نسأل عن نبينا والصالحين من أمتنا وأهلينا الأقربين الطيبين ، هل هم أحياء يعرفون أحوالنا ، ويشغلون بأمورنا ويدعون لنا؟ ورأيتنى محاصرًا بالسؤال الكريه ، فقلت : أما أنهم أحياء فلا ريب فى ذلك! ولكنهم أحياء عند ربهم ، وأما أنهم مشغولون بنا فهم مشغولون بما قدموا وأخروا ﴿ **كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ** ﴾[3] .

---

(١) غافر : ٧ . (٢) الشورى : ٥ . (٣) الطور : ٢١ .

والبشر فى الدنيا ما كانوا يعلمون الغيب ، فلن يطلعوا عليه بعد مماتهم ، ولن يعرفوا مصائر الآخرين إلا بعد أن ينتقلوا من هذه الدار إليهم ، وخير لكم - معشر المسلمين - أن تصلحوا أنفسكم ، وأن تقبلوا على شئونكم توجهونها إلى مرضاة ربكم بدل هذا البحث فيما لا يغنى .

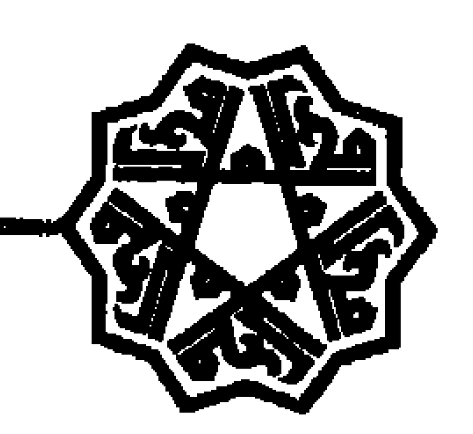
وهنا قام شيخ بدين شديد الثقة بنفسه يقول : بل الأرواح تعرف ما نحن فيه ، وترقبنا فى عليائها ، وأول هذه الأرواح الرسول الأعظم يقول : «حياتى خير لكم ، ومماتى خير لكم ، تعرض على أعمالكم فما وجدت من شر استغفرت الله لكم» وفى كتاب الروح لابن القيم أدلة كثيرة على ما أقول .

ووجدتنى مرة أخرى قد استدرجت إلى جدل عقيم من النوع الذى أبغضه ، ولكن لابد من الإيضاح ، فقلت للشيخ المعترض : لقد جاء فى الصحاح «أن ناسًا من أصحاب رسول الله قريبين منه يسحبون بعيدًا عنه - يوم الحساب - فيقول : أصحابى أصحابى أين تذهبون بأصحابى؟ فيقال له : أنت لا تدرى ما أحدثوا بعدك» فهذا نص على أنه لا يعرف حال أقرب الناس منه ، وحديثك الذى ذكرته لا يساوى شيئًا ، وكتاب الروح لابن القيم إن صحت نسبته إليه فهو كتاب رؤى وحكايات لا يؤخذ منه حكم دينى .

وحدث الضجيج الذى كنت أخافه ، فإن الشيخ وزمرته كرهوا مقالتى ، وما ساءنى أن يكرهوا قولى ، ولكن الذى ساءنى أن يكون الناس فى واد ، ونكون نحن فى واد آخر ، نتجادل فى أمور لا خير فيها ولا طائل تحتها ، ثم ننقسم حولها متخاصمين فى وقت قرر فيه أعداء الإسلام أن يجهزوا عليه وعلى أمته .

لقد كان فى الأحداث الهائلة التى مرت بنا ما يوقظ النيام ، ويزعج أولى الغفلة ، ولكن العلل القديمة لا تزال تفتك بنا ، وتضرب بعضنا ببعض ، وتجعل البعض يقاتل من أجل عدم أخذ شىء من شعر اللحية ، وينسى الدواهى التى تزلزل البلاد والعباد .

* * *



لن يفل الحديد إلا الحديد

قالت إسرائيل لهيئة الأمم : لا تتدخلى فى النزاع القائم بينى وبين العرب ، فلا مكان لك فيه ، وخرست هيئة الأمم وجمدت حركتها ، فلم يُسمع لها قول ، ولم يَظهر منها فعل . . إنها منذ أسابيع قليلة كانت قاضيًا مهيبًا جريئًا . . تتحرك قواها فى البر والبحر والجو لتأديب العراق لَمّا بغى . . فماذا حدث حتى أمسى اللصّ اليهودى يأمر ويزجر ، ويعد ويتوعد؟ وما الذى جعل الهيئة الكبيرة تتراجع مخذولة مرذولة لا تحق حقًا ولا تبطل باطلاً . .؟

المعروف أن إسرائيل صنعتها هيئة الأمم المتحدة ، هى التى جعلت من العصابات دولة ، وخلقت من العدم كيانًا سياسيًا فرضته على الصعيد الدولى ، وألزمت الأعضاء بالاعتراف به .

وها قد شبّ الوليد عن الطّوق ، وملك من الأسلحة ما هدّد القريب والبعيد ، وقرر أن يتوسع ، ويُشبع أطماعه ، فإذا خاطبته الهيئة على استحياء : حنانيك! بعض الشر أهون من بعض ، قال لها : اسكتى لا دخل لك فى علاقتى بالعرب دولاً وشعوبًا .

والعرب جديرون بما يقع لهم ؛ لأنهم - حتى هذه الساعة - لا يعرفون أثر الدين فيما جرى ويجرى ، إنهم سلخوا العروبة عن الإسلام ، وقرروا أن يعيشوا عرايا ، فى الوقت الذى كان كل ذى قومية يؤخرها عن الدين ، ويلبى نداء الدين قبل أن يلبى نداءها . .!!

إن عملية « النبى سليمان » التى نقلت يهود الحبشة إلى إسرائيل ، شارك فيها البيض باسم الدين اليهودى ، وأعانت فيها أمريكا تلبية لنداء الكتاب المقدس ، وكان من الخوارق نقل عشرين ألف يهودى فى عشرين ساعة فقط .

وكان من احترام حقوق الإنسان أن يسمح لليهود الروس بالقدوم إلى فلسطين ، فى الوقت الذى يُرمى فيه العرب خارج أرضهم ، ويتم نسفُ دُورهم!! .

إن الأحقاد الدينية تعمل عملها فى السر والعلن ، ولا يزال العرب يتحرجون من الانتماء الإسلامى .

ما شعر « أللنبى » بذرة خجل عندما دخل القدس وهو يقول : « الآن انتهت الحروب الصليبية » وما شعر «جيرو » بأقل حياء وهو يقول عندما دخل دمشق أمام قبر صلاح الدين : « ها قد عدنا يا صلاح الدين » .

إن قادة أوربا وأمريكا لا يستهينون بروابط الدين أو إيحاءاته السياسية ، إذا استهانوا بروابطه العبادية والشخصية . . وهم لم يقاتلوا اليهود أبدًا من أجلنا .

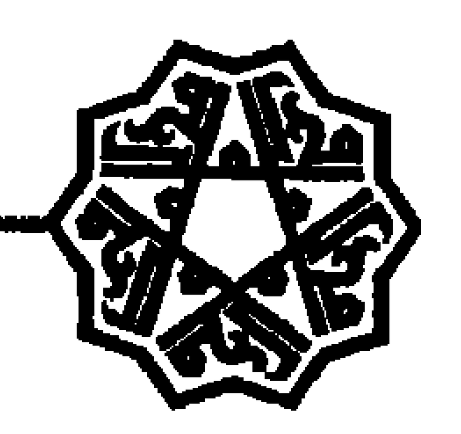
ونصيحتى للعرب أن يخرجوا من الهاوية التى تردوا فيها ، ويعودوا إلى الإسلام ، قبل أن تتحول هذه الهاوية إلى مقبرة تخمد أنفاسهم ، وتُوارى رُفاتهم . . أو قبل أن يذهب الله بهم ، ويأتى بغيرهم ، كما قال : ﴿ **وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ** ﴾[1] .

عندما كان الدين رباطًا بين المسلمين رفض الترك أن يبيعوا فلسطين ، وعندما نشأت القومية الطورانية والقومية العربية ضاعت فلسطين ، وكان الترك بين من اعترفوا بإسرائيل .

وإذا بقيت مكانة الدين ثانوية مهملة ، فإن إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل سوف تتحقق ، لن يقاوم الدين إلا دين ، ولا يفل الحديد إلا الحديد .

* * *

(١) محمد : آية ٣٨ .



ماذا نعرف عن إخوان العقيدة؟

كنت كغيرى من الناس أحسب أن الإسلام لم يكن له وجود بأقطار البلقان ، حتى قدم به الترك وهم يغزون هذه الأرض الواسعة بعدما استولوا على القسطنطينية أواخر القرن الخامس عشر الميلادى .

بيد أن هذا الظن تبدد كله بعدما سمعت المحاضرة التى ألقاها الدكتور « باليتش » خبير الشئون الإسلامية بالنمسا ، فقد أثبت الرجل بما لا يدع مجالاً لشك أن المسلمين وفدوا على هذه البلاد خلال القرون الثلاثة أو الأربعة السابقة للفتح التركى ، وأنهم كانوا معروفين بدينهم الجديد ، وأنهم بنوا لهم قرى يعيشون فيها ، ويقيمون شعائرهم الدينية ، وأنهم - إلى جانب أعمالهم فى الدولة - كانت لهم حرف شتى ، فهم يفلحون الأرض ويربون الحيوان .

وذكر الدكتور « إسماعيل باليتش » أمرًا آخَر جديرًا بالنظر العميق ، قال : « إنهم فى سبيل الدفاع عن أنفسهم وعقائدهم بنوا أسوارًا عالية على ثلاثين قرية كانوا يسكنونها ، حتى يأمنوا الاغتيال والفتك! ومع ذلك فإن المستضعفين منهم تم تنصيرهم كرهًا . . وبقى الأخذ والرد ، والهجوم والدفاع حتى جاء الزحف التركى فأنهى هذا النزاع » .

أى أن القتال فى البلقان كان شبيهًا بالقتال فى الحجاز والشام بين عرب يحملون راية الإسلام ، ورومانيين مستعمرين قدموا من وراء الحدود للسلب والنهب والفتنة المسلحة المتبجحة .

ومع ذلك فإن بعض الناس يصف الرومان الهاجمين على مؤتة وتبوك بأنهم مدافعون عن الشرعية الدولية ، وأن المسلمين الذين يرون تحرير بلادهم والعيش بدينهم معتدون ملومون! .

يقول المؤرخ الدكتور باليتش : إن الزعم بأن الترك حملوا الإسلام إلى دول البلقان

ليس له أى سند من تاريخ ، وأنه خلال القرن التاسع عندما نزل الهنغار سهل «بانونيا» ظهرت جماعات بدوية آسيوية كانت تعتنق الإسلام ، ويقول : إن المسلمين الهنغار لم يكونوا جميعًا مرتزقة - كما وصفتهم بعض الروايات - فقد أدار بعضهم مصلحة الجمارك الملكية ، واشتغل آخرون فى سك النقود أو فى تسويق الملح ، كما أنه لابد أن يكون آخرون قد اشتغلوا بالزراعة وتربية الحيوان . .

وقد ارتبطت جماعاتهم بالأمة الإسلامية الكبيرة ، ذكر المؤرخ العربى ياقوت أنه تحدث مع طلاب مسلمين هنغاريين فى مدينة حلب .

وقبله فى القرن الثانى عشر وصل العالم الأندلسى « أبو حامد الغرناطى » إلى البلقان وظل عامين يلقى دروسه فى هنغاريا . .!!

لقد سمعت المحاضرة القيمة القوية ، وغلبتنى حيرة شديدة وأنا أسأل نفسى : هل نعرف تاريخ ديننا؟ وكان الجواب المر المزعج : إننا لا نعرف إخوان العقيدة فى العصر الحاضر ، إننا نجهل أقطارهم وأحوالهم ، فكيف نعرف من مضى من الصالحين والشهداء؟

على المسلمين المشغولين بسفاسف الأمور أن يستحيوا من الله فى فهمهم للإسلام بقضاياه .

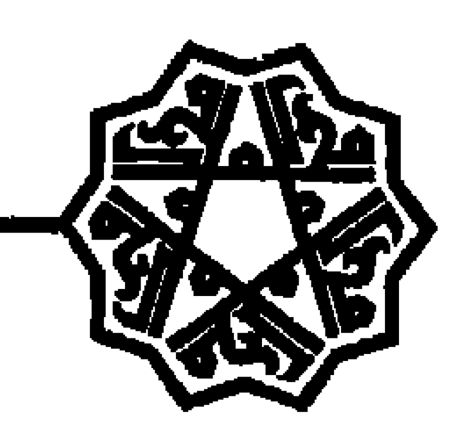
لقد أحزننى ما قرأت من أن بعض مجاهدى هذا الزمان يتجمعون صفوفًا حول منبر عال فيمحون ما زاد على ثلاث درجات ، ويستريحون بعدما حقق المنشار السنة النبوية .

يحسبون أنهم بهذه المهزلة قد أقاموا الملة ونصروا الدين ، فذكرت قول أبى الطيب :

أغاية الدين أن تحفوا شواربكم يا أمة ضحكت من جهلها الأمم

والجنون فنون . . وللتديّن الكاذب مجون وفتون .

* * *



من يتصدى لجيش التنصير؟

تهب على إفريقية السوداء رياح فتنة عاتية ؛ تبغى زحزحتها عن عقائدها ؛ ودحرجة الإسلام عن منزلته الأولى إلى الثانية ؛ أو ما وراء ذلك حتى يتلاشى .

ومعروف أن التبشير العالمى وقّت نهاية هذا القرن لبلوغ غايته ، وأن جيشه الهاجم استطاع التغلغل فى أقطار بيضاء ؛ بعدما اجتاح الجنوب والوسط .

والمعروف أنه لا توجد تقريبًا قوى مدافعة ، فليست للأزهر بعثات تقاوم ، وكذلك رابطة العالم الإسلامى ، والأهالى متروكون لأنفسهم ، وكانت هناك جمعية للدعوة إلى الإسلام تعمل فى جنوب السودان ، توقفت عن وظيفتها فى أثناء حرب الخليج .

وعلى جماهير المسلمين المعزولين أن يعتمدوا على فطرتهم السليمة وقواهم الكليلة فى مدافعة العدو الزاحف . .!!

وقرأنا أخيرًا أن عدد المشتغلين بالتنصير بلغ (١٠٤٠٠٠) موظف ، وأن المعاهد التابعة للكنائس بلغت (٢٠٠٠٠) معهد ، والجامعات الخاضعة لها (٥٠٠) جامعة ، ومدارس اللاهوت التى تخرج المنصرين الأفارقة (٤٩٠) مدرسة ؛ والمدارس ورياض الأطفال التى تشرف عليها الكنائس (١٠٦٧٧) مدرسة ، وبينت إحصاءات منظمة الدعوة الإسلامية أن المستشفيات التى تملكها الكنيسة (١٠٦٠٠) مستشفى ، ودور إيواء العجزة والأرامل والأيتام (٦٨٠) دارًا ؛ وعدد الطلاب المسلمين الذين يدرسون فى مدارس الكنيسة ستة ملايين طالب ، وعدد الصيدليات التى تملكها (١٠٠٥٠) صيدلية ، والمحطات الإذاعية أربع عشرة محطة .

هذا وصف موجز للجيش الذى يعمل الآن لنحت الإسلام ؛ وتعرية أصوله وفروعه ، وفض مجامعه واقتلاع أسسه ؛ وعلى من يقاوم هذا الجيش ألا ينتظر عونًا من أحد ، فلدى الأمة الكبيرة من الأزمات والآلام ما يشغلها عن نصرة مستضعف ، أو مواساة محروم . . قال لى صديق : إذا أفلح أولئك المبشرون فى تنصير الوثنيين فقد قاموا بعمل حسن ، قلت له : أنت لا تدرى المآسى التى تعانى منها هيئات التبشير ،

والانهيارات الأخلاقية التى تشيع فيها!! ألا تقرأ فى الصحف كيف انتشر الإيدز فى إفريقية حتى أصبح وباء يهدد كيانها؟

إن هذه البلاد المنكوبة سبقت - فى استفحال العلة - البلاد التى هاجر منها الإيدز ؛ فأربت عليها فى الفساد مع فقدان الأدوية ومخففات العلة .

اسمع هذا الخبر : نشرت جريدة صحيفة الوفد فى ٩ / ٧ / ١٩٩١م «من المتوقع أن تناقش الكنيسة الأسقفية - أكبر طوائف الكنيسة البروتستانتية - الأمريكية هذا الأسبوع مبدأ القساوسة الشواذ جنسيًا ؛ ومباركة الكنيسة لزواج شخصين من نفس الجنس!! . . أكد تقرير للكنيسة أن وجود الشواذ والشاذات فى سلك الكهنوت لم يعد سرًا ؛ وأن الكنيسة لا يمكن أن تدافع عن حقوق الشواذ والشاذات فى المجتمع عمومًا! إذا كانت تحرم العاملين فى سلك الكهنوت هذه الحقوق نفسها» .

إن المدنية الحديثة علمانية الفكر والسيرة ؛ وصلتها بالله منقطعة ؛ وتفكيرها فى الآخرة صفر ، وقد نضح ذلك على الدين فى أوربا وأمريكا ، فهو لا يقدم للناس زادًا روحانيًا هم بحاجة إليه! كلا إنه تحول إلى خادم للاستعمار الغربى ، وتحول رجاله إلى أمساخ من الخلق تشرب الخمر وتقترف الزنا ، وأهم ما يقدمه لسادته توهين قوى الإسلام ، والعمل على إهانة حاضره ، وإظلام مستقبله .

على هذا النحو يعيش ، ولتلك الغاية ينطلق ، فهل نصحو نحن؟

* * *

حقائق سبع

(١) تكتنف الإسلام أخطار مميتة ، فالمسجد الأقصى فى براثن اليهود والحملات الصليبية تسعى لجعل الإسلام دينًا ثانويًا فى إفريقية وآسيا ، وهى الآن تقلص مساحة أرضه وأعداد المنتمين إليه ، وقد قطعت شوطًا بعيدًا إلى غايتها ، والمسلمون فى غيبوبة مع أن الأمر يتصل بوجودنا : أنكون أو لا نكون؟

(٢) امتزجت القومية بالدين فى إسرائيل ، وفى جملة الدول التى تؤيدها ، أما فى العالم الإسلامى فالجهود مبذولة على الصعيدين الرسمى والشعبى لفصل القومية عن الدين ، وربط الولاء الإسلامى بأوهام شتى تحت ستار العلمانية والديموقراطية وغيرهما .

(٣) الجماعات العاملة فى الحقل الإسلامى غارقة فى الخلافات الفرعية والمجادلات المذهبية ، ناسية أن التجمع ضدها كلها قد تم لمحو الإسلام عقيدة وشريعة ، والإجهاز على تاريخه القديم والحديث ، وأنه لا يجوز أن يرتفع صوت يشغل عن هذه المعركة المصيرية .

(٤) التخلف الإسلامى فى المجال الصناعى والحضارى واضح ، والذهول عن عقباه طريق الموت ، ويجب توجيه الأجيال الجديدة إلى نهضة تقطع مسافة التخلف على عجل ، وإلا فالهلاك محقق .

(٥) الإسلام دين عقائد وأخلاق وتقاليد ذكية صارمة ، وقد تآمرت ظروف كثيرة على توهين العقائد ، وتخريب الأخلاق والتقاليد ، حتى أمست الأمة الإسلامية ملتقى لمفاسد مهلكة ، وتأخرت فى ميادين لا حصر لها ، ويقتضى هذا اتجاه الجهود لإصلاح الأمة أولاً قبل الاشتباك مع النظم الحاكمة ، وإثارة فتنة ضرها أكبر من نفعها .

(٦) مع أن المسلمين يملكون ثروات لا يملكها غيرهم ، فإن فقرهم ظاهر ، والتفاوت بين طبقاتهم شديد ، والفتوق الواقعة بين الشعوب الإسلامية تتسع ، وقد عالج الإسلام كل هذه القضايا ، من ناحيتى الإنتاج والتوزيع ، ولكن المسلمين غافلون .

(٧) أستطيع القول بأن شغل المسلمين بأمور أخرى من فقه المذاهب ، أو من هوى الأتباع ، أو من طلب الرياسة هو خيانة مخوفة الأثر فى هذه الأيام العصيبة ، والواجب تجميع الأمة كلها لتواجه مستقبلها ، وتكوين رأى عام واسع يوقظ الهمم إلى هذه الحقائق السبع ، ويلف حولها الجماهير .

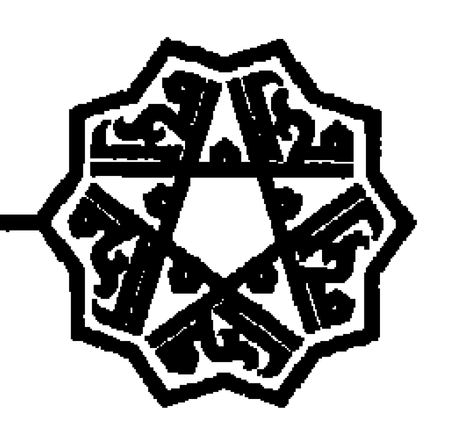
إن أعداء الإسلام أحاطوا به إحاطة السوار بالمعصم ، ويعلم الله ما بأنفسهم من سوء وشرور ، مهما رددوا من كلمات معسولة . . .

من كان يسألنى عن أصل دينهم ... فإن دينهم أن يقتل العرب

وليس وراء العرب متسع للغو أو تريث ، هذا أوانٌ يثوب الطائش ، ويجد الكسول ، ويعظم أمر الله من يستهين بأمره ، وإذا كانت المعركة اليوم هى معركة الإسلام ، فلا يجوز أن يرتفع صوت فوق صوتها ، ولا أن يبذل جهدًا إلا لكسبها . .

والله ولى التوفيق .

* * *



سقوط جديد فى الأندلس

أصابنى شىء من الفزع عندما علمت أن مؤتمر السلام بين العرب واليهود سوف ينعقد فى «مدريد» أو «مجريط» كما ينطقها عرب الأندلس ، فقد هجمت على ذكريات . . أى ذكريات . . إن هذه الأرض شهدت مصارع آبائى ، وغروب حضارتهم! كانوا حقيقة جاثمة على الثرى عرضًا وطولاً ، فأضحوا كما قيل : كان صرحًا من خيال فهوى! . .

واليوم يقاد الأحفاد إلى أرض الأجداد ، ليحاكموا بالتهمة نفسها التى حوكم بها آباؤهم ، وأدركت سوء العقبى فقلت كما قال موسى لربه ، لما هلك قبيل من قومه : ﴿لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلاَّ فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾(١) .

وتذكرت أطفال الانتفاضة الذين يقاومون بالراح أعتى أسلحة العصر ، والقائد المشلول الذى هزم المرض فى بدنه ، وقاد إخوانه فى معركة الشرف ، وألوفًا من الرجال والنساء يستميتون فى حماية ما تبقى من الوطن المقطع! وقلت : يا رب لا تؤاخذنا بما فعل أكابر مجرميها ، وارحم أجيالاً لا تزال تسبح بحمدك ، وتتعلق بعونك .

إن الأندلس - وهو فردوسنا المفقود - كان طرفًا فى كيان أمتنا لم تنزف كثيرًا عندما بتر منها! أما فلسطين فهى كبد الأمة المعنّاة ، إن لم تكن قلبها ، وضياعها يعنى الإتيان عليها من القواعد!

لكن سنن الله فى عباده صارمة ، ولا يجوز لعاقل أن يتعرض لها ، ثم يشكو أنها داسته فحال هشيمًا ، وأضحى رميمًا! .

ماذا فعل العرب بأنفسهم؟ ألم يقلدوا أفعال آبائهم الذين مزقوا الإسلام فمزق الله

---

(١) الأعراف آية : ١٥٥ .

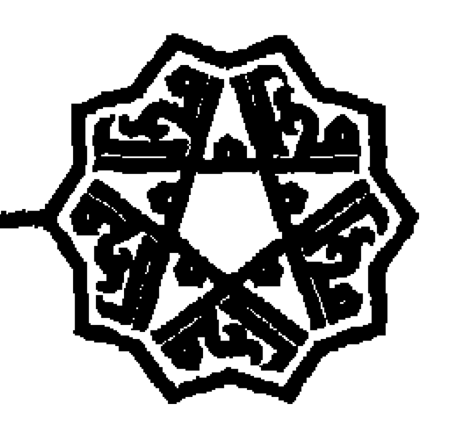
ملكهم؟ لقد كان عرب الأندلس يومًا ما مصابيح تضىء بعلوم الدين والدنيا ، ولم يعرف غرب أوربا حضارة إلا من تراثنا ، ولم يعرف عصر الإحياء الأوربى كيف يخطو إلا متكئًا علينا ومستهديًا بما قدمنا . .

ثم اختلف العرب وعاد الصراع بين اليمن والحجاز ، وعدنان وقحطان ، ونسيت الخلوف التائهة أن الإسلام طهرها من هذا النتن ، بيد أن الأهواء كانت أضرى ، فمزقت الأمة الواحدة ، وقبل أن تسقط غرناطة - آخر معاقلنا - كانت الخمور تشرب ، والموسيقى تصدح ، والقيان تغنى ، والشذوذ يسرى! فقال القدر كلمته : لقد جئتم هنا بسم الله ، وتحت صيحة (الله أكبر) واستبقيتم للطاعة والمعرفة والنور والقيم الرفيعة ، أما وقد ارتددتم على أعقابكم فلتذهبوا إلى الجحيم . والغريب أن عرب اليوم الكئيب يقومون بالدور نفسه . . يقول اليهود : هذه الأرض لنا باسم التوراة ، فلا يجرؤ زعماء العرب أن يجروا على ألسنتهم ذكر القرآن!! إن الانتماء الإسلامى محظور أو محقور!!

ومع الإطار الحالك المحيط بقضايا العرب ، ترى رغبات مجنونة فى الضحك والمرح كأنهم لا يقادون إلى الذبح ، فمتى إذن تعودون إلى الجد واليقين والكدح والإنتاج؟ ، وعندما قيل : الحكم للشعوب ، هذا عصر الديموقراطية يتكون فى الجزائر قرابة أربعين حزبًا يسعى إلى الحكم!! إن الأمريكان والإنجليز يكتفون بحزبين أو ثلاثة ، أما نحن فجنون العظمة يجمح بنا يمنة ويسرة ، فنعمى حتمًا عن الطريق ونبقى فى مكاننا ، بل نتقهقر إلى الوراء . .

يا عرب العصر الحاضر ، إنكم تجتمعون الآن مع خصومكم فى الساحة التى شهدت عقاب آبائكم . . وأمامكم فرصة أخيرة للنجاة . . إن قبلتم الاستسلام هلكتم إلى الأبد ، وإن ثبتم إلى رشدكم ، وتبتم إلى ربكم ، واعتززتم بدينكم أمكن أن يبدأ لكم تاريخ جديد ، يديل الله لكم فيه من إخوان القرود ، ويغسل أرضكم من دنس الاحتلال ، وتبقى فلسطين كلها - لا جزء منها - للعرب ، ويبقى المسجد الأقصى ثالث المساجد بعد الحرمين ، وإلا فالويل للمفرطين والمرتدين .

* * *



صيحات الصلح .. سراب

الحركة اليهودية الحديثة تعلن منذ بدأت أنها تصل ما انقطع من تاريخ اليهود ، أو تنطلق من حيث توقف السابقون ، وأنها تريد العودة ببنى إسرائيل إلى أرض الآباء والأجداد ، ليبنوا هيكل سليمان مرة أخرى ، ويستأنفوا رسالة جنسهم قافزين على نحو عشرين قرنًا من التوقف والشتات!! . .

أو بتعبير العهد القديم «سأقيم مظلة داود التى سقطت» . . وسيصحو اليهود بعد رقاد طويل ليعيشوا فى ظلال التوراة مرة أخرى . .

أما المدعو «عيسى» أو المدعو «محمد» فليس لتراثهما وزن ، ولا لأتباعهما خطر!! سيخضعون طوعًا أو كرهًا لبنى إسرائيل ، بعد أن تقوم دولتهم ، ويرتفع لواؤها . .

وقد نشط اليهود لبلوغ هدفهم ، وهم اليوم على مسافة خطوات منه ، أعانهم على ذلك أن المسلمين فى أسوأ أيامهم ، وأن العرب - الذين تلقوا الضربة الأولى - يؤثرون قوميتهم على عقيدتهم ، وأن الأوروبيين والأمريكيين مشغولون بأنفسهم ومستوياتهم العمرانية ، وأنهم لا يعرفون عن عيسى شيئًا طائلاً ، وأن المسيحية تعنى قهر الإسلام ، واستضعاف بنيه ، وهزيمة قضاياه . .

ونسمع اليوم تناديًا بسيادة السلام ، ونبذ الحروب ، حسنًا! فما أسس هذا السلام؟ لن يترك اليهود القدس ؛ لأن الخطة الموضوعة أن يبنى فيها الهيكل على أنقاض الأقصى ، ولن يتوقفوا عن إنشاء المستوطنات لأن الخطة جمع يهود الأرض فى هذه المنطقة التى يدعون ملكيتها ، وإذا توقفوا أيامًا قلائل فللراحة وحسب ، ثم يستأنفون البناء ، ولن يسمحوا للعرب بوطن مستقل حتى فى جزء من الأرض التى احتلوها ، وإذا سمحوا بوجود عربى فتحت رايتهم وسلطانهم ، ليشتغل أولئك العرب خدمًا وعمالاً فى بيوتهم وأراضيهم! .

إن الغاية الدينية المرسومة لليهود وفق كتبهم ومواريثهم هى «إسرائيل من الفرات إلى النيل» وهم بالسيف حينًا وبالاحتيال ماضون فى طريقهم ، وقد وضعوا قدمًا على الأرض ، ثم لحقتها الأخرى ثم بدأ السعى الحثيث لإدراك الآمال . .

والحق أن اليهود لو كانوا دون ذكائهم الملحوظ ونشاطهم الموصول لأمكنهم أن يحققوا ما حققوا فوق الأرض العربية ، فانتصارهم لا يعود إلى تفوق هائل قدر ما يعود إلى الاضطراب الهائل الذى يسود العرب ، والمحن الروحية والخلقية والسياسية التى تعم بلادهم .

العرب إلى اليوم لم يصححوا مواقفهم من الإسلام ، لا ولاء ولا انتماء ، وهم يؤثرون عليه أى شىء آخر . . وإذا كان الولاء لليهودية ظاهرًا فى نشأة إسرائيل وفى مدنها وقراها ، وفى شئونها المدنية والعسكرية ، وفى أعيادها وأحفالها ، وفى علاقاتها الدولية والمحلية ، فإن العرب لا يكنّون لدينهم هذه المشاعر الحارة ، وأعنى بالعرب عددًا كبيرًا من المسئولين فى الميادين الاجتماعية والسياسية ، بل إننا عندما أقمنا دورة الألعاب الرياضية جعلنا اسم «حورس» الإله الفرعونى القديم علمًا على هذه الدورة!!

إن قضية فلسطين هى قضية الإسلام!! والمسجد الأقصى ليس أثرًا عربيًا إنما هو معلم إسلامى يعنى جميع الأجناس التى اعتنقت هذا الدين .

والأرض من الفرات إلى النيل هى الامتداد الزمانى والمكانى لجهاد السلف الأول الذى قضى على الامبراطوريات الكِسْرويّة والقيصرية ، وأقام الحنيفية السمحة فى هذه الأرجاء .

وضياع الأقطار الإسلامية من الفرات إلى النيل معناه ضرب الوسط تمهيدًا للإجهاز على بقية الأطراف فى الشرق والغرب .

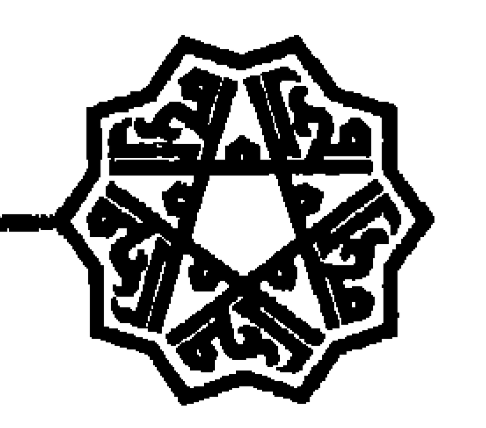
إن المؤامرة على الإسلام هائلة ، وإذا لم نصح من غفلتنا فستحيق بنا اللعنة . .

إن اليهود منذ جاءوا إلى فلسطين أيام الاحتلال البريطانى ، لم يفكروا فى صلح ، ولم يخطر ببالهم إلا إقامة إسرائيل الكبرى ، وقد أعنّاهم على أنفسنا بفرقتنا المؤسفة ، وتحوُّلِ العرب والمسلمين إلى شراذم مهتمة بمآربها الصغرى ، مغطاة العين عما يراد بها .

أريد أن أقول لمن تخدعهم صيحات الصلح : إننا نؤمل فى سراب ، وإن أعداءنا ماضون حسب مخططهم الدينى المعروف .

ولن ننجو من أحابيل الخصوم الظاهرين والأخفياء إلا بعودتنا إلى الإسلام فى قوة تعادل أو تزيد على عودة خصومنا إلى مواريثهم ، واستمساكهم بدينهم ، وحماسهم لمقدساتهم .

* * *



الإسلام وحقوق الإنسان

يشتغل بحقوق الإنسان الآن نوعان من الناس : نوع يعتبر نشاطه امتداداً لحلف الفضول الذى شهده النبى - ﷺ - فى صباه ، فسره وأثنى عليه وقال : «لو دعيت به فى الإسلام لأجبت » . . ونوع آخر من الساسة يتحدثون عنها فى المحافل الدولية حديثًا جديرًا بالتأمل والتريث ، لأنهم يضمنون هذه الحقوق لبعض الناس ويضنّون بها على بعض آخر ، فلليهود حقوق تصان ، وللعرب حقوق تهدر ، ويزداد البون بعداً عندما نعرف أن اليهود سالبون والعرب مسلوبون ، وأن صيحة حقوق الإنسان هنا غطاء لمظالم فادحة وغبن مركب . .

على أن هناك إعلانًا عالميًا بحقوق الإنسان اعتمدته هيئة الأمم المتحدة ، ورأت أنه ذروة الحضارة العالمية التى بلغها عصرنا ، وناشدت الحكومات والشعوب أن تقوم به وتحترم مواده كلها ، وبين الحين والحين تتهم بعض الدول بأنها خرجت على هذا الميثاق ، وتطالب بالعودة إليه ، حسنًا ، إلى هنا لا اعتراض لنا . .

وإنما اعتراضنا على الصلف والنفاق اللذين يصحبان هذه المطالب عندما توجه للمسلمين خاصة ، مشعرة إياهم بأنهم متخلفون عن الركب الإنسانى ، وأن المؤسسات الحديثة تعلمهم ما لم يعلموا هم ولا آباؤهم . .

منذ قرن واحد كان القانون فى إنجلترا يبيح للزوج أن يبيع زوجته لمن يشاء ، لم يتدخل إلا فى تحديد السعر ، فهل - نحن المسلمين - الذين نتهم باحتقار المرأة ؟ ونطالب بالتحضر فى معاملتها ؟

وعندما كان الرومان ينشرون المسيحية فى شمال أوروبا كانوا يسلخون جلود الوثنيين ، ويستغلونها فى أغراض خسيسة ، فهل يقاس هذا التاريخ الأسود بتاريخ دين يقول لنبيه ﷺ ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴾[1] .

---

(١) التوبة : آية ٦ .

ونحن نتهم بالإكراه فى الدين ، واستغلال القوة فى فتنة الآخرين ، فهل نصدق ذرة من هذا الاتهام ، وقد مات نبينا ﷺ ودرعه مرهونة عند تاجر يهودى ، عاش ومات مصون الحقوق مع سوء معاملته لصاحب الرسالة ، وهو يومئذ رئيس الدولة وصاحب الكلمة الأولى فى جزيرة العرب ؟ .

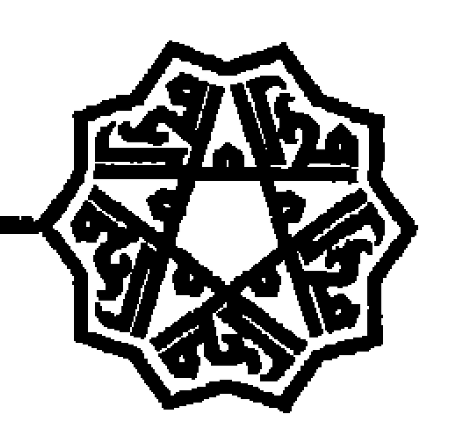
إن ديننا هو الذى اخترع الحريات والحقوق التى يتطلع إليها العانون والمعذبون فى الأرض ، ولكن المسلمين كأنما تخصصوا فى تشويه دينهم ، وطمس معالمه بأقوالهم وأفعالهم .

كان البدوى الذى يعرض الإسلام على حاشية كسرى نيّر البصيرة ، والعبارة عندما قال : جئنا لنخرج الناس من ضيق الأديان إلى سعة الإسلام . ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده !

إن هذا البدوى جاء بثمرة العقائد والعبادات عندنا ملخصة فى جملة قصيرة ، حوت ما نسميه الآن حقوق الإنسان !!

ولكن هذه القدرة لا يؤتاها إلا خبير بالكتاب والسنة ، خبير بعلل الشعوب وأدويتها ، يعرف هدفه ، ويعرف كيف يسير إليه ، فى رأيى أن هذا العصر أخصب العصور لتلقى تعاليم الإسلام ، ويا له من دين لو كان له رجال . . !

* * *



إنهم يجاهرون بتوراتهم، ونستحى من قرآننا

من قرن مضى ونحن نطارد جيوش الاحتلال التى تسللت إلى أرض الإسلام فى غفلة من شعوبها وحكامها ، وطوت راية التوحيد فى أغلب الأقطار ، ما نجا إلا من عصم الله ، وقد استعر الكفاح طويلًا حتى أمكن بعد لأى أن تجلو هذه الجيوش ، وتعود من حيث جاءت ! بيد أن تطهير الأرض من الغزاة الذين احتلوها لا يغنى أبدًا عن تطهير العقول التى دخلها أولئك الغزاة ، عسكروا بمبادئهم وقوانينهم وتقاليدهم !

إن العالم الإسلامى اليوم يواجه هجومًا ضاريًا من أقوام عرفوا بالعلمانية ، وظيفتهم الأولى محاربة التشريع السماوى وتوهين التربية الدينية ، وهم - مثل سادتهم الأجانب - يكرهون الدين كله ويتخذون محاربة الشريعة فى ميدان المعاملات ذريعة إلى محاربة العقائد والعبادات والأخلاق الإسلامية ، ولهم مهارة فى تحريف الكلم عن مواضعه ، وقدرة على استغلال الهنات التى قد تقع من بعض الإسلاميين كى يصموا الأمة كلها بما هى منه براء ، وكى يلمزوا الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان!

وأرى أن الشر قد استفحل ، وأن هؤلاء الناس طليعة لغارة عامة تشنها الصهيونية والصليبية معًا ، سيّما بعد الاختراق اليهودى للمسيحية ونجاحه فى تسخير دول كبيرة لمعاونة إسرائيل . . !

إن اليهود كان يهمسون بأمانيهم فى ابتلاعنا ، صاروا الآن يجهرون بهذه الأمانى ويرونها حقوقًا لابد من الحصول عليها !!

ويوجد بيننا من ينتمى إلى العلمانية ، أو من يرى انتشارها ببرود أقرب إلى الرضا ، ولعل أبرز مظاهر الخيانة للإسلام رفض الانتماء إليه والاستحياء من حمل شعاره . .

إننى أهيب بإخوانى فى كل قطر أن يزدادوا تشبثًا بالوحى الإلهى وبرسالة محمد ، فإن الحملة عليها تتسع ، والكيد لها يزداد !!

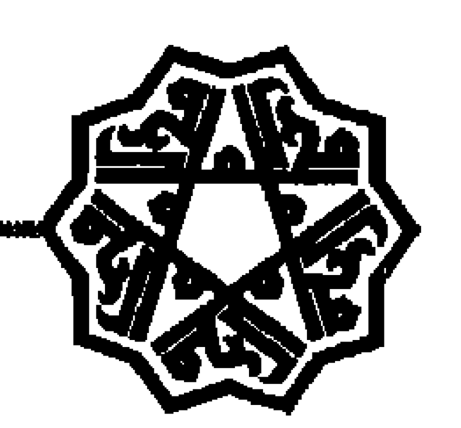
ولا يجوز أن يملأ اليهود أفواههم بالانتساب إلى إسرائيل ، على حين يخافت بعضها ، أو يأبى الانتماء إلى محمد ﷺ وتراثه ، إن أمتنا تحصد المر من تطبيق القوانين الوضعية ، ومع ذلك فإن المطالبة بالعودة إلى الشريعة مرفوضة ولو كان فى ظلها الأمان والاستقرار !

وأرى أن نكون صرحاء فى إبراز العلاقات المتينة بين العلمانية من ناحية ، وبين التنصير والتهويد من ناحية أخرى ، فحتى متى نتكتم هذه العلاقات ، وخصوم الإسلام فى الشرق والغرب لا يستحيون من المجاهرة بضرورة الإجهاز عليه والاستراحة من وجوده ؟ إن الجهاد الأدبى فى هذا المجال صنو الجهاد العسكرى .

وأثر القلم والصوت فى ميدان الإعلام لا يقل عن أثر المدفع والصاروخ فى ميدان القتال ، وأعتقد أنه يساق فى هذا المجال ما جاء عن رسول الله - ﷺ - : «ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بعذاب» .

و «من مات ، ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شُعبة من النفاق» !! والغزو الآن الدفاع عن الإسلام بكل سلاح متاح ، وبكل وسيلة مستطاعة ، وإنى أعجب لأمة تقاد إلى شر مصير ، ومع ذلك يفر رجالها من مقاومة العدوان ، والجهاد فى سبيل الله .

* * *



أسباب فرقة العالم الإسلامى

تتعرض وحدة العالم الإسلامى لمزيد من العوائق والمتاعب ، وسنشرح أسباب ذلك هنا لافتين الأنظار أولاً إلى الوحدة الألمانية التى تمت أخيرًا بين ألمانيا الشرقية والغربية! لقد كان يوم إعلانها عيداً فى البلاد كلها ، فقد زالت الفوارق المصطنعة ، وعاد المواطنون الألمان جميعًا صفوفًا متراصة تحت راية واحدة ، وشيعت ذكريات الفرقة باللعنة والمقت!! . .

وأسأل هل وقع شىء من ذلك عندما خرجت خمس دول إسلامية من وراء الستار الحديدى لتنضم إلى العالم الإسلامى الكبير؟ لقد فرح بعض الناس واستبشروا بمستقبل أفضلَ لإخوان العقيدة ، ولكن جماهير كبيرة كانت تسمع الأنباء وهى فى مكان بعيد ، وكأن الأمر لا يعنيها ، أو يعنيها على المجاز لا على الحقيقة .

ويرجع ذلك إلى أمور ، أولها :

نجاح السياسات الاستعمارية فى إقامة قوميات مختلفة على الصعيد الإسلامى بلغت سبعين جنسية ، تستظل كل واحدة منها بعلم خاص ، وأبناء الوطن الواحد قد يشعرون بقرابة الإيمان بينهم وبين الآخرين ، ولكنهم معنيون قبل كل شىء بإخوانهم داخل الحدود التى رسمتها السياسات العالمية ، فالمصرى يهتم بالإسكندرية أكثر مما يهتم «بيافا» والسعودى يهتم بتَبُوك أكثر مما يهتم بالخليل ، وقد استقرت الأوضاع العالمية على ذلك ، وارتضينا نحن ما كان . .

أما قول الرسول الكريم - ﷺ - : «المسلمون أمة واحدة يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم» فأملٌ لا يعرفه الواقع الأليم ، وعندما نسعى إليه نعتبر خياليين . .

والأمر الثانى أن بعض الشواذ يسلطون الخلاف فى الرأى على مبدأ الأخوة الجامعة ، فإذا كان يرى لحم الجزور ناقضًا للوضوء أو سدل اليدين ناقضًا للصلاة ، طارد مخالفيه فى الرأى ، وضيّق عليهم الخناق ليلحقهم بأهل المِلل الأخرى!!

وعندما يغلب هذا السفه فالويل لوحدة الأمة ، وأذكر شابًا جاءنى يسألنى أن أقترح له اسم كتاب يدرسه فى الفقه فذكرت له كتاب (فقه السنة) للشيخ سيد سابق ، ثم استدركت أسأله ماذا قرأت من كتب الأخلاق؟ فسكت متحيّرًا!! فقلت له : لابد أن تقرأ أولاً تعاليم الإسلام فى الصدق والأمانة والوفاء والحياء والرحمة والحب . . إلخ ، فلا قيمة لفقه بلا خلق . .

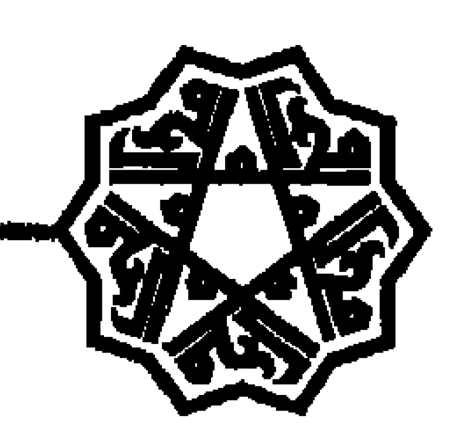
وهناك أمر ثالث : أن الغزو الثقافى يشن غارة شعواء على التقاليد الموحدة للأمة ، وقد علمنا أن التايخ الفرنجى يسبق التاريخ الهجرى ، وأن القانون يسبق الشريعة وأن الرطانات الأعجمية تسبق اللسان الفصيح .

وقد لاحظت أن اليهود حراص على عبادتهم - فى المفاوضات الأخيرة - على حين يتبجح العرب بترك الصلاة والصيام!! ويقولون عن أنفسهم : إنهم علمانيون!

لقد برزت فى أيام مشئومة عروبة عريانة عن الإسلام فماذا صنعت بالأمة الواحدة؟ أثارت البربر فى أقطار المغرب ، وأثارت الأكراد فى العراق ، وأقرّت الفواصل بين العرب والترك ، والهنود والزنوج ، وهزمت الإسلام فى ميادين كثيرة ، وأعانت الأديان الأخرى على الانطلاق وتسنّم مراكز الصدارة!!

إن الوحدة الإسلامية تحتاج - اليوم قبل الغد - إلى أن نراجع أنفسنا وأحوالنا ، وإلا فسَيْلُ الهزائم لن يتوقف .

* * *



أرخص الدماء !

الأخبار التى تنتهى إلىّ هذه الأيام تبعث على الكآبة . . فالإسلام يضرب بقوة فى أماكن كثيرة! ودماء المسلمين تسيل بغزارة ! والضاربون لا يخشون قصاصًا ، ولا يرهبون يومًا ولا غداً . .!! وباذلو الأموال لمحاربة الإسلام ينفقون بسخاء ، ويعدون الأجهزة الفعالة لدعم التنصير وتوسعة ميادينه ، وأمامى بيان بما أنفق العام المنصرم جاء فيه :

«أصدرت الهيئة الدولية لبحوث الإرساليات المسيحية نشرة إحصائية عن التنصير وأنشطته فى العالم لعام ١٩٩١ جاء فيه أن عدد المؤسسات التنصيرية ووكالات الخدمات المسيحية بلغ (١٢٠٨٨٠) وكالة ومؤسسة كما بلغ دخل الكنائس العاملة فى مجال التنصير (٩٣٢٠) بليون دولار ، وأنفقت (١٦٣) بليون دولار لخدمة المشاريع المسيحية ، وحققت الإرساليات الأجنبية دخلًا مقداره (٨،٩) بليون دولار .

وذكرت أنه يعمل فى مجال خدمة التنصير (٨٢) مليون جهاز كمبيوتر لحفظ ونشر المعلومات ، وأنه صدر (٨٨٦١٠) كتاب ، (٢٤٩٠٠) مجلة أسبوعية للدعوة ، وبلغ عدد الأناجيل الموزعة مجانًا (٥٣) مليون نسخة ، أما محطات الإذاعة والتلفاز المعنية بالتبشير فتبلغ (٢٣٤٠٠) محطة» .

وإذا جمعت الأرقام المنفقة فى أغراض التبشير لسنة ١٩٩١ لبلغت ١٨١ مليار دولار . . ومن حق أوربا وأمريكا وأستراليا أن تنفق ما تشاء لنصرة عقائدها ولكننا نتساءل : ماذا يفعل الإسلاميون فى مواجهة هذا الزحف الذى ما خفى منه أعظم مما بدا؟ إنهم – على فقرهم وضعفهم – يستطيعون الكثير المجدى! بيد أن هناك ما نشكو منه!! فالعقلاء المعتدلون فى مجال الدعوة يقيد نشاطهم عمداً ، ويكادون يدورون حول أنفسهم لانسداد الطرق أمامهم!! والمتطرفون يؤذون أنفسهم ببعض مسالكهم ، ويؤذيهم خصومهم بصنوف من البهتان ينسبونها إليهم ، هم منها أبرياء ، والأمر كما قيل : ومن دعا الناس إلى ذمة . . ذموه بالحق وبالباطل!! .

وأريد لفت أصحاب العقول والضمائر إلى خطورة هذه الأوضاع ، منذ أيام قتل خمسون مسلمًا فى «سيرلانكا» بالأسلحة البيضاء ، قتلتهم عصابات التاميل شر قتلة! ، وذهب الخبر المنشور مع الصدى ما تحرك له أحد ، وما تخلف عنه أثر!!

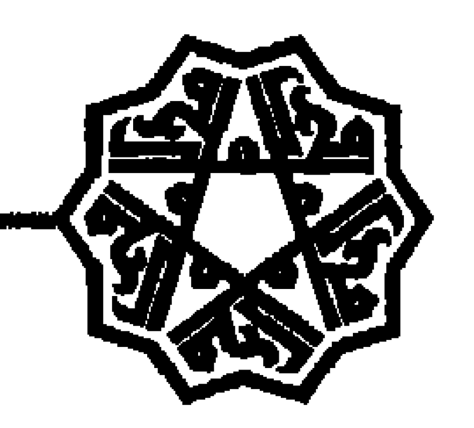
أنا موقن بأنه لو كان بعض هؤلاء القتلى من اليهود لزلزلت القارات الخمس ، ولأرسلت بعض الأساطيل لتعقب القتلة!!

أعرف أن الدم الإسلامى أرخصته أحوال أمتنا ، فأصبح أهون الدماء المسفوكة ، فهل إذا تألم أصحاب الغيرة لهذه الأوضاع اعتبر ألمهم عجبًا ، ونشرت حوله الإشاعات والتمست التهم؟

أليس من حق المظلوم أن يتألم؟ أليس من حق المسلمين أن يصرخوا إذا ضربوا؟

إننى أطلب من العاملين فى الحقل الإسلامى أن يتبينوا مواقع أقدامهم ، فإن المتربصين كثيرون ، وأطلب منهم قبل ذلك أن يحسنوا فَهم دينهم وفقه أحكامه وقضاياه حتى لا يمكنوا من أنفسهم ويجروا التهم على دينهم .

* * *



الآكلون على كل الموائد

التطرف لا يحارب بالإلحاد ، وإنما يحارب بالفهم الصحيح للإسلام ، والفقه الواعى لكتاب الله وسنة رسوله ، إن الغلو فى الدين آفة معروفة من قديم ، وقد قاومها أولو الألباب بشرح الحق واقتياد الناس إليه بلباقة وأناة .

لقد قرأنا خبر الثلاثة الذين استقلوا عبادة رسول الله ، ورأوا أن يزيدوا عليها ، فقال أحدهم : أنا أصوم ولا أفطر . وقال الثانى : وأنا أقوم ولا أنام . وقال الثالث : أنا أعتزل النساء . وبلغ أمرهم النبى - ﷺ - فأنكر عليهم ما قالوا ، وقال : **«أنا أعلمكم بالله وأتقاكم له ، ولكنى أصوم وأفطر ، وأقوم وأنام ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتى فليس منى»!**

إن مسلك هؤلاء النفر لا تصح به دنيا ولا يقوم به دين ، والنهج الراشد ما التزمه الرسول وصحبه ، ولا شك أن هؤلاء الثلاثة ثابوا إلى عقلهم ورجعوا إلى سيرة جماعة المسلمين كيف؟ بالنصح لا بالعصا! وبالأسوة الحسنة لا بالسيرة الغليظة الخشنة! ونحن نعرف ما يقاسيه الدين الحق من تطرف الأتباع الجهال ، ومن اجتهاداتهم العوجاء! ويزيدنا حرجًا أن أعداء الإسلام مهرة فى استغلال هؤلاء ، وتنفير الناس من الدين كله لما يؤخذ عليهم من أخطاء ويؤثر من آراء!!

أعرف أصحاب أقلام كانوا دعاة للتغريب يوم كان الالتحاق بأوربا طريق التقدم والارتقاء ، ثم تحولوا إلى دعاة للشيوعية يوم هبت ريحها وانخدع الغوغاء بها ، ثم أصبحوا اليوم دعاة للعلمانية يدقون طبولها دقًا عاليًا .

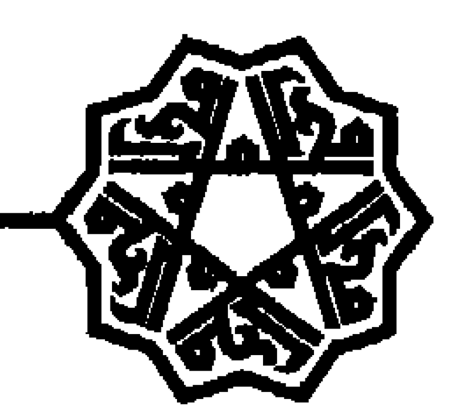
إنهم خصوم لله ورسوله ، مبغضون أشد البغض للإسلام وحده ، وكلما تمهد ميدان للعمل ضده كثروا فيه يظاهر بعضهم بعضًا ويشد أزره ، وهم الآن يحاربون الإسلام نفسه تحت عنوان محاربة التطرف ، وينتهزون الفرصة للنيل من حقائقه ؛ لأن الإسلام السياسى خطر على وحدة الأمة! أو على التقدم الحضارى كما يزعمون .

اختلق أحدهم قصة وهمية أن ابنته جاءت من المدرسة تبكى؟ لأن مدرس الدين قال لها : إن الجنة لا يدخلها إلا المسلمون ، وهى لها أصدقاء مسيحيون! لماذا لا يدخلون معها؟

ونشرت القصة فإذا كاتبة معروفة بمهاجمة المحجبات تتألم لما وقع ، وتطالب بمحاكمة مدرس الدين! وتحرك بعض الرسميين لبحث القضية ، فإذا هى مختلقة لا وجود للقصة كلها إلا فى خيال الكاتب المتخصص فى تشويه الإسلام ، ومسالك أتباعه!! هذا الكاتب نموذج لأشباهه ممن يحاربون التطرف كما يقولون ، وهم لا يزيدون ناره إلا اشتعالاً لأنه هو وأشباهه دليل على فساد المجتمع ، وامتلائه بالماجنين والمارقين . .

إننا مع جماعة المسلمين التى لا تعرف إلا المنهج الوسط ، والتى تكره التطرف . . ولكننا نلفت النظر إلى أن الإلحاد داء لا دواء ، وأن أصحابه أخطر على الأمة من سواد المتطرفين .

* * *



أين نحن من تعاليم الإسلام؟

لم يدر بخلد أحد أن سقوط الخلافة منذ سبعين سنة سيعقب كل هذه المآسى التى تمر بالعالم الإسلامى .

كانت الخلافة - على ما بها من عيوب - تمثل أبوة روحية وثقافية وسياسية يشعر بها المسلمون فى المشارق والمغارب ، فلماذا اغتيلت على النحو الذى هلكت به أمست الأمة يتيمة لا كافل لها ولا حارس .

وحاول أهل الغيرة أن يستعيضوا عنها بالجامعة الإسلامية ، ولكن ذلك كان قليل الجدوى ، وهذه الجامعة رباط كريم يقوم على أخوة الدين ورباط العقيدة ووحدة المنهج والهدف .

ولكن الاستعمار الثقافى استحيا القوميات الضيقة والواسعة ، وشغل كل قبيل بمآربه الخاصة .

فإذا الأمة الواحدة تصير سبعين أمة لها سبعون راية ، وتبعت ذلك غارات عسكرية على الأطراف تارة وعلى الداخل تارة ، وكل قبيل مشغول بنفسه وقضاياه! فنشأ عن ذلك ما نقص عليك نبأه .

فى سيرى لانكا أقلية مسلمة تبلغ مليونًا ونصف المليون من أشرف الطوائف وأنشطها وأغناها ، تزيد على عشر السكان ، وفى الحرب الدائرة الرحى بين البوذيين والتاميل الهندوك ، رأى الأخيرون أن يستولوا على الأراضى الإسلامية بعد إبادة سكانها أو إكراههم على الفرار ، وقد نشرت صحيفة الخليج هذه الأخبار الموجعة ، أذكرها كما قرأتها «تأكيد مصرع ١٣٠٠ مسلم على يد التاميل : واشنطون أ - ش - أ أكدت شبكة سى . إن . إن التليفزيونية أنه فى إطار المجازر التى تجرى للمسلمين فى سيرى لانكا قام نمور التاميل بذبح ألف وثلاثمائة مسلم دفعة واحدة»! والمعروف أن أولئك المتمردين قاموا خلال الأسبوع الماضى بحرق ٣٠٠ مسلم فى إطار سعيهم لإقامة

دولة خاصة بهم!! وقد جن جنون المسلمين لهذه المجازر الوحشية ، وعرضوا على الدولة تجنيد عشرة آلاف شاب مسلم للاشتراك فى مقاتلة التاميل . . ورد العدوان!!

وما يقع للمسلمين فى أسيا يقع الآن مثيل له فى أوروبا ، حيث يتم تقتيل الألوف من المسلمين لتخلو الأرض منهم ، ويسكنها اليوغوسلاف!! والواقع أن القتل يستحر فى المسلمين فى مواطن كثيرة ، والعالم يستمع إلى هذه المآسى ، ويجب ألا يشغل طويلاً بها ، فلديه من قضاياه الصغرى والكبرى ما يكفيه!

والمهمة من قبل ومن بعد تقع على عواتق المسلمين أنفسهم ، وإذا لم يحسنوا الدفاع عن أنفسهم فلن يدافع عنهم أحد . .

وأريد أن أتساءل : ما وقع هذه الأخبار على الأمة الإسلامية الكبرى فى أوطانها الرحبة؟ إننى أريد أن تنطلق بها مكبرات الصوت فى كل ميدان ، وأن يذاد بها النوم عن عيون النائمين ، وأن نؤخر بها وجبة من وجبات الطعام ، وأن نخرس بها الموسيقى الخنثة فى بعض الأطفال!! إن المسلمين جسم واحد يألم كله بما يؤلم بعضه ، فأين نحن من تعاليم الإسلام؟

إن الذاهلين سوف توقظهم آلام مشابهة ، ولن يجدوا من يرثى لهم .

* * *

القسم الثانى

الجرعات الأخيرة من الحق المر



ترتيب إلهى لحماية الحق

معروف أن نحو ثلثى القرآن الكريم نزل فى مكة المكرمة وأن بقية الأجزاء الثلاثين نزل فى المدينة المنورة .

وقد هاجر المسلمون إلى المدينة بعد ثلاث عشرة سنة قضوها فى مكة ومع ذلك فإن ترتيب المصحف ـ وهو ترتيب تم بتوقيف إلهى ـ جعل أول ما نزل فى المدينة أول ما ثبت فى المصحف! فكانت البقرة وآل عمران والنساء والمائدة صدر ما يطالعه القارئ ثم جاء بعدئذ ما نزل بمكة!

وقد تدبرت الحكمة فى هذا العمل فرأيت أن المسلمين بعد الهجرة اشتبك بهم أهل الكتاب وشنوا عليهم حربًا شعواء ، وكان محور هذه الحرب نفى صلة الإسلام بالسماء ، ورفض الاعتراف به جملة وتفصيلا ومخاصمة أتباعه إلى آخر رمق ، وجعل الوحى الصحيح فى مواثيقهم وحدها .

واستمع إلى قولهم : ﴿ لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ﴾[1] وقولهم : ﴿ كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُوا ﴾[2] .

بل ضريت العداوة ضد الإسلام حتى فضَّل القوم الوثنية عليه ، ورضوا بأن يعود المسلمون إلى عبادة الأصنام! فهم كما وصف الله : ﴿ يَشْتَرُونَ الضَّلالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾[3] .

وقد عاتبهم القرآن على هذا العداء اللدود ؟ ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ ﴾[4] . والغريب أن أهل الكتاب توارثوا هذه الخصومة فالمسلمون فى القرآن الخامس عشر من تاريخهم لايرَون بادرة اعتراف بهم أو بدينهم أو بحقوقهم .

---

(١) البقرة : ١١١ .
(٢) البقرة : ١٣٥ .
(٣) النساء : ٤٤ .
(٤) آل عمران : ٩٩ .

وعندما وُلِدت هيئة الأمم المتحدة تفاءلنا خيرًا وهيهات .

فإن العمل الوحيد الذى قامت به هو إنشاء «إسرائيل» على أنقاض العروبة والإسلام واحتضان غاياتها التى لن تتم وفى الإسلام رمق ، وتشجيع الأنظمة العربية والإسلامية التى ترتد عن الإسلام فى ميدان التشريع والتربية والتقاليد الاجتماعية ومنع وجود جماعات إسلامية محافظة تتبنى الإسلام منهاجًا ودستورًا . .

هل علمت لماذا بدأ المصحف بالسور التى تدافع عن الإسلام ضد عدوان المعتدين من أهل الكتاب؟

يبدو أن هذا الدفاع مطلوب حتى قيام الساعة . إنه ترتيب إلهى لحماية الحق .

* * *



« سلخانة » لذبح المسلمين

سمعت فى إذاعة لندن بنبأ الدكان الكبير الذى فتحه الصرب لبيع اللحم الإسلامى!

إنه ليس لحمًا للأكل . إنه يقدم قطع غيار مطلوبة فى جراحات شتى . . يقول طبيب : أريد كبداً سليمة بدل هذه الكبد المقروحة!

ويقول طبيب آخر : أريد كلية صحيحة بدل هذه الكلية المعطوبة!

ويقول ثالث : هذه العين لن ترى وأحتاج إلى عين سليمة القرنية . . . إلخ .

ويذهب المشترون إلى صربيا الكبرى!! ومعهم الأموال المغرية فإذا أصحاب فلسفة النقاء العرقى يقبضون على ألوف الشبان المسلمين بين السادسة عشرة والسادسة والعشرين . . ويقوم الأطباء بالكشف عليهم وإعدادهم لما يراد بهم!

والمعروف علميًا أن القلب مثلاً لايصلح للعمل إلا إذا نزع وفيه حياة ، أما إذا نزع من ميت فلا قيمة له وكذلك سائر الأعضاء الأخرى ، ولذلك يرشح المحكوم عليهم بالإعدام لهذه الخدمة .

وقد رأى الصربيون أن المسلمين يصلحون لهذا الغرض فنفذ فيهم على نطاق واسع . يجاء بالشاب فيقتل وقبل أن يسلم الروح تكون كبده أو كليتاه أو عيناه أو ما شاء الأطباء من جسمه قد انتزع وجرى تسفيره على عجل ليتحرك فى جسد آخر ، أو ليتحرك به جسد آخر!!!

إن القوم يرون أنه ليس لنا حق فى الحياة ، أو أننا ما دمنا مسلمين فلا نستحق أن نحيا ، وغيرنا أولى بقلوبنا وأبصارنا!!!

ما كنت أتصور النذالة تبلغ هذا القرار ، ولا الحقد علينا يبلغ هذا الحدّ .

وقد نبه مذيع لندن مشكورًا إلى الدرك الذى بلغته هذه الخسة ، ولفت النظر إلى أن جماهير من اليهود والنصارى ترفض هذا المسلك وتستنكره ، وأنا مصدقه ولكنى أسأل الإذاعات العربية السادرة : لماذا لم تكتشف هى هذه المصيبة!

أيظل أبناؤنا يذبحون سنين عددًا وهم لايدرون شيئًا وشغلهم الشاغل تطوير البرامج لتكون أملا بالمجون وأقدر على إضاعة الوقت؟ ولتضم الرقص الشرقى إلى الرقص الغربى؟ ومهازل القديم إلى مفاتن الحديث؟

المفروض أن الإعلام ثقافة وتسلية ، ولكن الثقافة ضاقت رقعتها حتى تلاشت أو كادت .

أما التسلية فقد قتلت روح الجدّ والصدق ، وهزمت التراث والخلق .

* * *



الحمقى المدخنون..

استغرق تحريم الخمر أكثر من خمس عشرة سنة ، ولعل هذا التدرج فى التشريع كان سر نجاحه!

فإن العرب كانوا شرهين فى شرب الخمر ولو أخذوا بتركها مرة واحدة لأخذ ذلك بالدعوة الإسلامية بل لأضر ذلك بالتحريم نفسه . !

وفى هذا العصر حرمت أمريكا الخمر بتشريع مفاجئ بعدما استيقنت من أضرارها الصحية والاجتماعية ولكن قانون التحريم فشل .

فالقلة المعارضة لم تقتنع به ، والكثرة المؤيدة لم تُضحِّ لنصرته ، وتألفت عصابات قوية لتهريب المسكرات ، وغرمت الشرطة كثيرًا فى حماية القانون دون جدوى ولذلك لم يبق أكثر من دورة برلمانية ثم أسقط فى الدورة التى تليها . .

وقد تعلمت أمريكا من ذلك درسًا تطبقه الآن فى محاربة الدخان ، إنها تأكدت من أن «النيكُتين» سم ناقع ، وأنه وراء أمراض قاتلة ، وأن إقبال الناس على التدخين حماقة مهلكة ، فهل تصدر قانونًا بتحريمه كما يشير الأطباء وكما فعلت من قبل مع الخمر؟

إنها لم تنجح ولا تريد تكرار الفشل ، فقررت ألا ينشر إعلان عن السجاير إلا نشر معه تحذير طبى يمنع أولى الألباب من تناولها ، وتبعتها دول العالم فى نشر هذا التحذير .

ولما ثبت أن جار المدخن يكتوى بناره قررت عزل المدخنين فى أماكن خاصة ، ويظهر أن شركات التبغ الكبرى ضربها الكساد فى العالم الأول وتريد تعويض خسائرها فى العالم الثالث فضاعفت إنتاجها وأقبل عليها شبان يحسبون الرجولة تدخين سيجارة! .

وما أفدح مصيبتنا فى هذا الشباب!

لقد رأيت الناس يبحثون بحماس عن مستنقع يفقدون فيه صحتهم وثروتهم ويجادلونك بغضب إذا أردت حملهم على سبيل الرشاد . .!

وانظرُ إلى حاكم «روسيا» الذى أكلت الخمر عافيته وأورثته الداء العضال ، إنه لا يريد أن يتوب ، ولو ظل يعبّ الخمر حتى هلك ما أسفنا لمصرعه ، ولكن أسفنا ؛ لأن مستقبل شعب إسلامىّ حُرٍّ مُناضلٍ رهن كلمة تمرق من فمه ، وما ظنك بكلمة تخرج من فم سكير؟ يأمر بالإبادة والمصادرة والإذلال وتعذيب الأحرار . .

إن الألوف المؤلفة من المسلمين المرابطين يتعرضون فى قراهم للدبابات تقذفهم بالحمم وتحيل بيوتهم ترابًا تنفيذًا لأمر رجل عطشان للدم والخمر!

أمر واحد يمكن أن يقمع هذا الرجل ، أن يخاف على نفسه من الأمة الإسلامية الكبيرة ، وأن يرهب نقمتها عليه وعلى قومه فهل نستطيع ذلك اليوم ، وإذا عجزنا اليوم فهل نستطيعه غدا؟ .

* * *



مسلمو الروس .. والمصير الكئيب

ما حدث لمسلمي شبه جزيرة القرم لايعلم به إلا قليل من الناس .

إن القيصر الأحمر «ستالين» أخرجهم من ديارهم وأموالهم وبعثرهم فى فيافى «سيبريا» ، لقد كانوا أمة متماسكة حفيظة على عقائدها وتقاليدها ، وكان من السهل تكوين دولة مسلمة فى شبه الجزيرة ، وذاك ما حفز ستالين على تشتيتهم ، والتهمة التى وجهها إليهم أن مشاعرهم كانت باردة عندما تقدم الألمان فى أعماق «روسيا» أثناء الحرب العالمية الأخيرة ، ومن ثَمَّ أوقع بهم هذا العقاب الماحق!

وكما ينقل موظف من بلد إلى آخر قصىّ نقل شعب من وطنه وتراثه وذكرياته إلى حيث يفقد ماضية ومستقبله!

والحق أن مسلمى «روسيا» أصابهم حيف بالغ فى العهد الإمبراطورى والعهد الشيوعى على سواء ، وأنهم فقدوا كل ما يسمَّى بحقوق الإنسان وديست شعائرهم وكراماتهم ، ومن استبطن دينه بعد ذلك عاش به معزولا حتى يوافيه أجله! وتلك الحقيقة هى التى جعلت «الشيشان» يستميتون فى الدفاع عن استقلالهم ، ولكن هذا الدفاع كلفهم هدم مُدُنهم وقراهم ، فلا يوجد فيها الآن بنيان قائم!

إن الشعب المؤمن يريد أن يحيا بدينه حرًا ، وبديهى أنه ليس خطرًا على «روسيا» فماذا يملك «الشيشان» للدب الروسى وقنابله الذرية جريمته أمام الروس وأمام ساسة العالم أنه مُصِرٌ على إسلامه؟! ، وهذه جريمة لاتغتفرها القوى الكبرى التى تحكم الدنيا وترسم الآن مستقبلها . .

والمأساة التى تكمن وراء قضية «الشيشان» و «كشمير» و «جنوب الفلبين» و«بورما» وسائر الأقطار المحروبة أن الأمة الإسلامية الكبيرة قطعت أوصالها النزعات القومية الضيقة .

فالعرب لايهتمون إلا بعروبتهم ، وكذلك سائر الأجناس التى عاشت تاريخها فى أحضان الإسلام أمست حبيسة حدودٍ صنعها الاستعمار الحديث فهى لاتهتم بما يقع وراء هذه الحدود . .

ونتيجة هذه العزلة الرهيبة إنها ستجتث الإسلام من جذوره فى عشرات الدول الإسلامية المتفرقة ولا بقاء اليوم لكلمة التوحيد إلا بتوحيد الكلمة ، وإحساس كل شعب أن مصيره مربوط بمصاير الآخرين .

* * *



الحديث الضعيف

سألنى أحد القراء : لماذا تورد أحيانًا بعض الأحاديث الضعيفة فى كتاباتك؟ فأجبته لأن لدىّ ما يقويها من الشواهد الصحيحة وينفى عنها الضعف .

خذ مثلاً حديث «أحبُّوا الله لما يغذوكم به من نعمة ، وأحبونى بحب الله ، وأحبوا آل بيتى بحبِّى» لقد ضعّفه الألبانى ، ولم أوافقه!

فانظر معى إلى الجملة الأولى منه ، هل محبة الله موضع ريبة؟

إن الذى يستقبل نعماء الله بالعقوق شخص خسيس ، ومن نحبُّ إذا جفونا الله؟

ثم ننظر إلى محبة رسول الله ما سرّها؟

إنه هو الذى دلّنا على الله ، وجلّى لنا عظمته ، وأحسن تمجيده وتوحيده بقوله وعمله وأنا مُستيقن أنه لم يوجد بشر فى الأولين والآخرين أبلى بلاءه فى تعريف الخلق بربهم واقتيادهم إلى سبيله!

ولذلك يقول الله سبحانه : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ...﴾(1).

فمحبة الرسول نابعة من محبتنا لله!

أما آل بيته فإن الناس فى المشارق والمغارب يكرمون الميت فى عقبه ، ألا ترى الحكومات كلها إذا مات موظف لديها كفلت أسرته وحمتها من المحن؟ فنحن من أجل الرسول نحب آل بيته ونصلّى عليهم تقديرًا لجميله فى أعناقنا!

إن فؤادى يتقطع عندما أقرأ أبيات «دعبل الخزاعى» يصف بيت رسول الله بعد موته فيقول :

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحى مقفر العرصات!
بنات يزيد فى القصور مصونة وبنت رسول الله فى الفلوات!

---

(1) آل عمران : 31 .

لماذا أضعف هذا الحديث وأجتهد فى اتهام السند إذا كان المتن لا غبار عليه . .؟ وخذ حديث حفظ القرآن الكريم الذى رواه ابن عباس فى شأن على بن أبى طالب ، إن الجمل الثلاث الواردة فى صدر الحديث هى عندى من آيات النبوّة ، وهى **«اللهم ارحمنى بترك المعاصى أبدًا ما أبقيتنى ، وارحمنى أن أتكلف مالا يعنينى ، وارزقنى حسن النظر فيما يرضيك عنى»** .

إن قوة الذاكر لاتتم إلا بهذه الثلاث ، فالمعاصى تشتت العقل!

والانشغال بكل شىء يمنع التوفُّر والاستيعاب وسوء التقدير لما يرضى الله طريق الحرمان من عطائه . . .

والحديث طويل وقد جربته وانتفعت به ، ولذلك قال الرسول ﷺ لعلىّ بعدما نفذ وصاته **«مؤمن ورب الكعبة يا أبا الحسن »!!**

والعلم الدينى لايهبه الله للمفرطين والأراذل ، إنما يوهب ويزاد لمن عمل به وأحسن صحبته أما علوم الحياة الدنيا فقد يُبرِّز فيها الخواجات . . . وما أقوله سبق به العلماء فإن الحديث القريب الضعف إذا ساندته شواهد قوية تلقيناه بالقبول .

* * *

أجمع النقاد على أن تراث محمد ﷺ وجد من الصوْن والحماية مالم يجدْه تراث بشر آخر فى الأولين والآخرين .

إن مادة الإسلام بقيت سليمة نقية تامة على امتداد الزمان والمكان ؛ لأن الله تأذن لهذا الدين بالحفظ على حين طاحت رسالات وسرى الخلل إلى أصولها وفروعها . .

ولست من علماء الجرح والتعديل وتمنيت لو كنت منهم ، فإن المرويات التى ارتبْتُ فيها تكشَّفَ لى أن أسانيدها مدخولة ، وأن الحاذقين أنكروها من قبلى!

والبلاء يجىء من راوٍ قليل الفقه ، أو من محدث لا بصر له بعلم الأصول .

وعلوم الدين كلها يخدم بعضها بعضًا ويؤيده! ويُكمِّل أحدها قصور الآخر . قال لى أحد الناس : إن «أبا حامد الغزالى» ذكر حديثين مردودَيْن فى اختيار الزوجة! قلت : ما هما؟ قال حديث **« إياكم وخضراء الدمن ! قالوا : وما خضراء الدِّمَن ؟ قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء»** والآخر **«تخيروا لنُطفِكم فإن العرق دساس»!**

قلت : قد تكون أسانيد هذه الأحاديث ضعيفة ، ولكن يشهد لها قول رسول الله فى حديث آخر لا خلاف فى صحته «**الناس معادن ، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا**» ولذلك لا أُخطّئ «أبا حامد» فى استشهاده بهما!!

وقد روى عن أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال «**الزبانية أسرع إلى فسقة القرآن منها إلى عبدة الأوثان ، فيقولون يُبْدَأ بنا قبل عبدة الأوثان ؟ فيقال لهم ليس من يعلم كمن لايعلم**»!!

إن هذا الحديث ضعفه كثيرون ، ولكن الحافظ المنذرى قَبِلَهُ وقال : يشهد له حديث مسلم فى صحيحه عن أول ثلاثة تسعَّر بهم النار يوم القيامة ، وفيهم رجل جمع القرآن ليقال قارئ! .

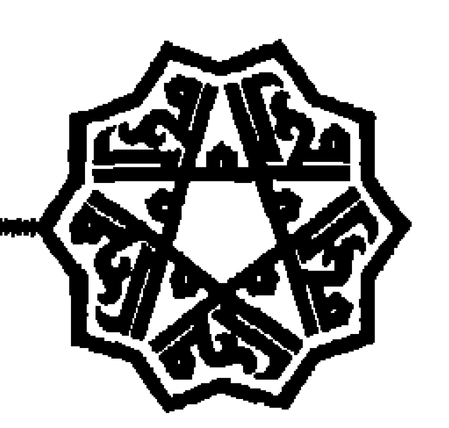
ومن لطائف المنذرى أنه فى باب الزهد روى عن سهل بن سعد قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : دُلّنى على عمل إذا عملته أحبنى الله وأحبنى الناس ، فقال له : «**ازهد فى الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما بأيدى الناس يحبك الناس**»!! وقد زيف المنذرى هذا الحديث وأنكر سنده ، ثم قال : لكن على هذا الحديث لامعة من أنوار النبوة»!! والزهد فى الدنيا مرفوض إذا كانت عونًا على الدين وسترًا للعرض وغنًى عن الناس ، فلا قيام لدين لم تحرسه دنيا أما إذا جاءت الدنيا من خدمة الجوْر ونسيان الحق فلا كانت .

والعلماء المشتغلون بالدعوة يعرفون مراميَ الكلام .

فإن تحريف الكلم عن مواضعه بلاء شديد .

* * *

رؤية فى عالم البعث والجزاء



عندما شعر «فرانسوا ميتران» زعيم فرنسا الأسبق أن المرض آخذ بخناقه وأن أجله قريب تساءل فى حيرة : وماذا بعد الموت؟

إنه لايدرى ما يعقب الوفاة! إنه يحسّ بالانتقال إلى مجهول بعد أن ينقطع حبل حياته!

وهذا الإحساس هو ما يخامر الرجل العصريّ فى أوروبا وأمريكا سواء كان فى عبقرية «ميتران» أو كان من عامة الناس!

أما أثر الدين فى النفس الإنسانية فمفقود أو هو أضعف من أن يملأ فراغ هذه النفس التى قطعت شوطًا بعيدًا فى الارتقاء العلمى . .!!

إن الأوروبّى قد يسمع طنينًا عن البعث والجزاء ، وقد يسمع حديثًا عن الله ولقائه ، ولكنه غارق إلى أذنيه فى حياته المادية لايعرف صلاة ولا صيامًا وينظر إلى رجال الدين بملابسهم المزركشة وأحاديثهم الخفيفة ثم ينصرف غير مكترث ؛ لأنها ما حرَّكت له فكرًا ولا أيقظت منه غافلاً ، فهو كما قال القرآن فى أمثاله : ﴿ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴾(١) .

إن النفس البشرية البالغة الذكاء لايستوقفها إلا القرآن الكريم ، ولا يهز أركانها إلا الوحى الصادق ، ولكن أين هذا الوحى؟

إنه مُسْتَخف وراء ركام من تخلّف المسلمين الحضارى وسقوطهم الذريع فى ميزان الفطرة والعقل .

وإذا كان أهل القرآن لايعرفونه فكيف يعرفه غيرهم؟

---

(١) الجاثية : ٣٢ .

إن «مسيو ميتران» نموذج للإنسان الذى صَنَعتْه الحضارة الحديثة ، لقد كان فى قضية البوسنة يكره المسلمين ويظاهر عليهم الصرب ، ويوم مات اجتمعت عند قبره زوجته وعشيقته وابنته غير الشرعية ـ وهى فوق العشرين ـ إن التقاليد التى حكمته تحرم تعدد الزوجات وتتغاضى عن السفاح وتدع فتاة فى ريعان الصبا ليس لها نسب قائم!

أمـا الإســلام الذى يرفض هذا التناقض فـهـو دين مـرفـوض ، وأهله منبـوذون مُسْتَباحُون!

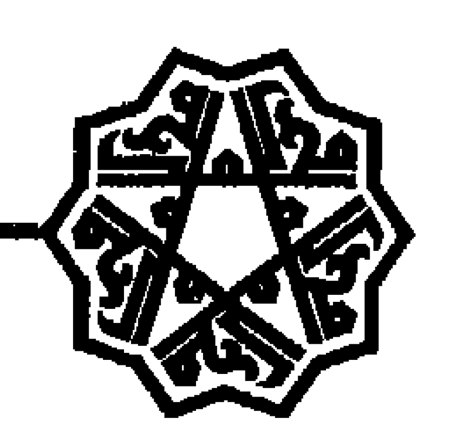
والزعيم الفرنسى لقى مسلمين كثيرين فى حياته الطويلة ، وأنا موقن بأن أحدًا منهم ما حدثه عن الإسلام قط . . .!

لماذا؟ لأن هؤلاء المسلمين لايثقون بما لديهم ، أو لا يقدرونه قدره!

وعقدة الضعف تفرض عليهم الصمت والتأدب مع أمثاله ، وسيسبقهم فى الميدان «كاردينال» يقول «لمسيو ميتران» إنى أغفر لك . . كما قيل ذلك من قبل لمستر «كندى» رئيس الولايات المتحدة!

إن حسابنا عند الله طويل .

* * *



أين القلب النابض باليقين؟

القلب الذى لا يأنس بالله ويطمئن إليه قلب خرب موحش تسكنه الهواجس والرِّيب ، كما تسكن البوم والغربان كل بيت هجره أصحابه!

إن الإيمان ليس دعوى فارغة وليس شقشقة لسان وليس معرفة نظرية ، وليس قدرة عقل ماكر ، إنه قبل كل شىء قلب سليم طهور واثق .

هذا القلب الراكن إلى الله الآوى إليه هو الذى عجز الفلاسفة عن صنعة وضلّ الماديون الطريق إليه! ولم يعرفه إلا تلامذة الأنبياء وعشاق الوحى الإلهىِّ الحىّ .

وقد ألمح إليه «ابن تيمية» عندما تساءل ما يبلغ أعدائى منى؟ سجنى خلوة ، ونفيى سياحة ، وقتلى شهادة!!!

إن ما يخشاه الناس هو ما يرحب به الرجل ولا يضيق ذرعه به .

إن السكينة التى تغمر المؤمنين فى مواجهة المصائب النازلة هى «البنج» الذى يصحب الجراحات الخطيرة فيبطل الألم ، أو هى الإضافة التى ينصح بها «ديل كارنيجى» عندما يقول : أصنع من الليمونة المرّة شرابًا حلوًا! وقد كتب «ابن تيمية» جزءاً من فتاواه فى أعمال القلوب تناول التصوّف الإسلامى فيها ببصيرة مشرقة وعرض لأئمة التصوف الكبار باحترام وتأييد ، ولا غرو فالرجل الذى يقول لا يدخل جنة الآخرة من لم يدخل جنة الدنيا أهل لذلك ، ويقصد بجنة الدنيا بداهة «اليقين» الذى يستحلى المتاعب فى ذات الله ، والرجال الذين يشرفون الجهاد الإسلامى بصلابتهم وبشاشتهم فى وجه الخطوب . .

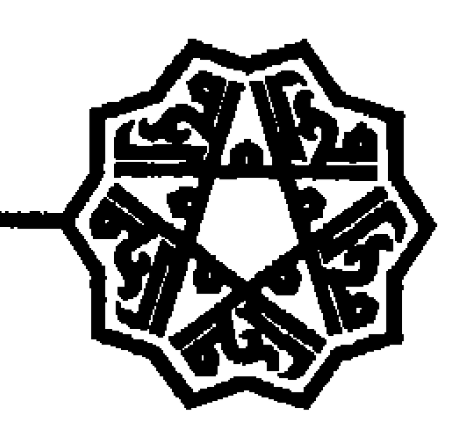
وقد انتقلت هذه النزعة منه إلى تلميذه «ابن القيم» عندما ألف كتابه الضخم «مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين» رداً على كتاب «منازل السائرين إلى رب العالمين» للهروى إمام الصوفية فى عصره! .

لقد درست كتاب «ابن القيم» وأنا معتقل فى «الطور» بسيناء فكنت أشعر وأنا أقوم من درسه بأنى أهبط من السحاب إلى الثرى!

ألا يوجد فى عصرنا من يصلح بين القلب والعقل فى تراثنا الدينى؟ .

إن التربية التى أراها قد تخرج «درويشًا» غبيًا ، وقد تخرج متفقهًا جلفًا .

أفلا نقدر على تكوين إنسان نضير الفكر والفؤاد معًا؟



نِعْمَ المالُ الصالحُ..

بئس السيد المال ونعم الخادم المال ، وفى الحديث «**نعم المال الصالح للرجل الصالح** »!

إن الفقر نكبة تخدش الكرامة وتورث المذلّة وقد لاحظت أن الإسلام يجعل الصلاح شعبتين تساوى كلتاهما الأخرى ، فتلاوة القرآن عبادة ومواساة المحروم عبادة ، وهما سواء! ، وفى الحديث «**لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله المال فهو ينفقه آناء الليل وأطراف النهار ، ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وأطراف النهار**» وفى حديث آخر «**الساعى على الأرملة والمسكين كالصائم لايفطر والقائم لايَفْتُر** »!

إن العبادات الغيبية كالعبادات الاجتماعية فى إرضاء الله وزكاة النفس ، وبعض الناس يجود بالمال ، ولكنه لايدرى الطريق الصحيح لبذله .

وفى الحديث «**بئس الطعام طعام الوليمة يُدْعى إليها الأغنياء ويترك الفقراء**»! وقد شرحتْ صدرى «**موائد الرحمن**» التى تمدُّ فى أحياء القاهرة متاحة لكل وافد ، ما يزاد عنها أحد ، ولا يعرف الناس من دعاهم!

لقد اكتفى هذا الغنىّ الكريم بنظر الله إليه ، وأسعدته جموع الصائمين الفقراء وهم يتناولون الطعام فرحين حامدين ، والحق أنى رأيت هذا الصنيع عندما كنت أعمل من نصف قرن فى قرى الصعيد ، دعانى عضو مجلس النواب للإفطار معه ، وكنت أشتغل مع علماء المساجد بالدعوة إلى الله ، فظننت أنه يدعونى إلى بيته ثم رأيت بعد ذلك ما أثلج صدرى ، سرت على شاطئ ترعة تمتد الموائد فوقه تنتظر المئات من الناس ، وعرفت أنه قلما يفطر صائم فى بيته أنه إمَّا نصب مائدته أمام البيت يجلس إليها من شاء! وإما انضمَّ إلى الحشد المجتمع على شاطئ الترعة يستقبل الغرباء والوافدين . .

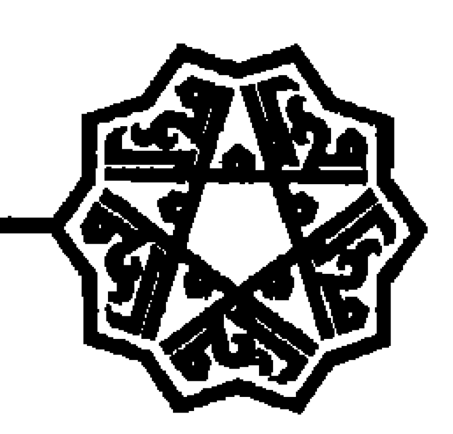
إن رمضان شهر الجود ، والحق أن تقاليد الإسلام جعلت البخل من أقبح الرذائل ، هل القارات الأخرى كذلك؟ لا!

إن الثورات الحمراء والصفراء ما أشعلها إلا الشحّ المطاع والهوى المتبع!

قال لى طالب قادم من أوروبا : كنت ضيفًا عند السيدة فلانة ، ثم استدرك على عجل : أعنى استأجرت غرفة فى بيتها بمالى!

قلت : هذه هى الضيافة؟ قال نعم هذا هو الكرم هناك . .

* * *



من المؤمنين رجال...

يؤرقنى مستقبل الشباب المسلم الذى تطوع للدفاع عن البوسنة وحماية دينها وعرضها .

إن للصليبية العالمية ثأرًا عنده فقد وقف دون امتداد أحقادها وأطماعها ، وآنس وحشة المسلمين المحروبين هناك ، وأشعرهم بأن أخوة الدين لم تمت وإن بعدتِ الشقة وضرى العدوّ . .

إننى باسم الألوف المؤلفة من المؤمنين فى أرجاء العالم أطلب من رئيس البوسنة أن يستبقى هؤلاء المجاهدين الأحرار فى أرضه ، وأن يعرض عليهم الجنسية البوسنية فمن قبلها عاش بقية حياته مع إخوان العقيدة يشاطرهم البأساء والنعماء! .

ومن آثر العودة إلى وطنه عاد مستريح الضمير يستأنف حياته الأولى مقدورًا مشكورًا . . إن هؤلاء الشبان الشرفاء كانوا أهل إيمان وتقوى .

ربما فكر أمثالهم فى المتعة واللذة أما هؤلاء فقد تصدَّوْا للاستعمار السياسى والثقافى يعكرون صفوه ويتنادوْن بضرورة بقاء الإسلام فى أوطانه مكتملى التعاليم محترم التقاليد لا يُعَطَّل له تشريع ولا تُنْقَصُ منه لبنة .

والواقع أن القوى المعادية للإسلام وجهت إليه ضربة قاتلة عندما ألغت شرائع الحدود والقصاص ، وحاربت التاريخ واللغة والتراث كله وقسمت المسلمين إلى عشرات الجنسيات ، ولولا شجاعة رجل كسعد زغلول فى مصر لكانت اللغة الإنجليزية لغة الدراسة فى مراحل التعليم الأولى كما أن هذه اللغة لغة الطب وشتى العلوم فى الجامعات إلى الآن .

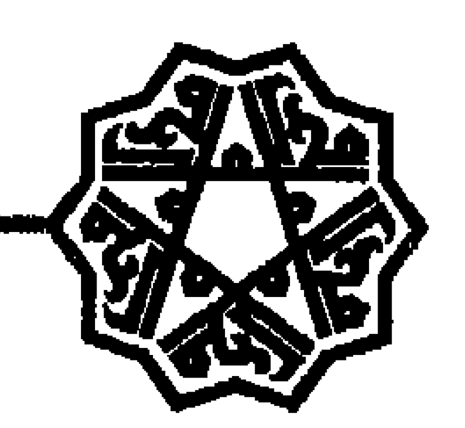
إن الحرب المعلنة على الإسلام تتحرك ببطء وثبات نحو أهدافها المرسومة ، والفئات العلمانية التى تخلفت عن الشيوعية أو التى صنعها المبشرون والمستشرقون تتعاون كلها على محاربة الكتاب والسُّنَّة .

وتعتبر كل انعطاف نحو الإسلام خطرًا عليها . . إنها تكره المصحف وما فيه ، وتعتبر كلمة «الإسلام هو الحل» شعارًا رجعيًا منكرًا!!

وتتمنى لو غلقت المساجد ، بل تتعجل هذا اليوم ، فما رُئِيَ أحد منهم يدخل مسجدًا للصلاة ولو خداعًا!

ماذا يفعل مجاهدو البوسنة إذا عادوا؟ خير لهم وللبوسنة أن يبقوا فيها ، فإن الأخطار على البوسنة لم تنته بعد .

* * *



سياحة فى الفضاء

أطلقت خيالى وراء القذيفة التى ذهبت لاستكشاف المشترى فأعجزه اللحاق بها ، إنها من بضع سنين تجرى بسرعة الصوت حتى بلغت هدفها أخيرًا وانقطع أثرها فى الفضاء الرحب!

إنها لم تزغ ولم تتعثر بل نفذت ما كلفت به .

وأسقطت آلة حساسة حاسبة فوق سطح الكوكب الملتهب لتعرفنا بما هنالك!

إن مبلغ علمنا أن مارجًا من النيران يعصف فوق هذا الكوكب وأن حياة الإنسان فيه مستحيلة . ولو كانت ممكنة فماذا سيفعل الإنسان هناك؟

وهل ضاقت به الأرض حتى يبحث عن مأوى آخر؟

الإنسان ما ضاقت به الأرض ، ولكن ضاقت به نفسه وأخلاقه وأحقاده كما قال الشاعر :

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ... ولكن أخلاق الرجال تضيق !

إن الذى استوقفنى فى هذه الرحلة سعة الفضاء ، فإن أسرة الشمس ومن بينها المشترى لا تأخذ من مساحة الكون إلا ما تأخُذُه نملة فى قَبْوِ قصرٍ شاهق!!

إن الكون كبير لاتُعْرَفُ أبعاده وآماده ، ولكن خالقه أكبر منه يقينًا ، سبحان ذى الملكوت والجبروت والعظمة!! ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾[١] .

لنترك علماء الفلك يسبحون فى هذه الآفاق ولننتقل إلى جهة أخرى مقابلة .

إن علماء الطب يطاردون جرثومة «الإيدز» كى ينقذوا الألوف المؤلفة من غوائلها إنها جرثومة بالغة الدقة! الملايين منها تحتويها قطرة ماء!

---

(١) الأعراف : ٥٤ .

ومع ذلك تسطو هذه الجرثومة على جسد عملاق فتصرعه! وصرعاها الآن فوق الحصر وقد فشلت الجهود للتغلب عليها ، فقد ارتدّ الذكاء البشرى مهزوما أمامها! قلت فى نفسى من أين أسوق الشواهد على عظمة الخالق؟ من ضآلة الذرّة أو من ضخامة المجرة؟

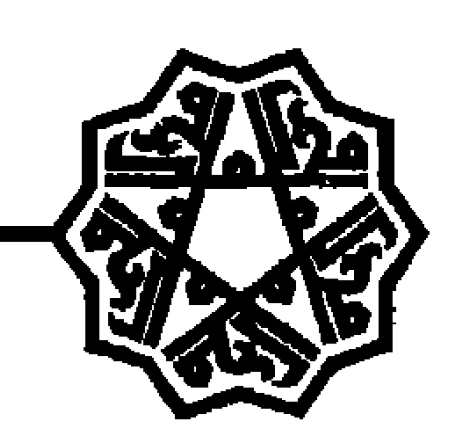
كنا فى صِغرنا نسمع المثل المشهور : سبحان من كبَّر الفيل وصغّر البعوض .

إن النواة تختفى فى الثرى لتخرج بعد حين نخلة باسقة! والحيوان المنوى يختفى فى الرحم ليتحول بعد حين إنسانًا سويًا .

ثم تسمع هذا الإنسان يقول : لا إله والحياة مادة ﴿ **خَلَقَ الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ** ﴾[1] .

* * *

(١) النحل : ٤ .



قوم لا وزن لهم.. (١)

أرفض ميوعة المفاهيم وخلط الأوراق! أرفض أن يقول أحد الناس : أنا مسلم لكنى غير مؤمن بسورة كذا أو آية كذا!! إما أن تؤمن بالكتاب كله أو تكفر به كله! فإن الله قال لمن قارف هذا المسلك : ﴿ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ ﴾(١) .

كتب أحد الذين اتهمتهم بالارتداد يقول : نحن لم نعطِّل القطع والرَّجْم ، إن الزمن هو الذى عطل هذه الحدود ، فقد انتهى أوانها .

وأقول : هل الزمن هو الاحتلال الأجنبىّ الذى كشف عن حقده الدينى القديم وأمر بإلغاء الوحى؟ وجبنتم أنتم عن مقاومته ، فسرْتم وراءه وَحَرَّضتم على مناوأة الله ورسوله؟ وعالنتمونا بالخصام ، وبكراهيتكم للصلاة والصيام؟

إن الزمن فى فلسفة النسبية بُعد رابع للمادة ينضمّ إلى الطول والعرض والعمق ، ولا صلة له بتغيير العقائد وتشويه الأخلاق ، ولذلك يقول الشاعر :

أَرى حُلَلاً تُصَانُ على أناس ... وأخلاقًا تُهان ولا تصان !

يقولون الزمان به فساد ! ... وهم فسدوا وما فسد الزمان !

يوجد الآن جيل من الناس لم يشرف أمام الله بركعة ، ولم يرشح فؤاده المتحجِّر بذرة من يقين .

انفتحت أمامه الأبواب لضرب الإسلام فهو يهاجمه لحساب سادته ، ويصفنا بأننا دعاة الظلام!

هل إشعار العالم بوحدانية الله ظلام؟

هل إماطة اللثام عن معالم الوحى ظلام؟

هل إشاعة العفاف وصون الأعراض ظلام؟

---

(١) البقرة : ٨٥ .

إن الاستعمار الحاضر يكره النبوات كلها . وليست للصهيونية علاقة بموسى ولا للصليبية صلة بعيسى .

إن ميراث محمد وحده هو الذى صان التوراة والإنجيل والقرآن وعرض على أولى الألباب تعاليم السماء مبرأة نقية!

﴿ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[1] .

يبدو أن دور المبشرين والمستشرقين انتهى وحمل أعباء وظيفتهم عروبيون وقوميون يختلون الجماهير عن الإسلام عقيدة وشريعة ويعرضونه عنوانًا تحته فراغ أو عماء .

* * *

(١) النحل : ٦٤ .



قوم لا وزن لهم.. (٢)

شعرت بالسأمة والغضب للخلاف الذى لاتنطفئ ناره فى بعض الأقطار الإسلامية قلت : ألا يصطلح الأفغان؟ .

ألا يصطلح الصومال؟ .

ألا يلتقى المتفرقون فى البلاد الأخرى؟

كان الخلاف الفقهى قديمًا سعة عقل ووجهات نظر فى فروع العبادة ثم أصبح تقليدًا غبيًا وفرقة شرسة .

وكان الخلاف الكلامى فلسفة عقيمة ونزاعًا حادًا فإذا جئته على مر القرون تفوح منها روائح عفنة!!

وهجم الاستعمار على أرض الإسلام المترامية فإذا خلاف من نوع جديد بحسب الجهة التى نكبنا منها !!

وقد تضحك لأننا فى مصر عرفنا شيوعية «ماوتسى تونج» وشيوعية «ستالين» .

إن السيارة إذا تعطلت يمكن أن يشدها حمار ويمكن أن يشدها حصان ، وقد كان الكيان الإسلامى نافد الطاقة فاقد القوى ، فإذا استمكن من زمامه شىء ما ذهب به حيث يشاء . .

والعلمانية الآن تفرض نفسها على الفراغ الإسلامى الذى تصفر فيه الريح شرقًا وغربًا . .!!

وقد جرح قلبى صحفى علمانى يصفنا نحن الإسلاميين بأننا دعاة الظلام!!

قلت : إن الله عندما أنزل وحيه على محمد قال له : ﴿ كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾[1] .

(١) إبراهيم : ١ .

فهل أصبح إنكار الألوهية نورًا؟!

وهل أصبح العيش بلا وحى نورًا؟!

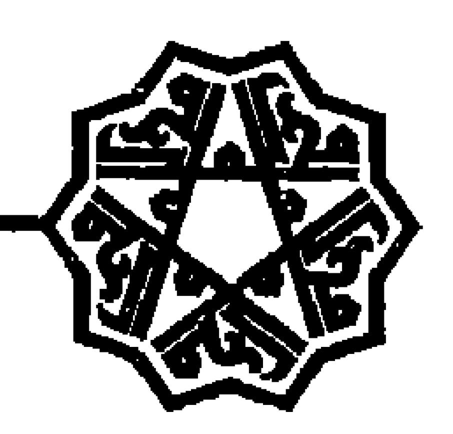
وهل أصبح التقليد الأعمى لمباذل الغرب نورًا؟!

إن هؤلاء العلمانيين لايعرفون شيئًا عن الارتقاء العلمى والتفوق الصناعى ، إنهم خدم للجانب المنحل من دنيا الناس ، وما تاحت لهم فرصة للظهور إلا عند غياب التدين الحقيقى ، وظهور بعض الأشباح فى عالم التدين تستدبر الكون وقوانينه وقواه ، ولاتعرف شيئًا عن الملاحظة والتجربة والاستقرار ولا تدرى أن الوحى حياة ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا** ﴾[1] .

إن الصحابة والتابعين ـ وهم مثلنا الأعلى ـ وثبوا على بحر الروم فغيّروا اسمه ، سموه البحر الأبيض . كانوا قبل الإسلام لايحسنون إلا قيادة القوافل أما بعدما أسلموا وارتفع بالإسلام مستواهم العقلى فقد قادوا السفن والدول والحضارات ، فهل نعود إلى كتابنا لنداوى به عللنا ونستردّ به صحتنا ووحدتنا ، ونقدمه إلى العالم كتاب حقائق تشفى وتكفى؟

* * *

(١) الأنعام : ١٢٢ .



الذكاء وحده لا يكفى..

الإيمان يقلّ ويزيد ويضعف ويقوى حسب الدلائل التى تقارنه والمقدمات التى تؤدى إليه ، والفارق كبير بين أن يكون الإيمان تقليدًا ميتًا وبين أن يكون بصيرة نضيرة .

إن الله أبدع العالم ليدل عليه وليكشف عن عظمته ، كذلك قال فى كتابه :

﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾[1] .

وقد أحس بذلك صاحب القرية التى مر بها وهى بالية خربة فقال أنى يحيى هذه الله بعد موتها؟ وشاء الله أن يميته ودابته قرنًا كاملاً ثم يردّ إليه الحياة :

﴿ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2] .

إن المشهد الذى جعل الرجل يقول : أعلم أن الله على كل شىء قدير . يقع ألوف ألوف المرات كل يوم أمام كل عين ، فمن يحول الأغذية فى كل جسد إلى لحم يكسو العظام ودم يجرى فى العروق وأعصاب تحس الحياة ؟ إنه الله !!

ولكن بعض أبناء آدم لايرى حرجًا أن يحيا شبه دابة لا وعى لديها ولا استدلال! .

قلت : إن الله أبدع العالم ليدل بإبداعه على ذاته الأقدس ولقد سأل الإنسان مرتين هل وجد ما يعيب؟ ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ * ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾[3] .

---

(١) الطلاق : ١٢ .
(٢) البقرة : ٢٥٩ .
(٣) الملك : ٣ ، ٤ .

الصواب لا يلد إلا الإيمان ، والبيئة الحرة قد يوجد بها الخطأ ولكنه يولد ليموت ؛ ولذلك كان الإلحاد والاستبداد قرينين جميعًا ، وفى عقائد المفكرين كان اليقين هو الأغلب ، وقد يكفر بعض الناس لآفة فى عقله أو قلبه!

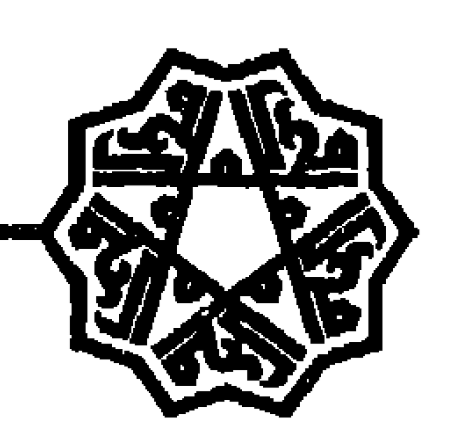
أذكر أنى قرأت فى صباى الباكر كتيِّبًا اسمه «خواطر منتحر» ذكر فيه المؤلف البائس أنه ذهب إلى مرصد يشهد فيه الأفلاك وهى تدور فى فضائها الرحب ، فلما شاهد عظمة المجرات وسعة الملكوت خرج وهو يقول أنا كافر بالله!! .

فضحكت ساخرًا وقلت : هذا الجحش الكافر ما آمن يوما ، لقد دخل المرصد وهو كافر ، وخرج كما دخل ، إنه يظن الله بقرة فى قرية هندوكية ، أو صنمًا فى قبيلة عربية ، وانتظر أن يرى إلهًا من جِنس ما يتصور فلما خاب حدْسه أعلن كفره ، وإلى حيث ألقت .

إن الإيمان عقل واسع الذكاء وفطرة بالغة النقاء .

الذكاء وحده لايكفى ، فإن إبليس كان ذكيًا ولكن شهوته غلبته والله لايقبل امرءًا خسيسًا مَهْمَا كان عقله ، والطيبة المغفلة لاتكفى فهى تهزم الحق فى أحرج المواقف ، وتجر عليه العار .

* * *



ساسة يخدعون أنفسهم

قضايا الإسلام الثقافية والسياسية تتدحرج ببطء نحو هاوية حفرها له أعداؤه وارتقبوا بصبر أن تتساقط فيها واحدة بعد أخرى!

وإذا كانت بعض الدول العربية قد اعترفت بإسرائيل ، فالبعض الآخر فى طريقة إلى الاعتراف سواء كان فى هرولة أو استخذاء! والأخطر من ذلك علاقة العرب أنفسهم بدينهم! .

إن منظمة التحرير الفلسطينية أعلنت علمانيتها من سنوات طويلة ، وعندئذ أعترف العالم «الحرّ» بها ، وبأنها ممثلة الشعب الفلسطينى ، أما حماس مثلا فإن ارتباطها بالإسلام يجعلها جماعة خارج القانون!! .

إن أوروبا وأمريكا تكنان حقدًا عميقًا على الإسلام خاصة ، وإن كانت تستر ذلك بأنها ترفض الطابع الدينى فى سياستها العامة !! .

هل هذا صحيح؟ المعروف أن التاج الانجليزى يحمى الكنيسة الإنجيلية فى إنجلترا ، وأن الأحزاب المسيحية الديمقراطية تحكم ألمانيا وإيطاليا وغيرهما! .

إن ساسة الشرق العربى يخدعون أنفسهم عندما يحسبون العالم طلّق الإنتماء الدينى ، بل إن هذا الإنتماء يقوى ويضرى عندما يكون التعامل مع شعوب إسلامية ، عندئذ يكون المسلمون الأمة المنبوذة الحق ، الذليلة الجانب ، ويكون الرؤساء ، المفضلون فيها هم الذين لاتجرى على ألسنتهم كلمة الإسلام ، والذين لايحلون حلاله ولايحرمون حرامه ، وهناك أحداث مائعة تمر بالشعوب فلا تومىء دلالتها إلى خير أو شر ، وهى أحداث قصيرة خفيفة الوزن . .

ولكن هناك أحداثا هى مربط الفرس كما يقول العامة ، من هذه الأحداث مستقبل القدس ، فإن اليهود فى تراثهم الدينى وفى هتافهم السياسى يكررون أن القدس لهم[1] ، وقد أفلحوا فى جعل يهود أمريكا طوائف من الإرهابيين يقامرون بمستقبل بلادهم لإنجاح المخطط الصهيونى فماذا سيفعل العرب؟

(١) بعد شهور قليلة أعلن «نتنياهو» رئيس وزراء اسرائيل بناء مستوطنات لليهود بالقدس الإسلامية على مسمع من زعماء المسلمين ورؤساء العالم وابتسامات البله . . «المحقق» .

هل سيظلون يعبدون مناصبهم ويساومون على دينهم ودنياهم ويتركون القدس عاصمة لليهود؟!

أم يعلمون أن زمان المساومات انتهى ، وأن هناك منطقا آخر لحماية الأرض والعرض والدنيا والآخرة؟

إن التوبة إلى الله ليست ورقة يلعب بها ، إنها إعادة بناء التاريخ!

إنها تصحيح مسار خاطىء!

إنها نهاية لتعطيل شرائع وتمويت قيم طاهرة ، إنها جعل القرآن كتابًا للأحياء لا كتابًا للموتى ، وأوامر جادّة لتنظيم الشعوب لا أنغاما خنثة لإراحة القاعدين ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ** .... ﴾[1] .

* * *

(١) التحريم : ٨ .



لوثات المنحلين

القوى المعادية للإسلام تصوِّب سهامها للقمم والسفوح على سواء ، تريد صرف الأمة عن رسالتها وعبادتها وحشدها تحت رايات أخرى لاتمت إلى الإسلام بسبب .

وقد رأيت عمل هذه القوى بين جامعى القمامة وبين حملة الأقلام وقادة الشعوب تريد صرفهم عن المساجد فلايقيمون صلاة !

وعن الصيام فلايعرفون لرمضان حرمة وكما تعطلت شرائع الحدود والقصاص يجب أن تنسى الجماهير بيوت الله ومعالم الشهر المبارك!

فما مبلغ نجاح الاستعمار العالمى فى بلوغ غاياته تلك؟

الواقع أن طبقات الشعب لاتزال وفيّة لدينها متشبثة بأوامر ربّها ، فالمساجد مزدحمة وعدد من الأغنياء يمد موائد الرحمن لإطعام الصائمين الفقراء .

إن الاستعمار نجح بين نفر من المنتمين إلى الشيوعية الذين يتسمَّوْن هذه الأيام بالعلمانيين ونفر من الرؤساء الذين لايعْنيهم أن يحيا الإسلام أو يموت .

فقد تركوه فى حياتهم الخاصة وعاشوا بُعداء عن هواه!

وسمعت أحدهم يزعم أن الصوم يعطل الإنتاج!! ، ولذلك أفطر وأمر العاملين بالإفطار .

أى إنتاج تعطل؟

إن اليهود فى دولتهم يعطلون العمل عمدًا يوم السبت ، وخلال أعيادهم الدينية كلها . . ومع ذلك لديهم مخزون من القنابل الذرية يستطيعون به إبادة العرب . وهم فى سائر الأيام يتصبَّبون عرقًا لإقامة سلطانهم ودعم مستقبلهم ، فما الذى صنعه المفطرون من رؤساء العرب؟؟ إنهم ما أجادوا فلاحة الأرض ولا حراسة المحاصيل!

وقد رأيت تمثالاً للحبيب بورقيبة – الذى ألغى رمضان – وهو يمتطى صهوة حصان وكأنه ينهب الأرض به نهبًا ، واستغربت المنظر فلا أعرف الرجل فارسًا ، وإنما أعرفه مقطوع الصلة بالإسلام وتذكرت قول المتنبى :

وإذا ما خلا الجبان بأرض   طلب الطعن وحده والنزالا !!

إن الصيام فريضة يستحيل أن يجحدها مسلم ، وقد يستولى الشيطان على رجل يعبد بطنه ويغريه بالإفطار ، أما إلغاء الشهر فانسلاخ من الدين وخروج من الملة ، فلنحذر على ديننا ولْنحمِه من لوثات المنحلّين .

* * *



الشرك يحفر قبره

يبدو أن الباطل يحمل جراثيم فنائه فى كيانه ، ولكن إعلان وفاته لايتم إلا عندما يستطيع الحق أن يحتل مكانه ويسد فراغه .

وهذه الجراثيم قد تكون فيما ينطوى عليه الباطل من نقائض عقلية ورذائل خلقية ، وقد تكون فيما يقوم به المبطلون أنفسهم من حماقات تدل على فقدان الرشد ، وغباوة التصرف ، ونحن نصدر هذا الحكم بعد تدبر قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[1] . وقوله : ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾[2] .

وعندما ننظر فى فتح مكة وسقوط دولة الوثنية نرى أن الشرك هو الذى حفر قبره وبحث عن حتفه بظلفه! فقد كانت هناك معاهدة تضع الحرب عن الناس عشر سنين ، فما الذى جعل أهل مكة يستعجلون نقضها؟ ويسعون إلى ذلك بنزق غريب؟

ولماذا اعتدوا على حلفاء رسول الله دون سبب وقاتلوهم فى الحرم أو سلّطوا عليهم من يقتلهم ، والحرم يأمن فيه الحيوان والطير؟

إن قريشًا فقدت رشدها بهذا العمل وقدمت للمسلمين العذر فى معاقبتهم! فلما جاء شاعر خزاعة المعتدى عليها يقول للرسول :

إن قريشًا أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا!

وجعلوا لى فى كداء رصدا وزعموا أن لست أدعو أحدا!

هم بَيَّتُونا بالوتير هُجَّدا وقتلونا ركّعًا وسجّدا!!

قال له الرسول : نصرت يا عمرو بن سالم ، وتحرك الجيش الإسلامى إلى مكة ، وحطّم الأصنام وأدّب العابثين ووضع نهاية لطيش الوثنية .

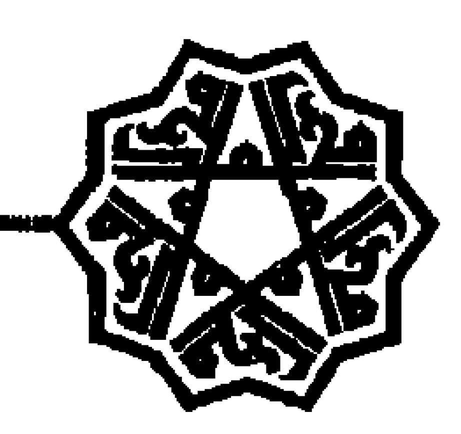
---

(١) الإسراء : ٨١ . (٢) محمد : ١ .

المهم أن الحق كان أهلاً للسيطرة على الموقف وفرض نفسه ومبادئه ، وكم من باطل يستحق الفناء ولكن سنن الله الكونية تركته لأن الحق لم يستكمل أهبته ، ويتهيأ لاحتلال مكانه ، لا على مستوى الأفراد بل على مستوى الجماعة كلها .

وإنى أنصح مسلمى عصرنا أن يرتفعوا إلى مستوى الأحداث وأن يسائلوا أنفسهم : هل لديهم الطاقات العلمية والخلقية والسياسية التى تجعل القدر يورثهم المشارق والمغارب؟ إن الله ناصرهم فور استكمالهم هذه الطاقات ؛ وإلا فسيبقى الباطل يعربد فى الأرض .

* * *



...على رءوس المسلمين..

هناك نفوس خَيِّرة تعاف الشر وتأبى الانحدار إليه وإذا رأت له أثرًا فى المجتمع ابتعدت عنه جهدها ، من هؤلاء «أكثم بن صيفى» رأى النبى - عليه الصلاة والسلام - يعرض نفسه فى المواسم أوائل البعثة فقال له : إلام تدعو الناس يا أخا العرب؟ فتلا عليه الآيات الثلاث بدءًا من قوله تعالى : ﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُم مِّنْ إِمْلاقٍ..** ﴾[1] . . . إلخ .

والآيات الثلاث تضمنت وصايا عشرًا وختمت جُمَلُها بهذه الكلمات « . . لعلكم تعقلون . لعلكم تذكرون . لعلكم تتقون» .

فماذا قال أكثم بعد سماعها؟ قال والله يا أخا العرب لو لم يكن هذا دينًا لكان فى خُلُق الناس حسنًا!

كلمة حق من رجل منصف وهى أشرف من ردِّ قريش عند سماع القرآن :

﴿ **وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ** ﴾[2] .

ويوجد الآن منصفون فى أقطار الغرب لايسرّهم ما هم فيه من فوضى فى ميدان التربية وما تعانيه القيم الشريفة من وحشة فى المدارس والجامعات!!

وقد أذاع مكتب الأهرام بيننا من بضعة أيام صيحة تحذير عالية أكد فيها مسئولو التعليم فى بريطانيا أن الوضع الحالى للمدارس الإنكليزية يهدد الحضارة الغربية ، وقالوا إن القيم فقدت مكانتها ، وأن التلاميذ أصبحوا لا يميزون بين السلوك الصحيح والسلوك الخاطئ .

وناشد السيد «ديرنج رئيس إدارة المناهج» المدرسين أن يعلموا الأولاد القيم الصحيحة ، وإلا فسنعود إلى «البربرية» خلال جيلين فقط!!

---

(١) الأنعام : ١٥١ .   (٢) ص : ٤ .

والحق أن عاطفة التدين فى أزمة شديدة ، فهى فى الغرب لا تساوق تقدمه الحضارى ، وهى فى الشرق الإسلامى تواجه مقاومة عاتية وتُعَدُّ حينًا بقايا رجعية يجب أن تزول ، أو مظاهر إرهاب يجب أن يُسْحَق . .

وهناك نفر من المرتزقة وظفهم الاستعمار العالمى لهجاء الإسلام وتوهين قواه فى ميادين فكرية شتى وهم يعملون بدأب لبلوغ أهدافهم ولعل الهدف الأقرب أو الأوحد الآن ارتضاء اليهودية دينًا يفرض سلطانه على القدس ، ويفرض تعاليم التوراة والتلمود على إسرائيل! فهذه معاصرة لا تأباها الحضارة .

إن اليهودية جديدة فى كل وقت ، أما القرآن والسُّنَّة فيجب وضعهما فى دور الآثار . . .

هل خصومنا ملومون ؟ أحسب أن اللوم يقع على رءوس مسلمين لايزالون يتقاتلون فى أفغانستان والصومال وبلاد أخرى لاتخطر بالبال .

* * *



أرانب غير أنهم ملوك..

معروف أن المسلمين خمس سكان العالم ، وأن هذا الخمس لايعيش فى الجانب الشرقى منه قطعة متماسكة بل ينتشر مع شرايين العمران البشرى وشواطئ البحار العظمى وأودية الأنهار الخصبة وحيث قامت الحضارات كلها فى دنيا الناس! فهل لهذا الدين الممدود «إعلام» يمثل آماله ، وآلامه؟ ويبكى هزائمه ومصائبه؟ .

إن القوى المعادية للإسلام حريصة على ألا تكون للإسلام وحدة جامعة ، ولا صفة خاصة ، وعلى أن تضرب عقائده وشرائعه فى صمت ، فإذا صرخ مضروب ذكر اسمه ولم تذكر صفته وتم تشخيص حالته بطريقة تزيد الأمر عماء وإبهامًا!! وبهذا الأسلوب لايمكن أن تطالب بإحياء شريعة ماتت أحكامها ، ولا بإحياء تقاليد ماتت روافدها !

أعلم ويعلم عباد الله أن إريتريا دولة مسلمة نصاراها خمس السكان أو أقل ، ولم يكن بها خلاف دينى ، وكان «بأسمرة» عاصمتها معهد أزهرى تولى مشيخته بعض أصدقائى . ثم رأى الصهاينة أن يجعلوا «أسمرة» دولة مسيحية!! وتم لهم ما أرادوا ولم تتحرك القومية العربية العظمى!!

وتحولت الكثرة المسلمة إلى قلة مضطهدة وأمر المسلمون بالسكوت حماية للسلام الاجتماعى!

وبغتة هجم الأسطول الإريترىّ على جزيرة «حنيش» بالبحر الأحمر وهى جزيرة يمانية واحتلها !! وانكشفت الخطة التى رسمت فى الظلام .

إن اليهود يريدون أن يحكموا شمال البحر وجنوبه ، وبدل أن يكون بحرًا إسلاميًا محضًا ، ينتقل زمامه إلى الأيدى الأخرى ، وتتعاون إسرائيل وإريتريا على خنق الملاحة فيه ، والمهم أن هذه القضية الإسلامية لن يذكر الإسلام فيها وسوف يموت مجاهدو إريتريا المسلمون ـ واليمانيون ـ دون أن يذكر للإسلام اسم ، أو يرفع له علم .

إن الخطة العالمية الجديدة تمويت الإسلام بأسماء مختلفة وعندما سمح بوجود لمسلمى البوسنة سمح لهم فى ظل اتحاد فيدرالى مع الكروات وهم كاثوليك ـ وأظن البابا قد أخذ رأيه فى هذا ـ شكرًا له!!

إن عشرات الألوف من المذبوحين لاتصلح ثمنًا لاستقلال المسلمين بأرضهم التى ورثوها عن آبائهم . إن النقاء العرقى لخنازير الصرب الذين قتلوا مئات الألوف يجعلهم ملاك الأرض بل ملوكها!!

ومن المسئول عن هذه المآسى ، الساسة الذين كرهوا الإسلام وجعلوه وراءهم ظهريًا وعاشوا لدنياهم وحدها .؟!

أرانب غيــر أنهــم ملوك مفتَّحةٌ عيــونهم نيــام

* * *



حذار من تدين الخرافة

كانت للعرب فى جاهليتهم أوهام كثيرة لم يستخرجهم منها إلا الإسلام ، فالشعر فن من القول عرف فى أمم شتى ، وكان الشعر مفخرة للعرب خاصة .

لكن الشعراء العرب انفردوا بزعم كاذب ، أن لكل منهم شيطانًا يلهمه القول!! بل استحمق أحدهم فقال ـ ولعله كان سكران .

إننى وكل شاعر من البشر   شيطانه أنثى وشيطانى ذكر !!

والحمد لله الذى شرف العرب بالإسلام فأخرجهم من الظلام إلى النور ، ومن الخيال إلى الرشاد .

والقرآن كتاب علم لايعرف إلا الحقيقة ويغسل العقل الإنسانىّ من الأوهام ويحذّر النبىّ الخاتم من تدين الخرافة والأمم الكذوب : ﴿ **وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ** ﴾(١) .

والعقل الإسلامى بطبيعته القرآنية غيور على الحق ، ومن هنا فأنا أنظر إلى جماهير من أمتنا مستوحشًا لأنها تألف الخطأ ولاتستنكره ، وتنظر إلى الزور ببلادة فلا يتمعّر لها وجه ، ولا يكسف لها بال .

وقد نظرت إلى العبادات الشائعة فوجدت بعض الغيبيات وبعض الطقوس وبعض الأخلاق السلبية . .

قلت أين مجتمع الصحابة والتابعين الذى أمرنا أن نتأسى به؟

إن السلف الأول خرج من الجزيرة فملأ العالم بالإيمان ، وكنا نحن بعض ثماره!

قال لى شخص بليد متطاول : أتريد أن نكون مثله؟

---

(١) البقرة : ١٢٠ .

قلت له : أأمثاله الذين انتقلوا إلى الأمريكتين وأستراليا وتركوا تراثهم الدينى واللغوى هناك!

إن أمريكا الجنوبية تضم عشرين دولة كاثوليكية تنطق بلغة واحدة هى الأسبانية ، وأنتم والحمد لله - الذى لايحمد على مكروه سواه - تتحدثون إلى اليوم عن الجان الذى يسكن بشرًا ويفعل به ويترك ، ما أظن أن الله تارككم دون أن تصيبكم قارعة إذا لم تسارعوا بتوبة!!

لقد كان نبينا يقنت فى صلواته يستغيث الله كى ينقذ أسرى المسلمين ومستضعفيهم ، وكنت أسمع أدعية المبتهلين فى إذاعتنا فلا أسمع شيئًا عن أسرانا وقتلانا فى الجبهات التى نفذ منها الاستعمار إلى صميم أمتنا! .

لماذا لم نستنزل لعنات السماء على الظالمين ، ونوقظ الوعى الجماعى فى أمتنا التى نجح الاستعمار العالمى فى تقطيعها سبعين أمة ، إن رسالتنا إيقاظ العالم ليعرف ربه ، فكيف ننسى نحن هذه الرسالة؟!

* * *



إنصافا لأنفسنا..

أذكر مما شاهدت من تاريخ المسلمين القريب أن بعض مآسيهم كان ينبت فى أرضهم!

وأن ما يلعقون مرارته كان مما زرعته أيديهم! حتى زعم الإنكليز يومًا أنهم احتلوا مصر لينقذوا الفلاحين الضعفاء من بطش ملاك الأرض!!

وما زعم أحد أن المستعمرين كانوا رسل عدالة ومرحمة ، ولا أنهم خرجوا من أرضهم ليجودوا بما ملكت أيديهم!

ولكن ماذا يقول المرء فى طيش موظف أرعن يظلم لاعب كرة ويحرمه حقًا له ويضطره إلى الاستغاثة «بالفيفا» الجهاز الرئيسى للعبة (!) فيحكم بصرف المبلغ ويهدد بمعاقبة الظالم ويقيم العدالة بالعين الحمراء!

أما كنا أولى أن نستفيد هذا المسلك من ديننا؟

إننى أزدرى الرجل يترك الصلاة ذهولاً عن نعمة الله ، وحق الخالق . .

وأزدرى الرجل تضعه الدولة فى منصب قيادى فلا يفيد منه أحدًا ، وإنما يذهب بنفسه ويستفيد الخيلاء والصلف! والتعامل مع الناس وكأنه على سطح عمارة شامخة! .

والذى يجحد حق الله فى صلاته كافر ، وشر منه الذى يجحد حق الله والناس فى منصبه وفيه يقال : ﴿وَلا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾(١) .

هل نخون ونظلم ثم ننتظر من أى «خواجة» فى أوروبا أو أمريكا أن يصيح فى وجوهنا : اتقوا الله!!

---

(١) الكهف : ٢٨ .

الموظف الذى يحتقر أفراد الأمة لايجوز أن يبقى فى عمله يجب تنقية الجهاز الوظائفى منه ، أما أن يتدحرج إلى فوق لأنه يجيد الملق فهذه جريمة . .

وقرأت أن النيابة العامة تحقق مع نصابين عالميين فى مبالغ ضخمة وحسنًا فعلت ، فإن نبينا عليه الصلاة والسلام نبه إلى أن هلاك الأولين يعود إلى أنه إذا سرق فيهم الضعيف قطعوه وإذا سرق فيهم الشريف تركوه .

واللعب بالعقوبات على هذا النحو إهدار للعدالة وإضاعة للمصلحة ، وقد فهمت أن هناك معاملات من قبيل ما يسمى غسل الأموال! .

وخير ما نلتزمه إنصافًا لأنفسنا وديننا « **الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه** » .

إذا كنا عباد الله فلرب الناس دينه الذى تسعنا حدوده . وإذا كنا مواطنين ـ كما يتنادى العلمانيون ـ فللناس ضوابط تحكم حيوانيتهم! ثم على العرب خاصة وقد ورثوا الإسلام واجب التقيد به والالتزام بمعاملاته والإنفاذ لشرائعه ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾[1] .

* * *

(١) النور : ٦٣ .



فريق من الدواب ..

نظرت إلى نفسى وإلى من حولى فى مطلع السنة الفرنجية الحاضرة ثم قلت : إذا كنت من حراس التراث وحماة الأصالة فلا ريب أن الهزيمة التى لحقت بنا فادحة وأن مصابنا شديد فى وعينا الحضارى وحسّنا التاريخى .

إن الجماهير المغلوبة على أمرها فى القارات كلها تجرى فى الطرق لاتعرف لها هدفًا وتبحث عن الملذات فى مظانّها تريد التشبُّع منها والبحث عن مزيد! .

لقد نجح الاستعمار الثقافى فى فرض طابعه علينا وتعليق قلوبنا بكلمات جديدة ـ كما يقول الأستاذ «هيثم الخياط» ـ مثل التنوير ، والحداثة ، والجديد ، والمعاصرة ، والتحرر ، وثقافة العصر!! وهى كلمات تختفى وراءها نسيان الماضى الزاهر ، وتبغى إهالة التراب لا على الوحى المحمدى وحده بل على تراث النبيين أجمعين ! .

سمعت أحد الناس يقول : نحن فى عصر الفضاء والذرّة ، وهناك ناس يعيشون فى عصر الناقة والأطلال ! .

قلت : نحن لا نتكلم فى وسائل النقل ، بل نتكلم فى وظائف العقل!!

إن الذين يجحدون الوحى الأعلى هم فريق من الدوابّ وإن غطّوا أجسامهم بالمزركش من الثياب ونقلتهم الطائرات بين المشاتى والمصايف ! .

إن الاستعمار الثقافى بدأ منذ قرنين ، يوم أجلب علينا ذلك الطاغوت الماجن «نابليون» بخيله ورجله وغزا بلادنا بأساطيله وجحافله ليقضى على بوادر نهضتنا الحديثة ـ ونترك الكلام للدكتور «هيثم الخياط» ـ يحدثنا عن هذه النهضة التى حمل لواءها آنذاك «البغدادى» صاحب الخزانة ، و «الزبيدى» صاحب تاج العروس . و«الجبرتى» الكبير صاحب المخترعات الميكانيكية والصنائع الحضارية التى تعلمها منه طلاب الفرنجة وذهبوا إلى بلادهم كما يقول «الجبرتى» المؤرخ : فنقلوا إليها معارفنا!

وقد استطاع «بونابرت» أن يحقق مراده بكل شراسة فكان يأمر كل يوم بقتل خمسة أو ستة من التلامذة النابهين لهؤلاء العلماء الأعلام ، ثم كلف خليفته «كليبر» أن يجمع المئات من المصريين والمماليك وأن يسفِّرهم إلى فرنسا ليعتادوا على لغتها وتاريخها ويشهدوا تقدمها وارتقاءها ثم يعودوا إلى مصر مبشرين بحضارة الغرب .

يقول أمين سامى باشا فى كتابه «تقويم النيل» لما غادر الفرنسيون مصر صاغرين حملوا من الأوراق والكتب لا مايخصهم فقط بل كل ما رأوه نافعًا . .

فهل نعرف تاريخنا . ونذكر مالنا وما علينا . .؟ .

* * *

لعلّنا....

هناك حكم يعتمد فى صلاحيته وبقائه على أصول خاصة وأفكار معينة فهو يستمد وجاهته ومكانته من هذه الأصول والأفكار .

ولا ريب أن أى حكم إسلامى يعتمد فى وجاهته ودعم المسلمين له على صلته بكتاب الله وسُنَّة رسوله ، وهذا الأساس تفاوت مع الأيام تفاوتًا قريبًا أو بعيداً ، ولست أنظر إلى أحوالنا فى الهجمة الاستعمارية خلال القرنين الأخيرين ، ففى هذين القرنين طاحت أصول واختفت فروض!! .

وإنما ألقى نظرة عامة إلى تاريخنا كله فى جزء من حساب النفس لانستغنى عنه أبدًا .

ولأبدأ بحساب ضاحك حتى أخفف الوقع على القارئين . .

فى فتح عمورية أرسل قصر الخليفة المعتصم إلى المنجِّمين يسألهم : هل يصلح القتال الآن مع الروم؟ وبماذا تشير الكواكب؟!

وقال المنجمون : الكلمة الآن لكوكب النحس ، وننصح بعدم خروج الجيش!

ولكن فورة الإيمان والحماس طغت ، والغضب للمسلمة التى صاحت : وامعتصماه غطَّت على هراء المنجمين فخرج الجيش الإسلامى ، وفكَّ قيود الأسيرة ، وعاد بها محررة براقة الجبين!! وأنشد أبو تمام قصيدته المشهورة .

السيـــف أصـدق إنبـاء من الكتـــب   فى حدّه الحد بين الجدّ واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف فى   بطونهن جلاء الشك والريب!!

والسؤال فى ظل حكم إسلامى : كيف يكون للتنجيم مكان ، وكيف يطلب له رأى؟؟!

وقرأنا فى تاريخنا أن سلطان العلماء «العز بن عبد السلام» حكم ببيع المماليك ودفع ثمنهم إلى بيت المال وهو الذى يقوم بتحرير رقابهم إذا شاء!!

والسؤال مع احترامى العميق للعز رضى الله عنه أتساءل : هل أولئك العبيد أرقاء حقًّا؟ أم هم ضحايا تجارة الرقيق التى شاعت فى كل مكان والدين منها براء؟

إننى أقارن بين المستعصم آخر خلفاء بنى العباس وبين قطز المملوك الذى بيع بثمن بخس ، فأرى أن العبد «قطز» كان أعمق إيمانًا وأغلى تضحية وأيمن نقيبة من ألف مستعصم ينتمى إلى ذؤابة قريش!

إن قطز كان حرًّا اختطف ثم أمكنته الأقدار أن يهب الحرية والشرف لجماهير المسلمين ، أما المستعصم فقد اختطف أمور المسلمين فما أحسن الدفاع ولا أحسن الموت!! فسلم بغداد للتتار وسلّم نفسه للجزار!!

أعتقد ـ ونحن فى طريقنا لاستعادة أمجادنا ـ أننا بحاجة إلى وقفات طويلة من حساب النفس لعلّنا . . . .

* * *



عدت كاسف البال..

انتهت الحرب فى أوروبا بين العلم والدين على النحو الذى ينشده العلماء، وعاد الكهنة إلى قواعدهم يعملون داخل الحدود التى رسمت لهم.

ولكن العلاقات بين الأديان السماوية الثلاثة حكمتها ذكريات وأطماع جعلت الإسلام - وحده - يترنح تحت ضربات شديدة فقد تيقظت اليهودية بغتة زاعمة أنها المالكة الشرعية لفلسطين وما حولها! وعلى اليهود المبعثرين فى أنحاء العالم أن يعودوا إليها ويطردوا العرب منها، ورأت إنجلترا وأمريكا وغيرهما من الحلفاء أن يساعدوا اليهود فى بلوغ هذا الهدف إحقاقًا للحق وإقرارًا للسلام!!

أى حق وأى سلام؟ وعلى المسلمين إن كانوا محبين للسلام أن يذعنوا ويتركوا بيوتهم ويرحلوا...

ومن ثمانين سنة والمعركة دائرة الرحى، وقد رأيت خلال هذه الحقبة الطويلة أن اليهودية كسبت جميع المعارك التى خاضتها وأن الاستعمار حالف اليهود بإخلاص.

وأن العاملين فى الحقل الإسلامى تتجمع الخسائر فى كفتهم يومًا بعد يوم!

ومن أغرب ما وقع فى دنيا الناس أن يزداد اليهود إيمانًا بحاضرهم ومستقبلهم وأن يقع فى العالم العربى فصل بين العروبة والإسلام.

فاليهودى الآن يجنح إلى توراته وتلموده، أما المسلم فبينه وبين كتاب ربه وسُنَّة نبيه مسافات!

ونصارى نيويورك ينادون بأن القدس عاصمة إسرائيل، أما العرب بين المحيط الهادر والخليج الثائر فهم يقولون: نبحث القضية!!

وتأملت مع الثقافة التى تخدم الإسلام فى هذا العصر فضربت كفًا على كفّ، رأيت صورة غلام فى نحو العشرين جمع شعر رأسه فوق قفاه وبَدَا كأنه من فلاسفة

أوروبا فى القرون الوسطى وشرع يقول - فى التلفاز - إنه مع المبدعين من أمثاله يهتمون بالفنون وينقلونها إلى الحياة!!

عدت إلى نفسى كاسف البال . .

إن الثقافة التى تتنكر للإسلام فى هذه الأيام لون من الخيانة العظمى ؛ لأنها صرف عن الإيمان وتمكين للإلحاد وهل تطلب الصهيونية أكثر من هذا الذى ينشره العلمانيون بيننا؟

إنهم يربون شبابهم على خدمة دينهم ، أما نحن فنربى شبابنا على نبذ شعائرنا وتقاليدنا وتراثنا كله ، فماذا يبقى لنا؟

وبماذا نعيش؟! .

* * *



وكذلك أنزلناه حكما عربيّا.

فى الحروب المعلنة على الإسلام من زمان بعيد وجدنا أن القضاء على العروبة خطوة ما منها بدّ للقضاء على الإسلام نفسه .

فالقرآن كتاب عربى اللسان فإن زالت اللغة لم يبق له كيان ، والتراجم ليست أكثر من تفاسير جزئية لبعض المعانى التى تيسرت للمترجم ويستحيل أن تسمى قرآنًا أو أن تُعْصَم من الأخطاء . .

وشىء آخر ينضم إلى النص العربىّ للقرآن الكريم هو وجود أمة تمثله فى الأرض أو تكون نموذجًا للعمل به وتطبيقه فى أرجاء الحياة ، والجهود مبذولة الآن لمنع تعانق العروبة والإسلام فى نظام كالذى صنعه محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ بعد ربع قرن من الكفاح الهائل فى الجزيرة العربية تحقق فيه قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ ﴾(١)

والحكم العربى هنا يستوى فيه أن يكون بمعنى الحكمة أو بمعنى السلطة ، فقد تحقّق الأمران معًا فى الخلافة الراشدة! .

والقوى المعادية للإسلام مستميتة الآن فى منع هذا النموذج من العودة ، وألفت النظر هنا إلى أن أهل الكتاب الأولين ـ وأعنى النصارى خاصة ـ كانوا الظهير الأكبر فى بناء دولة الإسلام الكبرى خلال القرن الأول ، فقد كانوا فى وادى النيل وفى دول المغرب الكبير وفى أقطار الشام والأناضول وفى العراق وخراسان واليمن والحبشة كان السواد الكثيف الذى تزاحم على الدخول فى الإسلام!!

والغريب أن سورة الإسراء المكية هى التى تنبأت بذلك ووصفته فى مشهد عاطفى عميق الآثار .

---

(١) الرعد : ٣٧ .

قال الله لنبيه محمد ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً * قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً * وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [1]

هؤلاء النصارى الصالحون فى مصر والشام وغيرهما الذين دخلوا فى الإسلام بحماس وتقوى وهم الذين شدّوا أزره وقوّوا ظهره وهزموا معه دولة الروم وأنزلوا رايتها إلى الأبد من أقطار فيحاء!!

لكن دراستنا للتاريخ مؤسفة ، وحكمنا بالإسلام شابه خطأ كبير ، بل شابته خطايا فادحة!

وهل أعجب من أن واليًا فى خراسان وآخر فى مصر استبقيا الجزية على من أسلم حتى زجرهما عمر بن عبد العزيز وأعاد إليهما صوابهما ؟!

* * *

(١) الإسراء : ١٠٦- ١٠٩ .

ليسوا سواء..

الحديث عن أهل الكتاب عندنا يحتاج إلى تأمل وأناة، فإن هناك قومًا يقولون عنا لا علاقة لهم بالسماء ولا مكان فى مواريثهم لوحى!! وهم ما يحسبوننا إلا خارج القانون «وقالوا : كونوا هودًا أو نصارى تهتدوا . . . »، ولا هدى وراء ذلك «لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى . . . ».

أما المسلمون فلا طريق لهم إلى الجنة . . .

وجملة اليهود من هذا الصنف الذى يظن بنا السوء، ولا يفكر فى اعتراف بنا أبدًا!! وانتظار اعتراف من هنا أو من هناك صعب وعلى صاحب الرسالة أن يؤدى واجبه بصدق وتجرد، والمستقبل عند الله ولذلك قيل لمحمد عليه الصلاة والسلام ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾[1] عليه التشبث بتوحيد الله والإيمان بسائر كتبه و إقامة العدل بين جميع الأتباع إلى أن يجمع الكلَّ يوم الحساب!!

وليس فى هذا اليوم ظلم .

والطريف أن الوفد الذى آمن من أهل الكتاب عبّر عنه القرآن الكريم بهذه الكلمات ﴿ .. آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴾[2] كأنهم يقولون لا جديد فيما سمعنا فنحن مسلمون من قبل!!

ويزداد هذا المعنى وضوحًا فى وصف الله لأهل الكتاب ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾[3] إلى آخر ما وصفوا به من خلال التقى والفضل . .

---

(١) الشورى : ١٥ . (٢) القصص : ٥٣ . (٣) آل عمران : ١١٣ .

إننا نسجل هذه السطور لكى يعلم أهل الاعتدال والقسط إننا نفتح صدورنا لمن شاء التعاون على البر والتقوى .

فإن العالم طافح اليوم بالآثام والمظالم ، وقد استطاع الملاحدة أن يسوِّدوا صحائفه ويملؤوها بالكفر الصراح ، فهل يبقى تبادل التهم ديدن أهل الأديان؟

وهل تبقى استباحة المسلمين وحدهم قاسمًا مشتركًا يجمع كارهى الوحى ، والضائقين بعدالة السماء؟

إن الفكر المادىّ يزحف ببطء ولكن بإصرار كى تختفى عقيدة الألوهية والبعث ويعيش البشر فى جاهلية حديثة!

ونحن المسلمين نشفق على الدنيا من هذا المصير ونريد للعقل الإنسانىّ الذكىّ أن يعرف ربَّه معرفة بعيدة عن الخرافة ، وأن تتعايش أجناسه تعايشًا قائمًا على العدالة والتعاون ، وباسم الإسلام نتقدم إلى الجميع كى يرسموا للعالم مستقبلا أشرف .

* * *



... شغل رجال لا حفظ أطفال.

خطر لى أن أفرح بالعيد كما يفعل الناس ، ولكنى عجزت فإن أعباء الرسالة التى أحملها مع غيرى من الدعاة أنقضت ظهرى وطاردت البشاشة من وجهى!

والأمر يحتاج إلى شرح . .

فإن الله عندما بعث إلينا رسله بالحق قال ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ... ﴾ (١) .

ولكن أتباع الرسل فى هذه الأيام إما فقدوا الكتاب ، وإما فقدوا الميزان ، ثم تعسفوا الطريق فى هذه الحياة فلم يستقم لهم شىء وغلبهم من ليس لهم كتاب ولا لديهم ميزان!! .

كان البحر الأحمر بحيرة إسلامية من أعلاه إلى أدناه .

فأقام اليهود لهم دولة من فوق ثم أقاموا دولة مسيحية بين كثرة إسلامية كبيرة فى إريتريا لتحرس لهم البحر من تحت!

وكذلك كان البحر الأبيض ـ على عهد الأتراك ـ ثم أصبح شاطئه الإفريقى مسلمًا منقسمًا متخلفًا وشاطئه الأوروبى يمثل تقدم الغرب فى كل ناحية ، والجهود الآن تبذل لمحو الشارات الإسلامية عن هذا البحر ، وتغليب ثقافة متوسطية عليه! ، تبدأ بإنشاء مكتبة الإسكندرية لإشاعة هذه الصبغة!!

ونسأل : أين الجامعة العربية؟

إن العرب إذا لم يقودوا العالم الإسلامى سياسيًا فيجب أن يقودوه ثقافيًا والجواب : إن العرب الذين يهرول بعضهم إلى إسرائيل ، وبعضهم إلى أوروبا وأمريكا نسوا

(١) الحديد : ٢٥ .

الحضارة الإسلامية ودوْر العرب فيها وهم الآن يريدون أن يعيشوا بتمويل يهودى - غربى!!

وإذا غامر العرب بحركة غير محسوبة فلدى بنى إسرائيل سلاحهم الذرى يسحقون به كل معارضة!

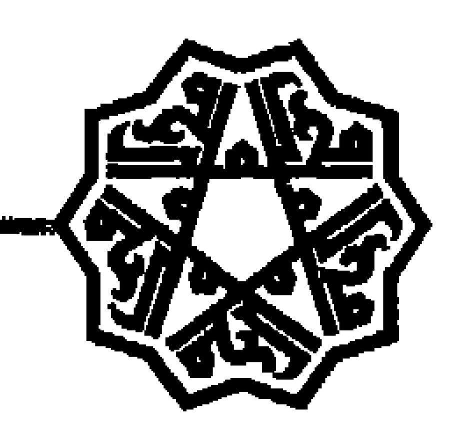
إننى رجل مسلم أعرف رسالة محمد معرفة حسنة ، وليس الإسلام غولاً تأكل الناس ، إننا نتبع دينًا يقول لأتباعه ﴿ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[1] ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾[2]

والعالم الآن يتجه إلى نسيان الوحى ، وجحد الله ، وافتعال الأديان كما يهوى! ويستحيل أن نكفر بالله الواحد أو ننسى هدى محمد ، و إذا كان لابد أن نفنى فى سبيل هذه الغاية فمرحبًا بالموت ، فإن فناء فى الحق هو عين البقاء . . .!

أطالب المسلمين أن يصطلحوا مع دينهم على نحو يرتضيه أولو الألباب ، وأن يعرفوه معرفة شريفة لا غلو فيها ولا تفريط ، وأن يحترموا حقوق الإنسان أيا كان لونه ودينه ، وأن يجعلوا القرآن شغل رجال لا حفظ أطفال .

* * *

(١) الحج : ٧٧ . (٢) آل عمران : ١٠٤ .



صفحة مطوية من التاريخ.

هذه صفحة مطْويّة من تاريخ العلاقات بين الإسلام والنصرانية رأيت أن أذكّر بها أولى الألباب .

إن الإسلام كان حاسمًا فى تقرير عقيدة التوحيد فلم يوارب ولم يتجوّز وأعلن رفضه التام للتعديد والتجسيد وبيّن أن المسلمين جزء واضح من الكائنات التى أسلمت لله وأذعنت لمجده وتعرضت لرفده ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (١)

إلا أن الإسلام مع هذا الإيمان الخالص عامل النصارى سياسيّا واجتماعيّا معاملة رقيقة ورأى الاقتراب منهم والتعاون معهم ، وظهر ذلك فى موطنين : عندما أمر النبىّ المستضعفين بالهجرة إلى نجاشى الحبشة ليجدوا عنده الأمان ويستريحوا من العذاب ، وعندما واسى الرومان المنهزمين أمام الفرس فى معركة فقدوا كل شىء فيها وعادوا إلى بلادهم سود الوجوه تاركين النساء والأموال ، وفاقدين شرق إمبراطوريتهم بما فيها مصر واليمن والشام . .

ولكن صوتًا فريدًا لا نظير له فى المشارق والمغارب كان يصيح فى مكة ﴿ غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُم مِّنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ .. ﴾(٢)

كيف قيل هذا؟

ومَنْ يصدقه؟

لكن القرآن قال هذا فى السنة الخامسة من البعثة تقريبًا وبعد تسع سنين انتصر الرومان واستردوا كل ما خسروه ، فهل اتصلوا بصاحب النبوءة يشكرونه؟ ويثنون على

(١) آل عمران : ٨٣ .	(٢) الروم : ٢ - ٤ .

صنيعه؟ ويعجبون لأمره؟ كلا ، بل زعم أفاك منهم أن محمدًا قال ما قال لأنه يكره الفرس بعدما مزّق كسرى رسالة له يدعوه فيها إلى التوحيد!

والرسالة المذكورة صدرت من الرسول حقًا ولكن بعد خمسة عشر عامًا من وقوع الهزيمة الكبرى!

وصدرت معها رسائل إلى القيصر والنجاشى والمقوقس وذلك فى السنة السابعة من الهجرة ، فكيف تكون سبب النبوءة التى حلّت بالرومان ، وجعلت نهارهم ليلا؟

إن طىّ هذه الصفحة بإصرار لها دلالة لا تسرّ ، ثم تقدم الجيش الإسلامى ، ودخل بيت المقدس ، وحانت صلاة الظهر وكان عمر يفاوض الرومان فى تسلُّم البلدة فقاله له الأسقف حين حانت الصلاة : صلِّ مكانك فى الكنيسة . وهذا أدب مشكور ، ولكن الخليفة الراشد قال للرئيس المسيحى : لو صلّيت هنا لوثب المسلمون على المكان وحازوه قائلين : هنا صلّى عمر فلتبق الكنيسة لكم وحدكم!

ولم ير عمر حرجًا من تعدد الأديان والمعابد فى بيت المقدس فماذا كان الجزاء؟

بعد خمسة قرون ذُبحت جماهير المسلمين فى بيت المقدس ، وخاضت سنابك الخيل فى دمائهم ، ثم استرد المسلمون القدس ، وعفوا عن جميع النصارى به فعادوا إلى بلادهم واقرين ، ومن سنين قريبة دخل «أللنبى»[1] بيت المقدس وقال : الآن انتهت الحروب الصليبية فهل صدق؟

* * *

(١) القائد الإنجليزى الشهير .



عدو داخل الكيان .

عندما يكون العدو داخل الكيان فإن مكره يكون شديدًا وأذاه يكون فادحًا . .

وقديما كان الكفار والمنافقون يعيشون داخل المدينة المنورة يتربصون الدوائر بالمسلمين ويلحقون بهم ما استطاعوا من خسائر ، فلما خرج الرسول وصحابته إلى عمرة الحديبية قال هؤلاء : خرجوا ولن يعودوا ، وسيبطشن بهم أهل مكة!! .

فلما عاد المسلمون بعد عقد المعاهدة المشهورة استقبلهم القاعدون يقولون للرسول ﴿ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا . . ﴾[1] وكان الرد الإلهى ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾[2]

وفى غزوة العسرة قال أعداء الإسلام : سيلقى المسلمون حتفهم على يد الروم ، ولن يرجعوا إلى المدينة أبدًا . .

وعاد المسلمون منصورين وأقبل المتخلفون معتذرين عن قعودهم ﴿ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[3]

واليوم يعيد التاريخ نفسه فإن الاستعمار الثقافى نجح فى إغواء عدد من الناس لايخفون كراهيتهم لشريعة الله وضيقهم بالصلاة والصيام وترحيبهم بالخنا والفسوق يسلقون الدعاة بألسنة حداد ، وكلما سمعوا صيحة ضد الإسلام رددوا صداها وأعلنوا رضاهم عنها . .!

وخطر هؤلاء شديد على مناهج التربية ، فهم يعكرون تيارها يبتغون إنشاء أجيال لا عفة لها ولا يقين ، وخطرهم أشد على خطط المقاومة الدينية للغزو الهاجم علينا فهم

(١) الفتح : ١١ .
(٢) الفتح : ١٢ .
(٣) التوبة : ٩٠ .

يرحبون به ويتعاونون مع زبانيته وسماسرته حتى لايستجمع الإسلام قواه ويعود إلى ملء الفراغ الثقافى والسياسى الممتد فى بلاده .

وقد قرأت خمسة أسئلة موجهة إلى عدد من الأشخاص الذين يكرهون الإسلام والأسئلة هى :

١ ـ هل يحافظ الإسلام حتى يومنا هذا على دعوته الشاملة؟ .

٢ ـ هل يمكن لدولة عصرية اعتماد الإسلام نظام حكم؟ .

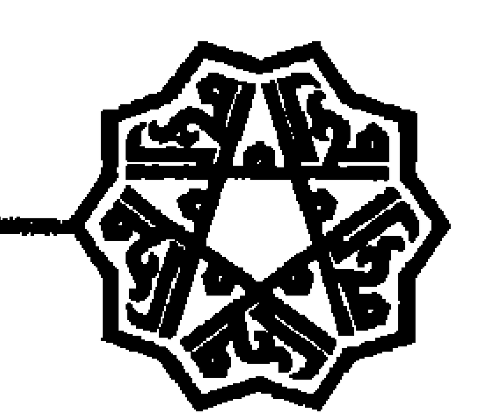
٣ ـ هل النظام الإسلامى للحكم مرحلة يتحتم على الشعوب العربية أن تمر بها فى معرض تطورها؟ .

٤ ـ هل تأخذ ظاهرة اليقظة الدينية التى برزت فى السنوات الماضية منحًى إيجابيًا؟

٥ ـ من هو العدو الأول للإسلام فى العصر الحالى؟

ونحن لاننتظر من أنصار الصهاينة والصليبيين والعلمانيين أن ينصفونا .

* * *



إننى أحذر جماهير المسلمين ..

تألف بعض الأمم الآثام حتى تمسي جزءًا من كيانها تتمسك به وتدافع عنه ، وفي ذلك يقول الله سبحانه ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ .... ﴾(١) .

ومعنى زيّن لهم أعمالهم جعل القبيح فى عيونهم حسنا ، وجعل المرّ فى مذاقهم حلوًا وكرّه لهم الاستقامة وتراث السماء فهم لايرتضون إلا ما ابتدعوا ولايقبلون عنه بديلاً .

قرأت فى الأخبار(٢) تحت عنوان «أول زواج بروتستانتى للشواذ تم فى كنيسة بسويسرا» وهو عنوان كاذب فإن السفاح لايسمى نكاحًا ، والمنكر لايوصف بأنه عمل عادىّ .

ونحن نعلم أن الإسلام ربط بين العقيدة والشريعة وكان من أوائل ما خاصم عليه اليهود رفضهم إقامة حدّ الزنى كما جاءت به التوراة .

كيف يصح إيمانك بالله إن رفضت حكمه؟ وكيف تدعى الإيمان به إذا كرهت وحيه ولكن اليهود أماتوا أمر الله حتى أحياه محمد بعد ما أماتوه ، وهم الآن يثأرون لأنفسهم فيعودون إلى إباحة الزنى ويضمّون إليه إباحة اللواط وينشرونهما بين الأمم النصرانية التائهة . .!! ويدعون العالم إلى الحرية الجنسية تحت علم هيئة الأمم المتحدة .

واقرأ معى هذا الخبر المقبوح . . «لأول مرة فى سويسرا تم «تزويج» شابين شاذين جنسيًا فى كنيسة إنجيلية فى مدينة برن! وقد تعاهد الشابان أمام القسيس على الحب الدائم والوفاء (!) وتبادلا خاتمى الزواج فى حضور جمع من أصدقائهما وأسرتيهما . . ومعلوم أن الزواج الآنف ممنوع قانونًا فى سويسرا ولكن الحفل أقيم بشكل يتطابق مع الزواج العادى .

---

(١) النحل : ٦٣ .

(٢) تاريخ : ١٤ / ٧ / ١٩٩٥ .

وقد قال القسّ «كلاوس بوملين» يصف حفل الزواج ـ كما سماه : «إنها بادرة تعويض بسيطة حيال مثيلى الجنس الذين رفضتهم الكنيسة ولاحقتهم طوال قرون»! .

وكانت الدانمارك أول بلد فى العالم يعترف قانونًا بهذا العقد .

ومنذ شهور «دعا البرلمان الأوروبى الدول الأعضاء فيه إلى منح الشواذ ـ المتزوجين ـ الحقوق والواجبات التى يتمتع بها الأزواج العاديون»!!

إنه يحزننى أن أسجل هذا الخبر الوضيع ، بيد أننى وجل على مستقبل الإسلام فى أمته وفى العالم بعدما انتصر الاستعمار التشريعى فى كثير من أقطارنا ، وأبطل حرمة الخمر والزنى!

كان القذر الجنسى يتم فى خفاء ، ثم صار يبدو على استحياء ، ثم تواضع عليه الرعاع ثم صار قانونًا يعمل به ، ثم انعقدت مؤتمرات عالمية تدعو إليه ولا ترى فيه عوجا . . .!

إننى أحذر جماهير المسلمين من ناشئة حديثة تكره الله ورسوله ، وتنقم على الإسلام وتراثه ، وتريد باسم العلمانية والثقافية الإنسانية أن تعيدنا إلى جاهلية عمياء .

* * *

هل يعى المسلمون هذه الدروس ....؟

كأن المؤسسات الدولية الكبرى فى حالة احتضار فهى لم تقمع ظالمًا ولم تؤدب عاتبًا ولم تجفف عبرة مظلوم ولم تضمّد جراح منكوب ، مع أن الأصل فى قيامها حماية الحقوق ومنع العدوان!

وإذا بقى ساسة أوروبا وأمريكا على هذا الجمود أو هذا النفاق فإن مستقبل الإنسانية كلها سيتشح بالسواد! .

إن الجاهليات القديمة لم تخل من رجال فى شمائلهم نبل ، وفى طباعهم رحمة قرروا الوقوف مع مَنْ هضم حقه حتى يسترد هذا الحق بالسلام أو بالسلاح .

أما اليوم فالمصاب ينزف حتى يموت دون مواساة أو نجدة لاسيما إذا كان مسلمًا!! فإن ترك منكوبيهم حتى يهلكوا شىء لا حرج فيه! ولعله مقصود . . .

لقد ذهبت عصبة الأمم مع شرف الدوافع التى أوحت بإقامتها ، كانت فى دماء الأمريكان بقايا من نخوة «لنكولن» محرر العبيد[1] ، وكانت فى دماء الحلفاء بقايا من كره الصلف الألمانى والأسى على ملايين الهلكى! لكن العصبة القديمة سادها الجبن عن مواجهة الظلمة وعجزت عن مقاومة الاستعمار الإيطالى وهو يعربد فى إفريقية فانتهت .

والواقع أن مساندة الحق شرف لاتستطيعه أية دولة خصوصًا من تنكرت لرسالات الله . .

ثم قامت هيئة الأمم ، وتولت الإشراف عليها دول عظمى خمس أكثرها لها تاريخ فى السلب والنهب فكيف تقوم بدور الأستاذ المؤدب أو القاضى العادل؟ وبين هذه الدول والإسلام ضغائن لا تريد نسيانها ، ومن ثَمَّ فهى تكره شعوبه وتتآمر على حاضرها ومستقبلها .

(١) فى الولايات المتحدة الأمريكية .

لقد أنشأت هيئة الأمم دولة اسمها إسرائيل بَنَتْها من أنقاض فلسطين العربية ، وسلحتها بما يجعلها قادرة على أن تهزم الدول العربية جمعاء ومكنتها من القنبلة الذرية ، وحظرت على العرب والمسلمين هذا السلاح ، وعندما انهارت الشيوعية العالمية وتم تفكيك دولتها الكبرى إلى دويلات ضنت هيئة الأمم على المسلمين أن تكون لهم دولة فى أوروبا وتركت الصرب تلتهم البوسنة وحظرت توريد السلاح على البوسنة المحروبة المنكوبة ، والمسلمون فى «يوغوسلافيا» السابقة هلكوا فرادى وجماعات ، وتشرف الآن هيئة الأمم على تشتيت الضحايا وإذاقتهم الهوان .

فهل يعى المسلمون هذه الدروس ويعتبرون؟

أم يظلون يتخذون دينهم لعبًا ولهوًا؟ .

* * *



معالم وذكريات الانهيار..

لا أدرى لماذا يخالطنى الشعور بأنى أعيش فى القرن السابع أيام سقوط بغداد ووفاة الدولة العباسية ، أو بعد ذلك بقرنين أيام سقوط غرناطة واختفاء الإسلام من الأندلس؟ نعم أنا أحيا فى القرن الخامس عشر للهجرة .

والمسلمون خمس العالم وينتشرون فى كل القارات ، بيد أن هزائم ثقيلة تنزل بهم ومؤامرات لئيمة تحاك لهم وظلمات كثيفة تتجه إلى مستقبلهم ويستحيل أن يبتسم مسلم مخلص وهو يرى هذا الهوان يكتنف دينه وقومه!!

وكيف يبتسم وهو يرى الأخطار تتجه إلى قلب أمته وأطرافها ، والأعداء وهم جادون فى الإجهاز عليها ، ومع ذلك فجماهيرنا تلهو وتلعب!

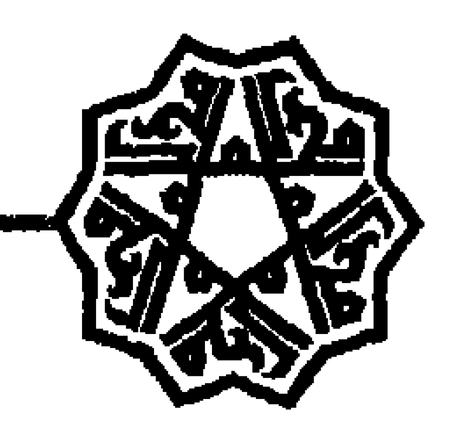
إن الذنوب التى نقارفها والتوافه التى تشغلنا هى الثغرات التى ينفذ العدو إلينا منها ، ويحكم قبضته علينا ، ولانزال نلفت الأنظار إلى مصادر الخطر على حياتنا كلها ، إنها :

أولاً : مواريث الثقافة المغشوشة التى تحتضن البدع والخرافات ، ولا تعرف عادة من عبادة ولا ركنًا من نافلة من ولا دنيا من آخرة ، ولاترسم للإسلام صورة صحيحة تبرز فيها أجهزته الرئيسة وسماته التابعة ، وأهدافه الأولى ومطالبه الثانوية . . .

وثانيًا : ما وفد به الاستعمار الثقافى للحضارة المنتصرة! إنها حضارة تعبد اللذة ، وتزدرى الآخرة وتنسى الله وتجحد حقوقه وقد سخرت الأرض ـ التى خلقها الله لعباده ـ لخدمة إلحادها على حين وقف المؤمنون الذين يجهلون قواها لايحسنون دفاعا بل لا يستطيعون حراكًا . . .

إن الدعاة الحقيقيين للإسلام لابد أن يكتئبوا ولايعنى ذلك تكاسلاً واستسلامًا ، إنهم يشمرون عن سواعدهم ويرتبون صفوفهم ويدافعون عن دينهم ، ولايزالون فى كفاح حتى يحكم الله لهم .

* * *



كثير من البصيرة فى كتب التراث .

أرمق بقلق بالغ بعض النصائح الدينية التى توجه إلى الجماهير ، فإن المادة العلمية فى بعض كتب التراث تحتاج إلى استدراك وبيان ، والغارة الثقافية على دار الإسلام تحتاج إلى مواجهة حذرة ، وأساليب جديدة .

وسلسلة الهزائم العسكرية والسياسية التى أصابت المسلمين فى العصور الأخيرة توجب تكوين دعاة من طراز خاص!

دعاة لايعمَوْن عن الواقع ولايزيدون الطين بلَّة!

سمعت خطيبًا يقرأ الآية ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴾[1] ثم يُردفها بحديث رواه أن الرسول قال : «لا أرضى ومن أمتى واحد فى النار»!! وضجت الدهماء من السرور وأيقنتْ بحسن الختام . .

وهذا المسلك كله عبث بالإسلام وخيانة لجماهيره و إظلام لمستقبله . إن قتال حياة أو موت يدور الآن فى جبهات شتى ، والرحى الدائرة توشك أن تطحننا ، وخسائرنا تترى ، ولايجوز فى هذه الحال إلا تكرار العقْد المأخوذ على المؤمنين ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ ﴾[2]

هل أُلغِيَ هذا العقد وأمسَى تقسيمُ الجنة بالمجان؟

لا طريق إلى الجنة إلا بالعمل المجهد المتتابع ، والويل لنا إذا استسلمنا للخيالات وتصبَّب أعداؤنا عرقًا . . .

---

(١) الضحى : ٥ . (٢) التوبة : ١١١ .

قال صوفى طائش : إن حديث «لن يدخل أحد الجنة بعمله» يمثِّل الحقيقة وإن آية ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[1] تمثل الشريعة فقاطعته على عجل : دعك من هذا الخبال .

إن أعداء الإسلام لايسرّهم شىء كهذا اللغو .

يجب تجنيد المسلمين قاطبة لمواجهة الهجوم الذى يتعرضون له ويريد استئصال شأفتهم ، أما حديث لن يدخل أحد الجنة بعمله . . فالمراد به محاربة الاغترار بالعمل والاجتراء به على الله ، ولايعنى بتة ترك العمل والاستسلام للكسل .

وقد جاء على لسان أهل الجنة ﴿ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾[2] ثم جاء هذا النداء ﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[3]!!

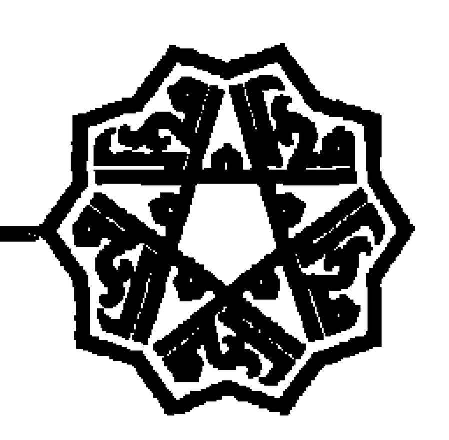
يؤسفنى أن كتب التراث أصبحت كالصيدليات المفتوحة دون حارس يدخلها من شاء ليأخذ منها ما شاء وقد يقع على عقار يكون فيه حتفه! .

ربما سمعت متحدثًا فى الدين لا فقه له فأذكر قول شوقى :

أخطيـــب أنـــت أم خطـــب و إن   لم تهنْ . والخطب أحيـانا يهـون!!

* * *

(1) النحل : ٣٢ .
(2) الأعراف : ٤٣ .
(3) الأعراف : ٤٣ .



توضيح للردة ..

أنا واحد ممن يعمرون هذا الملكوت مسبحين بحمد ربهم ومقدسين له ، أكره الإلحاد بقدر ما أحبّ ربى ، وأحتقر الكفر بقدر ما أعلم من مجد الله وجلاله وقيام السموات والأرض به!

وقد ابتلى المسلمون عقب استعمار أوروبا لبلادهم بعصابات من الناس ترفض الإيمان وتريد أن تعيش بلا عقيدة ولا شريعة .

وظاهر أن أوروبا ـ بعد انسحابها من بلادنا ـ تعتبر هؤلاء أبناءها الأماثل وتعينهم ماديًا وأدبيًا سرًا وعلنًا .

وقد حكم القضاء النزيه على واحد من أولئك المرتدين[1] بعدما استعرض كتاباته وكشف ما بها من سموم .. وفوجىء الناس بأشخاص يشغبون على هذا الحكم ويلغطون بكلمات نابية ، خلاصتها أن حرية الكفر جزء من حرية الرأى ، وأن لمن شاء أن يدير ظهره لأحكام الإسلام[2]!! .

وقد قلت ومازلت أقول : إن من استبطن الكفر وخَبّأه فى أعماق نفسه أو عاش به فى قَعْر بيته فلا سلطان لنا عليه ، ولن نكشف له سوأة أو نلحق به سيئة!! .

أما من يريد هدم أركان الجماعة ، و إشاعة الكفر والفسوق والعصيان فيستحيل تركه .

واللغط الذى يفتعله الآن بعض ذوى الأقلام يجىء إما من شيوعيين يقولون : لا إله والحياة مادة والدين أفيون الشعوب!

وإما من علمانيين يقولون ليس لله أن يحكم الناس ، ويشرع لهم فرادى أو جماعات ما يلزمهم فعله أو تركه . . .

والفريقان يمقتان أحكام القرآن والسُنّة ، ويريدان طيّها إلى الأبد والحكم بما لم يشرع الله . . .

---

(١) يقصد : نصر أبو زيد .

(٢) يقول الشيخ الغزالى : «إن حرية الرأى لا تعنى الخطأ أو إعطاءه حق الحياة» . . انظر كتابه الشهير : من هنا نعلم .

وقد عجبت لرجل قانون يقول ليس لكل امرئ أن يتهم الآخرين بالردّة ،لابد من لجنة علمية متخصصة .

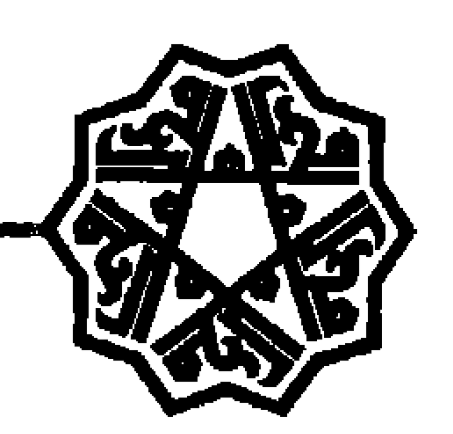
حسنًا ونحن نحترم التخصص ولكننا نسأل : ما العمل إذا جاء رجل يحمل صفة مستشار أمن الدولة [1]وصاح : ليس فى القرآن ما يفيد أن الخمر حرام ليس فى القرآن ما يفيد عقوبة ، أو حدًا للشواذ ، ماذا يريد الرجل بهذا الصياح وهل القول بارتداده يحتاج إلى متخصصين؟

إن العمال والفلاحين يكتشفون خبيئته! والموجع أن تنفجر هذه الفتن فى بعض أقطار العرب ، ونزيف الدم الإسلامى مستمر فى أوروبا وأسيا ولا يؤذن بجفاف ، أهو إلحاد أم خيانة؟

إن كفر هؤلاء فى هذا الوقت بعينه خسّة لا تطاق .

* * *

(١) يقصد : سعيد العشماوى .



ماذا بقي للقوم من دين..؟!

الحضارة الغربية السائدة فى أوروبا وأمريكا مُجمعة على تعطيل الأحكام السماوية ، ومستريحة إلى البدائل التى حلت محلها ، وهى تريد من الآخرين أن يحذوا حذوها فيكفروا بشرائع الله ويقرُّوا مكانها قوانين الأرض!

وعجيب أن تسخط الله وتطلب من غيرك أن يسخطه!

ولو أن البوسنة ـ على نحو ما ـ ظفرت باستقلالها لأرسلت إليها الأسرة الأوروبية خطابا صريحا باختيار أى قانون أوروبى ليحكمها ، ولتوعَّدتْها بالويل والثبور وعظائم الأمور إذا هى حكمت بشرائع الإسلام!

والأوروبيون يستغلون الآن نفوذهم فى هيئة الأمم لعقد مجامع ومؤتمرات عالمية للرضا بالشذوذ بين الرجال والنساء وإدْخال تقاليده النجسة فى حياة الأمم ، وشراء ضمائر عصابات حملة الأقلام لترضية الرأى العام بهذا السقوط!!

يبدو أن الدين فى الغرب عنوان على وهم كبير!

أو فراغ روحى رهيب ونتساءل : هل هذا الموقف جديدٌ من أحكام السماء؟

الغريب أن اليهود فى عصر الرسالة رفضوا تحكيم التوراة فى مآسيهم الخلقية فخاصمهم نبىّ الإسلام كيما يقيموا حكم التوراة المنزلة عليهم!

قال تعالى : **﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُوْلَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴾**(١) .

كانوا يظنون أن محمدًا عليه الصلاة والسلام سيؤيدهم فى إماتة التشريع الإلهى ففوجئوا به يأمر بإحيائه ويحكم بتطبيقه!

إنه لايوجد نبىّ من الأنبياء يبيح الخنا ويصالح الزناة ويقر عبثهم فى المجتمع .

---

(١) المائدة : ٤٣ .

ولايوجد نبىّ يهدر القصاص ويعطل الحدود ويفتح الحانات والمواخير ، إن الأنبياء حماة للطهر والخير وحراس على الحق والنور وقد قال تعالى : ﴿ **قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ** .. ﴾ [1]

قال صاحب المنار [2] المعنىُّ بالرسول هنا موسى أو عيسى فإن اليهود والنصارى خالفوهما قبل أن يخالفوا محمدًا ، ولو كان أحدهما حيًّا بيننا لانضم إلينا فى مُخاصمتهم والإنكار عليهم ، ذاك فى شئون الأخلاق والمعاملات ، أما فى أصول الإيمان فإن إنكار الألوهية والبعْث أمر مألوف فى أوروبا وأمريكا ، ماذا بقى للقوم من دين؟!

❋ ❋ ❋

(١)التوبة : ٢٩ .

(٢) الشيخ : محمد رشيد رضا .

أحرام على بلابله الدوح



لم أشعر فى السنين الأخيرة أن التعصب ضد الإسلام قد تراجعت موجته أو انكسرت حدته ، بل على العكس تعددت الوسائل وتوقحت وزادت ضراوة الأعداء . ومع أن عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر هى الهدف المنشود إلا أن الهجوم يتجه إلى ما يسمّى بالإسلام السياسى .

أو إقامة الدولة الإسلامية التى تعيد الحكم بما أنزل الله!! .

ويتساءل أعداء الإسلام : هل يمكن لدولة عصرية اعتماد الإسلام نظام حكم؟ ونقول : لم لا؟

ولماذا اعتمدت اليهودية نظام حكم فى إسرائيل؟

ولماذا أقامت للفاتيكان دولة؟

ولماذا أظلت الوثنية نظام الحكم فى الهند وحمت هدمه للمساجد؟

هل ديننا وحده هو الذى يجب حرمانه من السلطة؟ وتعطيل الأحكام التى جاء بها؟ ومتى يقع هذا؟ فى ظروف تسمح لإسرائيل بالتسلُّح الذرّى ، وتكديس قنابل تمكن اليهود من إفناء المسلمين كافة؟

إن خطة بناء إسرائيل وضعت على أساس أن تقدر وحدها على هزيمة عشرين دولة عربية!!

وهل يعرف العالم الموازنة السنوية للفاتيكان؟ إن خزائنه مفعمة بالمليارات التى تنفق على خدمة الكنيسة وتوسيع رقعة التبشير فى القارات الخمس ، ولديه من الناحية الاقتصادية إمكانات إحدى الدول الأولى فى العالم ، فهل الإسلام وحده هو الذى يحرم من إقامة دولة تحميه وتخدم أهدافه؟

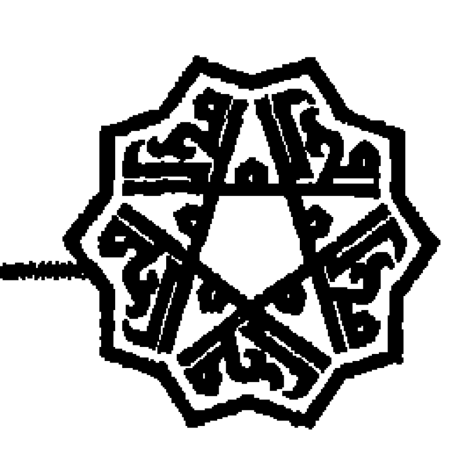
لقد ظل مسجد « يا برى » بضعة قرون فى الهند حتى تذكرت الوثنية بغتة أن أم إحدى الآلهة مدفونة فى ترابه!!

فهدمته إحياء للصنم البائد! ولم يستطع ١٥٠ مليون مسلم هناك أن يصنعوا شيئًا للدفاع عن شعائرهم ، فهل التعليق على هذا أن يتنادى العلمانيون العرب بحرمان الإسلام من السلطة ومهاجمة الإسلام السياسى؟ عجبًا ، وهل تحترمون الإسلام فى ميدان العبادات أو المعاملات؟

سمعت أحدهم يقول : يا ريس بلد النور القبلات والأحضان فى الحارات والميادين ، فى الترام وفى السيارات ، رائحة الحب فى الجوّ كلّه ، كنت أريد أن أقول له أتحب أن تكون أختك أو زوجتك فى أحضان آخر؟ ولكنى سكت لأنى توقعت أن يقول : لا مانع من تبادل المتعة!

إن الحرب على الحكم الإسلامى يعلنها أفاكون وقوادون لايؤمنون بلقاء الله ، ولايحترمون له هداية .

* * *



أيتام على مآدب اللئام

المسلمون فى المؤتمرات العالمية أضيع من الأيتام فى مآدب اللئام ، والنظر فى قضاياهم لا يعرف الإنصاف ولا الرحمة .

من خمسين سنة قضت هيئة الأمم المتحدة بانتزاع فلسطين من أهلها وجعلها وطنا قوميًا لليهود ، وقادت هذه الحركة أمريكا وروسيا ، لقد اصطلح الخصمان الألدّان على رفاتنا وسكتت الدول الأذناب فالأمر لا يعنيها وقد يرضيها!

وذهبت إلى قطاع غزة مندوبا من الأزهر لأعايش اللاجئين ، ماذا أرى؟ بقايا أمة مذبوحة يتزاحم فيها المستضعفون من الرجال والنساء والولدان فى انتظار الصدقات ليحيوا ساعة بعد ساعة ، وأظن الشعب الفلسطينى من أذكى الشعوب العربية وإلا ما تحمل كل هذا العذاب .

واليوم تتكرر المأساة الموجعة ، فإن قبيلة اسمها الصرب سلحتها أوروبا بأفتك الأسلحة ثم تركتها تقاتل مسلمى البوسنة لترث أرضهم وتمحو دولتهم بعدما استصدرت قرارًا من مجلس الأمن بمنع السلاح عنهم!

لقد تركتهم عزلاً يقاتلون الدبابات والطائرات! ومرت على هذا القتال الذى لا تكافؤ فيه بضع سنين . والمسلمون يقاومون باستماتة ويستغيثون يطلبون النجدة! ممن؟ من أقرباء اللصوص الغزاة وشركائهم!

قالت فرنسا : لابد من إعداد جيش لإنهاء هذه المحنة! وقالت إنجلترا عن الاقتراح الفرنسى إنه غامض ومعقّد!

وقالت روسيا القضية تحتاج إلى حلّ دبلوماسى!

وقالت أمريكا : طائراتنا مستعدة لنقل ممثلى هيئة الأمم المتحدة من هذه البلاد . .!

وأظن الصين لاتزال متريثة فى إعلان موقفها حتى تعرف الثمن!

إن هذه الدول الكبرى لا تتحرك إلا نحو مآربها ولا تبالى بما يصيب الضعاف لاسيما إذا كانوا مسلمين!

ونظرت إلى الأمة الإسلامية - وهى خُمْس العالم عددًا - فماذا رأيت؟ مجاهدو الأفغان لايزالون منذ هزموا الشيوعية يقاتلون على السلطة ، ما اجتمعت لهم كلمة ، حتى الصومال لاتزال الحرب ناشبة بين طوائفها حول من يتولى الحكم .

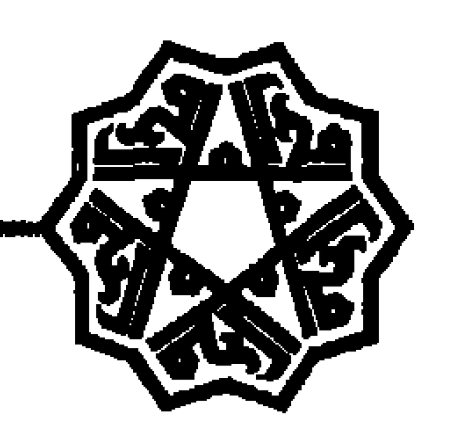
إن شهوات الدنيا لا آخر لها فى هذا العالم المتخلف .

ورأيت نفسى فى وفد يذهب إلى البوسنة ليشاهد مآسى اللاجئين المطرودين من بيوتهم ، المصيبة التى عايشتها من نصف قرن ، قالت لى أم تحمل ولدها متى نعود إلى بيوتنا؟ وتلعثم لسانى فى الإجابة . ماذا أقول؟

تبكى الحنيفية السمحاء من أسف كما بكى لفراق الإلف هيمان

على ديار من الإسلام خالية قد أقفرت ولها بالكفر عمران

* * *



أوجاع فى القلب

أمل العلمانية فى العالم الإسلامى أن تحرز فى أقطاره ما أحرزته فى تركيا من نجاح فتختفى الشريعة كلها، وتلحق بها العقيدة بعد حين!

ولاشك أن الإسلام أصيب بضربة موجعة فى تركيا، وقد ظن الحمقى بعدها أن الأتراك سيطعمون السمن والعسل! وهيهات!

لقد كانت تركيا عمدة العالم الإسلامى، وبديهى أن للمنصب مغانمه ومغارمه، فلما تركته فتحت دكان إسكاف فى جانب يسكنه الحفاة فهى تعيش على الطوى!!

وقد رأيت أنظمة الحكم العلمانية فى العالم العربى فوجدتها تعانى من القحط بقدر ما تبتعد عن الدين وذكرت قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴾[1] .

على أن الصراع بين الإسلام والعلمانية عليه ملاحظات شتى فى تقاليد المجتمع وفى أنظمة الحكم على سواء، لنفرض جدلا أن المرأة تعانى من « الدونية » أو من الحبس فى البيت! فهل علاج تلك الأوضاع إعلام يعرض الرقص الشرقى والغربى معًا؟

إن المعالجين هنا أغبى من المرضى!

وقد خبرت زعماء الديمقراطية فى الغرب، وزعماءها لدينا فوجدت هناك رجالاً يخدمون الشعوب ويتصفون بالتواضع الجمّ، أما فى أغلب أقطارنا فحدث ولا حرج عن الغرور والاستعلاء والجوع إلى الدنيا والشهرة . . .

إن فى العالم الإسلامى أمراضًا معقدة لايستأصلها إلا إيمان صحيح وتدين حقيقى .

---

(١) طه : ١٢٤ .

والإسلام ليس مرحلة إلى غاية ما ، إنه استقرار على وضع دائم ، وارتباط برسالة تجمع بين المعاش والمعاد . وقد عاش العرب قبل الإسلام بلا دين فماذا كانوا؟

كانوا حمالين للتجارة بين الشرق والغرب! فلما اعتنقوا الإسلام قادوا حضارة بهرت ورثة الفرس واليونان والفراعنة! ورئى فيها الخليفة الأول يقرع أبواب بعض البيوت ليسأل النساء عن ترشيح الخليفة الثانى بعده!!

إن هذا الخبر يوضع متواريا فى تاريخ الصحابة .

أما ضرب النساء فتوضع أحاديث لجوازه بدون سؤال!!

الحقيقة أنّ عرضنا لديننا يحتاج إلى وعى وبصيرة ، وإذا وكل أمره إلى بعض المتخلفين عقليا فمستقبلنا فى مهبّ الرياح . . .

إن القدس الآن ليست فى سلطاننا ، ترى من سيذهب إلى تسلمها؟ « عمر » آخر فى موكب من ناقة وخادم؟ ورجل فى لباس خشن متواضع؟

إن الإسلام برىء من الفراعنة والقوارين ، فلنعلم ذلك إن كنا مسلمين .

* * *



إن الله يحب معالى الأمور ....

أهدانى رجل طيب سبحة فاخرة لأختم بها الصلوات ، فتقبلتها منه شاكرًا ثم عدت إلى بيتى وأهديتها إلى حفيدة لى .

وبعد أيام قال لى الرجل : لم أرك تستخدم السبحة المهداة!

فقلت له : إننى أقدّر جميلك ، ولكن الأذكار المطلوبة فى أعقاب الصلوات لاتستغرق غير دقيقتين أو ثلاث فأوثر استخدام أصابعى ، ولا حاجة إلى جهاز إحصاء! .

ولقينى شاب يرقب هذه القصة الطريفة فقال لى : لماذا لم تقل له إن السبحة بدعة؟

فأجبت لأنه لم يتخذها قانونًا ملزمًا ، ولست ممن يشتغلون بالتوافه!

قال لى : وما رأيك فى ختم القرآن بجملة « صدق الله العظيم »؟

قلت : أدعو لصاحبها أن يكون صادقا فى ترديدها!

قال : لا أفهم ما تعنى!

قلت : كان المؤمنون فى الأمور المهمة أو الشئون التى تبغتهم يقولون ذلك « ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا : ﴿ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ... ﴾[1] .

وفى موضع آخر : ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ .. ﴾[2] . وأرجو أن يكون القارئ ، شاعرًا بروعة القرآن وجلال هداه وقوة إعجازه فيقول الكلمة من قلبه!

فقال : ليس هناك أمر بها .

قلت : ولا نهى عنها!!

قال : إنك تستهين بالبدع .

قلت : بل أزدرى الاشتغال بالتوافه! . . إن الرجل الذى تطنّ حوله ذبابة فيطلب النجدة لمواجهتها رجل أحمق ، ومثل هذا يفرّ إذا هاجمه غراب!

(١) الأحزاب : ٢٢ . (٢) آل عمران : ٩٥ .

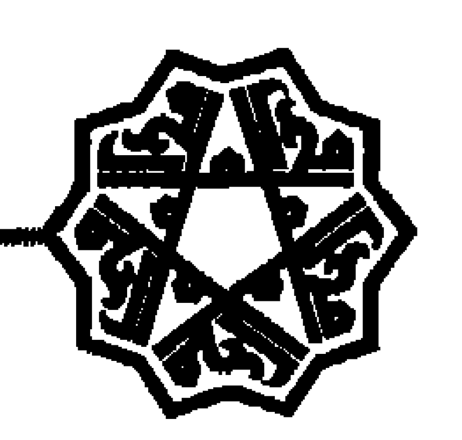
واستتليت أقول وأنا غاضب : فى عالم تآمر كبراؤه على اغتيال ضعفائه ، وجهّالُه على وأد علمائه ، وعَجَزَتُه على اغتصاب أزمَّته وامتلاك قيادته تريد شغلى بهذا الغثاء الذى ملأ أذهانكم؟!

إن ساسة العالم أحكموا خطتهم لخنق الإسلام ونسف ركائز الإيمان ، وقد توغلوا فى أرض الإسلام يبغون الإجهاز عليه ، وأنتم على شفا الهلاك تريدون شغل الأمة بخلاف فقهى فى فروع العبادة أو خلاف لفظى فى فهم كلمة؟!

ما أنتم؟ إنكم ذرية الخوارج فى هذا الزمان الهازل!

أين معاقد الإيمان وفضائل الأخلاق وعزائم الأمور؟ أين أولو الألباب؟ إننى أنصح الدعاة والمربين مذكرًا بالحديث « **إن الله يحب معالى الأمور ويكره سفسافها** » .

* * *



.. بعدا للسفهاء

أظن المطبخ الشرقى سينتعش طويلا فى رمضان ، وسيتأنق أكثر مما يتأنق طول العام ؛ لأن رمضان فى حياتنا شهر الطعام وإن سُمى شهر الصيام . . ونفقات الشهر تفزع أرباب البيوت ، وقد تكلفهم فوق ما يطيقون ولا أدرى لم هذا الإسراف كلّه والشهر المبارك شهر اقتصاد وقناعة؟!

إن تقاليد « إسلامية » كثيرة يجب أن تراجع ويحذف منها ما يأباه الإسلام!

ولا بأس من اختصاص الفقراء والمساكين ببعض الأطعمة التى يشتهونها فهذا من البرّ بهم والعطف عليهم . .

إن الإسلام اشترط لقبول الصيام الإيمان والاحتساب واللفظان يقتضيان تحمل التعب هنا ابتغاء ما عند الله هناك ، وليست خدمة الجسد بأطايب الطعام وإجابته إلى كل ما يشتهى من مفهوم الإيمان والاحتساب ، ولا هى الوسيلة المثلى لمضاعفة الثواب!

ما معنى روحانية الشهر إذن؟

وفى رمضان تطيب قراءة القرآن بالليل والنهار وعن ابن عمر رضى الله عنه « **من قرأ القرآن فقد استدرج النبوة بين جنبيه غير أنه لا يوحى إليه ، لا ينبغى لصاحب القرآن أن يجد مع من وجد ولا أن يجهل مع من جهل وفى جوفه كلام الله** »!! والمعنى أن الاكتفاء الذاتى خُلُق القارئ المخلص فلا يحزن على فائت ، ولا يلهث وراء مطمع! إن ما لديه كثير ، فليعرف قدره!

وفى عصرنا هذا رأيت فى القاهرة مجالس قرآنية غريبة ، قارئ معجب بصوته تحيط به جماعة من المفتونين بالموسيقى ، يتصايحون كلما سمعوا تطريبا أو تغريدًا ، ولا علاقة لهم أبدًا بالمعانى والعبر .

هل هذا هو الأدب مع القرآن؟

إن هذا الكتاب بنى أمة ساحقة وأقام حضارة مشرقة . فهل يسوغ أن يلتف حوله الجهلة على هذا النحو . وبانى هذه الأمة إنسان لا يعرف المجون تحمَّل فى ذات الله العنت ، وسال عرقه ودمه وهو يبنى ، ووجد من أعداء الحق ما يسوء فهل يُعامَل تراثُه بذلك التهريج؟

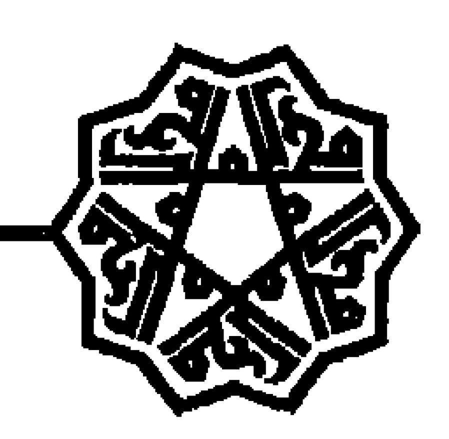
روى عن سعد بن أبى وقاص أن رسول الله قال : « **إن هذا القرآن نزل بحزن ، فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا** » أى تذكّروا ملابسات نزوله وجِدَّ الرسول فى تلقِّيه وتعبه فى تطبيقه والعمل به وفى المصير الأسود للمنصرفين عنه!!

أخشى أن يكون هؤلاء هم المعنيِّين بقوله تعالى : ﴿ **وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا** ﴾[1] .

* * *

---

(١) الأنعام : ٧٠ .



الأيدى المتوضئة ...

كلما جاءت ذكرى العاشر من رمضان ذكرت الخامس والعشرين منه عندما التقى المصريون والتتار فى عين جالوت قبل ثمانية قرون! كانت الشائعات المنتشرة أن جيش التتار لايقهر ، وأن أحدًا لايستطيع الوقوف أمامه حتى جاء السلطان « قطز » ففضح هذه الخرافة ، وبيّن أن الإيمان الوثيق يفعل الخوارق كذلك كان المصريون تجاه اليهود على ضفاف القناة ، فقد ذوّبوا قواهم وكسروا متنهم وأذلوا كبرياءهم وتركوهم شذر مذر!

وكنت يومئذ فى المغرب ـ إذ كانت المعركة مباغتة ـ وكنت أتلهف على سماع آخر الأنباء فقال لى صديق : الإذاعات الأوروبية تقول : إن الهمجية عادت ، وإن صياح التكبير يسمع على امتداد خمسين ميلا ، ودويه يغطى على زئير المدافع فقلت هذه بشائر النصر!

إن الأوروبيين يسمّون التكبير همجية ، والعلمانيين يسمونه رجعية ونحن نسميه إيمانًا وتوكلاً واستنادًا إلى الله ، وقد ساندنا ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾[1].

فاختفى خط بارليف ومُزّقت فرق المدفعية التى تظاهرُه ، وهرب الطيران اليهودى ، واستيقظ الإيمان المخدّر فى ضمير كل مصرى فإذا هو يَسوق الضباط اليهود أمامه أسرى!

إن الإيمان صانع العجائب ، وقد لجأ « قطز » إلى هذا الإيمان عندما قتل « مندوب » التتار الذى جاء إلى القاهرة يطلب منه التسليم . ثم طلب من الجيش المصرى أن يدافع عن شرفه ودينه وبلاده . .

وعندما وقع شىء من الاهتزاز فى ناحية من الجيش صاح : واإسلاماه! فمحت الكلمة الكبيرة كل تردد وتحول الجند إلى مَرَدَة لا يثبت أمامهم شىء فإذا التتار يولون الأدبار وتملأ جثثهم الأرض والفضاء .

كان العبد قطز أشرف وأشجع من الخليفة العباسى الذى استسلم فى بغداد وترك النار والدمار يأتيان عليها . .

(١) البقرة : ١٤٣ .

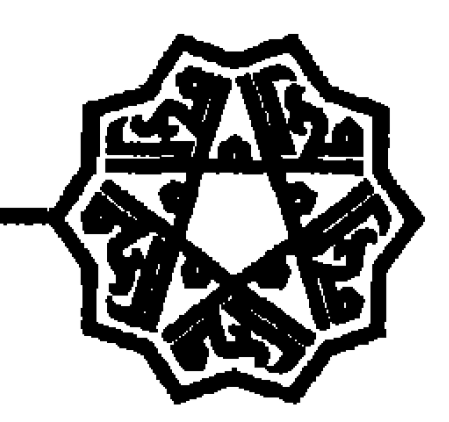
وفى العاشر من رمضان كان لفيف ضخم من علماء الأزهر يربطون على القلوب بالإيمان ويعيدون الحياة إلى صيحة التكبير التى يراد إخفاؤها!!

ورأيت الدبابات التى أعطبها فى السويس الشباب المصلى فى مسجد الشهداء ، ومعهم إمامهم حافظ سلامة ؛ وما أشجع أولئك الرجال!!

ولا أنسى المهندس أحمد حمدى الذى كان يصلى معى فى مسجد المعادى ، وقتل وهو يبنى جسور العبور على شواطئ القناة رحم الله شهداءنا .

إن الأيدى المتوضئة صنعت خوارق العادات . . . .

* * *



حلوا مشكلاتكم فى صمت

مع قلة الأيام التى قضيتها فى الولايات المتحدة فقد شعرت بأن الخلاف الفقهى ترك آثارًا غائرة فى نفوس العامة وربط انتباههم بالأمور السطحية والشئون التافهة ، وليتهم اهتموا بالعقائد والأخلاق وسيطرت على مسالكهم القيم الرفيعة للإسلام والظروف الحرجة التى يمر بها الآن ، إن تلاوة القرآن قبل الجمعة قضية تستحق العرض على هيئة الأمم أكثر مما تستحقُّه قضية كشمير مثلاً .

وقد قلت لمتهمى ذبائح أهل الكتاب ، وما يحرم وما يحلّ : إن اليهود يحرمون الخنزير مثلكم ، ويرفضون أنواعًا شتى من الأطعمة .

وقد حلوا مشكلاتهم فى صمت وعرفوا المحال التى يستريحون إليها أو التى يعتزلونها دون لغط ، يؤسفنى أنكم هواة كلام وجدل وقد نقلتم سيئاتكم إلى مهاجركم وظننتم الإسلام يخدم بطول الحديث فى الفقه ومذاهبه!!

إننى أنصح مدرسى الفقه فى بلادنا أن يعدُّوا الخلاف واقعًا لا مفر منه ، وأن يعرضوا وجهات النظر المختلفة بسماحة وهدوء . فلا عداوة بين إمام وإمام ولا معركة بين مذهب ومذهب ، وأن يعودوا بالجماهير إلى دوائر الأخلاق التى استهانوا بها ، وإلى جذور الإيمان التى نأوا عنها . .!!

إن بعض الدهماء يكنّ فى صدره غلاً لمن يصلى أو لا يصلّى تحية المسجد والإمام على المنبر! لمَ هذا الغلّ؟ وأين طاحت أخوّة الإسلام؟

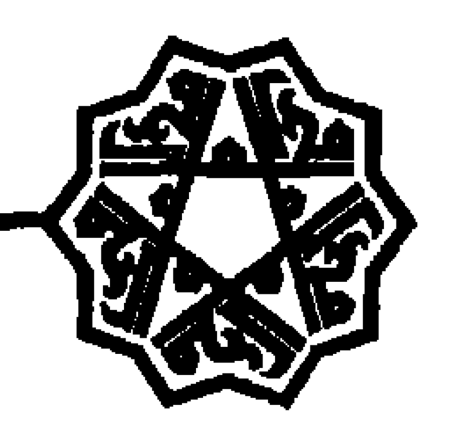
إن بعض الناس ينظر إلى شُعَب الإيمان كما ينظر الأحْوَل إلى مجموعة من السلع فيرى أشياء ويعمى عن أشياء ويمضى فى طريقه مستصحبًا هذا الحوَل العجيب ، ويؤسس أحكامًا مقلوبة على الأشخاص والأشياء لا صلة لها بالواقع .

وقد لاحظت أن « غاندى » فيلسوف الهند الأكبر قتله هندوكى متعصب ، وأن «رابين » الذى قاد قومه إلى نصر هائل سنة ١٩٦٧ ضاعف به مساحة إسرائيل وأخزى

به العرب قتله يهودى متطرف! وأن « علىّ بن أبى طالب » بطل الجهاد الإسلامى قتله أحد الخوارج!!

إن هناك متدينين يفقدون روح الدين ، ويهتمون بأزيائه وشاراته ثم يجرون فى أنحاء المجتمع يحسنون الاتهام لا التبرئة والهدم لا البناء وعلينا نحن الذين يعرفون الدين ويدعون إليه أن نحسن التفقيه والتربية وأن نتعهد البواطن لا الجلود والقلوب لا الملابس .

* * *



منساقون لا سائقون

تعطيل الوحى الإلهى مألوف بين أهل الكتاب الأولين . ومن السهل أن يكون هذا الوحى حبرا على ورق! أو زعما لا حقيقة له ، ولما كان اليهود وغيرهم يحبون أن يشيع هذا الفساد بين المسلمين فقد حذر الله أمتنا منه فقال : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾[1] .

ولكن أوروبا فى زحفها الاستعمارى الأخير طلبت إلى الحكومات الإسلامية المهزومة أن تعطل كثيرا من النصوص ، وأن تتناسى تعاليم الحلال والحرام والحدود والقصاص وكان لها ما أرادت! والغريب أن هيئة الأمم عندما نظمت مؤتمرى السكان والمرأة كانت تريد الإجهاز على ما بقى من معالم الوحى السماوى فأقرت أى علاقة بين رجل وامرأة ، أو امرأة وامرأة أو رجل ورجل .

ورفضت اعتبار ذلك جرائم زنًى وسحاق ولواط!!

والحضارة الحديثة بعد انسلاخها عن الدين لا ترى فى ذلك حرجًا!

وفى أطوار مجتمعنا ناس يحبون ذلك ويمهدون له ويدعون إليه ، إنهم موالون للاستعمار الثقافى والاجتماعى الكاره لما أنزل الله .

وقد نبهنا القرآن إلى هؤلاء المنافقين ودسائسهم وتعاونهم مع الحاقدين على الوحى كله : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۞ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾[2] .

هل يلام المسلمون إذا قالوا لأهل الكتاب احترموا الوحى النازل عندنا وعندكم؟

(١) الحديد : ١٦ .
(٢) محمد : ٢٦ - ٢٨ .

وإذا كان أصحاب الكتب السماوية يهملونها ويرفضون ما بها فلم ينتمون إليها؟

لهذا يقول الله لمن سبقونا :﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ﴾[1] .

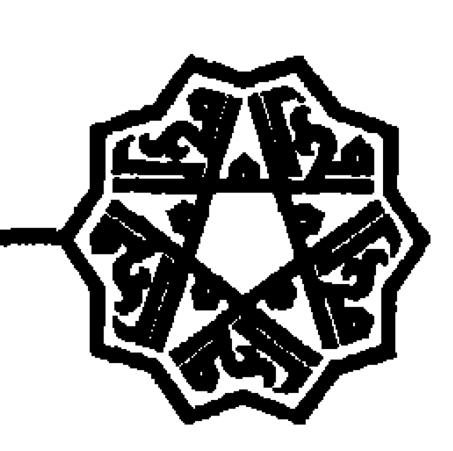
نظرت إلى مبنى هيئة الأمم المتحدة فى نيويورك ثم شعرت بأنه ليس لله نصيب فيه . إن الدول الكبرى المشرفة عليه لا ترجو لله وقارًا ولا تثبت له حقًا! وأول وليد شرعى للهيئة الموقرة هو دولة إسرائيل!

أما العرب ورسالتهم ففى مهب الرياح ، ولقد تساءلت هل يعلم العرب أن لهم رسالة خاتمة ووحيًا مهيمنًا وعلاقة قائمة بالله العلى الكبير؟

يبدو أن العرب نسوا أو تناسوا أنهم منفعلون لا فاعلون ومنساقون لا سائقون .

* * *

(١) المائدة : ٦٨ .



كلما عاهدوا عهدا ...

كان اليهود قد وعدوا فى اتفاقهم الأخير مع عرفات أن يطلقوا سراح السجينات الأسرى ، ولكن رئيس الحكومة رفض الوفاء بهذا العهد ، وظلت السجينات فى السجون إلى الآن!

إن الوفاء يُعتصر اعتصاراً من القوم ؛ لأنه ليس من خلائقهم وتذكرت الآية الكريمة : ﴿ أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾[1] .

شعرت كأن الآية نزلت اليوم ، والواقع أن نكث اليهود بالعهود غريزة فيهم ، إنهم لايخافون إلا العصا حتى قال الله فيهم : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ ﴾[2] .

وقد تتبعت الخصال التى لام الله عليها أهل الكتاب من مئات السنين فوجدتها لا تزال فيهم إلى اليوم!

إن هيئة الأمم اقتلعت العرب من أرضهم بالسيف . وأسكنت يهود القارات الخمس فى مدنهم وقراهم فهل كان اليهود المقيمون بين ظهرانى العرب يحسون ضيقا أو يجدون حرجا؟

كلا ، لقد هرب اليهود من وجه الزحف الصليبى على الأندلس واستقروا فى أقطار المغرب ومصر واليمن والعراق فما فكر أحد فى النيل منهم أو التضييق عليهم حتى قال التاريخ : لولا سماحة الإسلام وكرم العرب لباد اليهود فى الحرائق التى أشعلتها محاكم التفتيش!

ومن العجائب أن فى محافظة البحيرة بمصر ضريحًا لحاخام يهودى يقام حفل سنوى بميلاده يحجه القرويون كأنه من أولياء الله الصالحين! واسم هذا الحاخام « أبو حصيرة » .

(١) البقرة : ١٠٠ . (٢) الأنفال : ٥٥ ، ٥٦ .

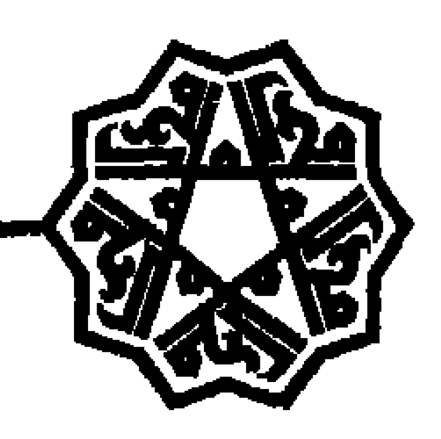
ولما كان عدد اليهود فى مصر يزيد على مائة ألف فإن « سعد زغلول » باشا عندما ألّف وزارة دستورية جعل أحد أعضائها من اليهود هو يوسف قطاوى باشا!! لقد تنوسى كل ما فعله العرب بل عوقبوا بالجرائم التى ارتكبها الألمان وسائر الأوروبيين خلال تاريخ طويل .

إن العرب الآن فى محنة نفسية وتاريخية لأن اليهود تذكروا فجأة أنهم موعودون بالأرض العربية من الفرات إلى النيل ، وأن هذا الوعد من دعائم التوراة ، ومن حقائق الدين!

والدين إذا كان يعنى اليهودية فلابد من احترام وعوده!

أما إذا كان يعنى الإسلام فإن تعطيل شرائعه مباح ، وتعذيب أتباعه مستباح ، وكما قيل : إذا أقبلت الدنيا على أحد أعارته محاسن غيره وإذا أدبرت عنه سلبته محاسن نفسه!! .

* * *



تنطع يهودى..

كنت فى « نيويورك » أتحدث مع بعض الدعاة فى شئون الدعوة فقال لى أحدهم إن حبرًا يهوديًا بارزًا اشتبك معه فى جدال حول الجزية وعاب أمر الإسلام بها!

فقلت له : بم رددت عليه؟

قال : شرحت له أنها تؤخذ من محاربين لكفّ عدوانهم ووقف فتنتهم وتصرف فى الدفاع عنهم إذا هوجموا وفى معونة الضعفاء والعجزة من رجالهم ونسائهم . .

قلت : حسنًا ووددت لو أنك أضفت إلى ما قلته ما يفعلونه بخصومهم إذا وقعوا فى أيديهم ، لقد زعموا أن موسى أمرهم بحرب إبادة لا تبقى طفلاً ولا شيخًا ولا امرأة ولا وليدة بل إن حرب الاستئصال تتسع دائرتها لتشمل البقر والغنم والحمير واقرأ سفر يشوع الذى أفنى بلدا بأسره وسفر التثنية الذى يقول : « **أما مدن الشعوب التى يهبها لكم الرب إلهكم فلا تستبقوا فيها نسمة حية ، بل دمروها عن بكرة أبيها . .** » .

هذا اليهودى يعيب نظام الجزية ويرى خيرا منه القتل العام ومحو المدن من الوجود وهو ما فعله بنو إسرائيل فى تاريخهم المشئوم . .!

إن اليهود أبوا إباء تامًا أن يعترفوا بالإسلام دينا : ﴿ **وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ** ﴾[1] .

وفضلوا ـ فى حديثهم مع قريش ـ عبادة الأصنام على عبادة الله الواحد!! وتمنوا لو يعود المسلمون إلى الوثنية : ﴿ **وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ . .** ﴾[2] .

فهل إذا هزمهم المسلمون فى معركة ، واستبقوا حياتهم وحافظوا على شعائرهم الدينية وأمّنوا لهم مصالحهم المدنية وفرضوا عليهم لقاء ذلك قروشًا معدودات كان ذلك جريمة إسلامية؟!

---

(١) البقرة : ١١١ . (٢) البقرة : ١٠٩ .

إن نصوص التوراة دعوة سافرة إلى الهلاك الشامل لسائر الأحياء .

أما نحن فقد قيل لنا « **لا تغدروا ولا تغلوا ولاتمثلوا ولا تقتلوا الولدان ولا أصحاب الصوامع** » بل إن نبينا قبل موته وبعدما خضعت له أطراف الجزيرة العربية ذهب يشترى متاعًا من يهودى بالمدينة بثمن آجل ، فأبى اليهودى بكل ثقة وطمأنينة إلا أن يأخذ رهنًا ، فقال الرسول للرجل إنى أمين فى الأرض والسماء ، ومادمت تريد رهنًا فهذه درعى رهنًا!

لو كان فى بلد آخر لقطعت رقبته وصودر ماله ولكنه فى أرض الإسلام الذى نسيت فضائله وجحدت شمائله .

* * *

رؤية جديدة بالملاحظة

جاء فى السنة : « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم ، ومقربة لكم إلى ربكم ، ومكفرة للسيئات ، ومنهاة عن الإثم ، ومطردة للداء عن الجسد » ! وقيام جزء من الليل مستحب طول العام ، وهو سُنَّة مؤكدة خلال شهر رمضان .

وقد لوحظ أن لبعض الناس قدرة على السهر ونشاطا لايستنفده سعى النهار تبقى منه فضلة يمكن بها إحياء الليل بمزيد من طاعة الله وتلاوة كتابه . .

فلتكن الليلة بيضاء بالذكر والشكر ، والتدبر والتهجد . .

وقد سألنى بعض الناس هل صحيح أن الرجل يرشّ الماء على وجه امرأته لتصحو ، وأن المرأة ترش الماء على وجه زوجها ليستيقظ ، ليتعاونا على قيام الليل؟

وقد أجبت بأن ما ورد من ذلك فى السُّنَّة ليس بين كل زوجين ولا فى كل الحالات!

إنه فى زوجين ينافس أحدهما الآخر فى طاعة الله ، وقد يعاتب أحدهما صاحبه إذا تركه نائمًا وكذلك ليس فى كل الأحوال فقد يكون الرجل حمَّال مسئوليات ثقيلة فى أثناء النهار أو يبذل جهودًا فوق الطاقة ومن الخير أن يستجمّ بالليل ليستطيع العمل بالنهار ، وقد عذر الله هؤلاء بقوله :﴿ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾[1] .

فإذا كان المسلم سليمًا مستريحًا فالأشرف له أن يقوم من الليل ، وأن يضىء الظلام بالتسبيح والتحميد والتلاوة ، وجميل أن تشاركه فى هذا امرأته!! ولابن الرومى أبيات رائعة فى وصف هذه السويعات الغالية قال :

(١) المزمل : ٢٠ .

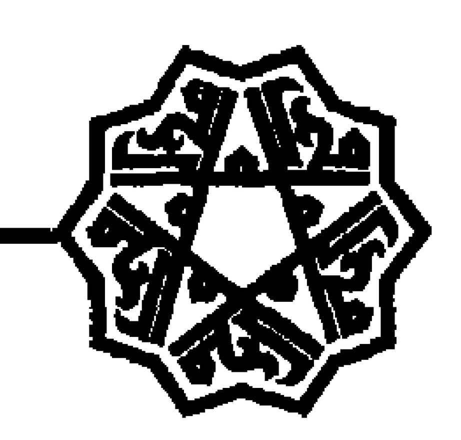
تَتَجافى جُنوبهم ... عن وطىء المضاجع
تركوا لذة الكرى ... للعيون الهواجعَ
لو تراهم إذا همو ... خطروا بالأصابعَ
وإذا هم تأوّلوا ... عند مرّ القوارعَ
وإذا باشروا الثرى ... بالخدود الضوارعَ
ودَعَوْا يا مليكنا ... يا جميل الصنائع
اغْف عنا ذنوبنا ... للعيون الدوامعَ
فأجيبوا إجابة ... لم تقع فى المسامعَ
ليس ما تفعلونه ... أوليائى بضائعَ
وهبوا لى نفوسكم ... إنها فى ودائعى

نعم ، وهى فى ودائع الذى قال عن هؤلاء المتهجِّدين الشرفاء :

﴿ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[1] .

* * *

(١) السجدة : ١٧ .



من معالم العدل ..

تمتاز حضارة الغرب بامتلاك أجهزة إدارية حسنة الأداء غزيرة الإنتاج ، ويرجع ذلك إلى جملة من الأخلاق الرفيعة والنزاهة المعجبة فى اختيار العاملين فى الميادين العسكرية والمدنية على سواء ، وقد تابعت اختيار وزير الحرب الجديد فى أمريكا وبهرتنى الطبيعة التى أملتْ هذا الاختيار ، وودت لو أننا فى العالم الإسلامى نحسن الاستفادة والاعتبار!

يقول وزير الدفاع الجديد : إنه لم يسع إلى هذا المنصب ، بل لم يكن يريده! وإنما قبله عندما أسند له قياما بالواجب المفروض لخدمة بلاده ، وقال الوزير الذى اختاره رئيس أمريكا الجديد : إنه فى انتخابات الرياسة أعطى صوته لمنافس الرئيس الذى لم ينجح!! أى أنه ليس تابعا للرجل الذى اختاره ، وهى كلمة واسعة الدلالة ، فهى تشير إلى أن رئيس الولايات المتحدة يبحث عن الأكفاء ولو كانوا من خصومة ، مقدِّما للمنصب أحقّ الناس به ، وهى فى الوقت نفسه تشير إلى أن ولاء الوزير المختار لوطنه أولا وآخرا . .!

لقد طالعت هذه الصورة الوضيئة لملء المناصب وتذكرت سلفنا الأول وقواعد الأخلاق التى كانوا يتبعونها . .

إن ولاية الأمور لاتساق إلى من يسعى إليها أو يحرص عليها ، فإن طالب الولاية يغلب أنه يطلبها حبا للعلو فى الأرض والصدارة بين الناس ، فعن عوف بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « **إن شئتم أنبأتكم عن الإمارة وما هى . فناديت بأعلى صوتى وما هى يا رسول الله ؟ قال : أولها ملامة وثانيها ندامة وثالثها عذاب يوم القيامة إلا من عدل ، وكيف يعدل مع قريبه؟** » .

قال عمر بن الخطاب لأحد الناس : والله لا أحبك ـ وكان قد أصاب أخًا له فى الجاهلية ـ فقال له الرجل : أمانعى ذلك حقِّى يا أمير المؤمنين؟

فقال عمر : لا . . فقال الرجل : لا بأس إنما يأسى على الحب النساء!!

إن الأعرابى يهتم بالعدل ولا يعنيه من « عمر » أن يكون محبًا أو كارهًا له!

فى الجوّ الإدارى النظيف يُبحث الموضوع بتجرد ، ويقول كل مشارك ما يمليه ضميره ، لا مكان لملَق ، ولا موضع لاسترضاء كبير أو صغير!

البحث عن المصلحة العامة وحدها ، والغاية إرضاء الله وحده . .

وفى الحديث « **من التمس رضا الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس . ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس** » .

إن العالم الإسلامىّ فقير إلى جوّ إدارى نقىّ لا تغيم آفاقه بالشهوات والمآرب ولا تعكره عواصف الغرض والمرض!

هل ذلك صعب؟ إنه توفر فى بلاد أخرى تشبه سيرتهم سيرة آبائنا الكبار! نستطيع إن أردنا الانتفاع بتراثنا أو الاقتباس من المعاصرين خصومًا كانوا أو أصدقاء . .

* * *

رسل الموت إلى الوادى..

رضيت كل الرضا عندما رأيت الطائرات المصرية تبيد أشجار الأفيون والحشيش التى زرعها بعض البدو فى سيناء وعجبت لقوم يزرعون الخبيث ويتركون الطيب! لماذا لم يغرسوا قمحًا أو شعيرًا؟ لماذا لم يغرسوا فواكه أو نخيلاً؟ إن سيناء من أقطار البحر المتوسط التى تجود فيها زراعة الزيتون فلماذا ماتت هذه الزراعة مع أن القرآن ذكرها منسوبة إلى منابتها ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلآكِلِينَ﴾ (١) .

إن الأجيال تتغير وإن الأراضى كذلك تتغير والذى يرى سيناء الآن يعجب للصفرة والوحشة اللتين تكسوان سطحها وآكامها . .

وذكرياتى فى سيناء بئيسة فقد اعتقلت فى الطور نحو عام ورأيت بدوها لا يكادون يفقهون قولا وشعرت بأن الحكام فى القاهرة قد جعلوا ترابها المبارك منفى لمن ينقمون منه!

قلت لنفسى وأنا فى الطور : هنا هبطت نعمة النبوة على موسى ، سمع النداء المقدس : ﴿إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾(٢) .

لقد أمسى راعى الغنم قائد شعب كبير ، ولقد حمل الوحى وذهب إلى فرعون يقول له بأدب رقيق : ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ * وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ (٣) .

لكن فرعون زهد فى هذه الهداية ، إنه يريد أن يعبده الناس لا أن يعبد هو الله!

وحرّر موسى قومه من عبودية قاسية ولكن محرر العبيد لم يكن يدرى أن قومه يحملون للعالم أشد الضغائن ، وأن قلوبهم قُدَّتْ من الحجارة ، إنهم الآن يمنعون «الصليب الأحمر» من تقديم الطعام إلى ثلاثة آلاف عربى جائع فى الخليل ، فرضوا عليهم منع التجوال فهم محبوسون فى بيوتهم ليهلكوا من المسغبة!!

(١) المؤمنون : ٢٠ .   (٢) طه : ١٢ ، ١٣ .   (٣) النازعات : ١٨ ، ١٩ .

والمعركة اليوم محتدمة بين المستكبرين الذين يرون أنفسهم أتباع موسى وبين المستضعفين الذين يُحْسَبون أتباع محمد!!

وهم لا يربطهم برسالة محمد سبب قائم . .

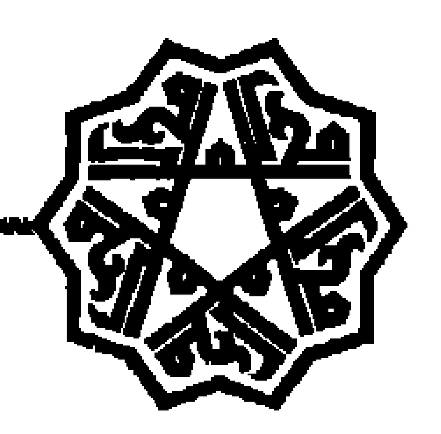
وشرعت أفكر فى أمتنا وفى أوضاعنا . . .

وعدت إلى زراع المخدرات فى سيناء ، إنهم لو حصدوا ما غرسوا لأرسلوا الموت إلى الوادى وقتلوا بسمومهم ألوف الأسر ، ولكن الله سلّم . .

بيد أن هناك فى ميدان الأدب والفكر أشخاصًا آخرين يكرهون الوحى ويخاصمون تراث محمد كلّه ويبذرون فى الحياة بذور الكفران بالله والدار الآخرة إن هؤلاء أضرى على الحياة العامة من ناشرى المخدرات ، ليس من الإبداع أن تحارب الصلاة والتقوى! وأن تحتفى بالشهوات والأهواء وأن تمنع عودة المؤمنين إلى كتاب ربهم وسُنَّة نبيهم .

إن هذا تمهيد لجاهلية حديثة ينشدها الاستعمار .

* * *



حياة عرجاء ..

إذا كانت للكرسىّ أو المنضدة أربع أرجل فانكسرت اثنتان أو ثلاث فلن يقوم الكرسى ولن يستقر عليه جالس، ولن تقوم المنضدة ولن يكتب عليها أحد!! .

وإذا كان الجسم الإنسانى يحتاج فى تغذيته إلى بضعة عناصر فإنه يعتل ويعجز إذا فقد جملة منها، وتسارع العلل إليه بقدر ما فقد من عناصر! .

ونحن نعرف أن الإيمان فوق السبعين شعبة، تتصل بالحياة العامة والخاصة وتمدّ رواقه إلى شئون النفس والمجتمع والدولة، فما عسى أن يفعل إيمان فقد أكثرَ شُعَبِه وبقى شبحًا متهالكًا إذا قام منه جانب مال جانب آخر؟

جاء فى الحديث أن المسلمين كالجسد الواحد إذا اشتكى بعضه اشتكى كله، فهل تسمع شكاة إذا الجسم مسّه الشلل؟

أعرف رجلاً أصيب بمرض ضاق به فذهب إلى الطبيب فقال له إن جسمك بحاجة إلى « فيتامين » كذا!! ولابد منه .

فقلت فى نفسى : كم من أسباب الحياة والقوة تحتاج إليها أمتنا لتعود إلى الحياة وتستأنف رسالتها؟

إن عشرات من شُعَب الإيمان غائبة فى حياتنا ومن ثم فنحن نمشى نترنح . .!!

لقد أصلح اليهود شأنهم ثم هجموا علينا مجتمعين فلم تغن عنا فرقتنا ولا تهاوننا، قلت لرجل قريب منى : هل قرأت مذكرات « وايزمان »؟ .

قال : لا !

قلت : أذكر منها أن الرجل أحاط به قومه يثنون عليه ويشيدون به لأنه استصدر وعد « بالفور » بجعل فلسطين وطنا قوميا لبنى إسرائيل، فبماذا أجاب الرجل؟ .

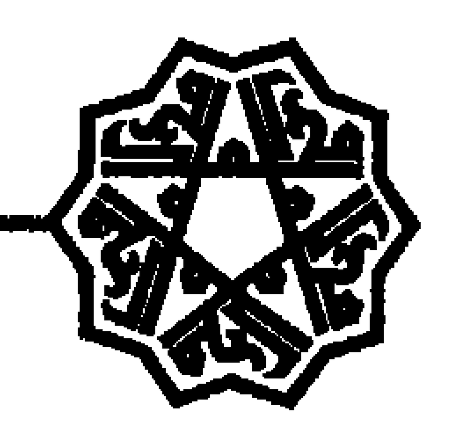
قال : إننى لم أصنع شيئًا كل ما حدث أن « بالفور » كان مسيحيا تقيا يؤمن بالكتاب المقدس فتصرّف وفق إيماءات الكتاب الذى يؤمن به، أما أنا فلم أفعل شيئًا!!

انظر إلى « نكران الذات » فى سيرة هذا الزعيم الصهيونى . .

وانظر إلى ما يقابلها من « عبادة الذات » عند كثير من رجالنا ، إن اليهود يبنون دولتهم بالإيمان اليهودى فأين إيماننا بديننا؟ وأين ابتغاؤنا لوجه الله فيما نفعل ونترك . .؟؟ .

إن سلفنا الأول من رجال ونساء بنوا دولة الإسلام الكبرى بالإخلاص والتجرد والتضحية ، ولن تبقى هذه الدولة أو قل لن تعود إلا بهذه الأخلاق نفسها هل نبدأ من اليوم محاصرة الأماكن المعطوبة وبدء خطوات النجاة؟

* * *



من تلبيس إبليس

قد يكون إبليس أقوى بدنًا من آدم ولكنه لم يدخل مع آدم فى حلبة ملاكمة يصرعه فيها وإنما لجأ إلى سلاح الخديعة والإغواء ، وانتهز فرصة غفلة من آدم ، فأخرجه من الجنة .

وهكذا تفعل ذرية إبليس إنها لا تقاتل أبناء آدم بسلاح مادى وإنما تعتمد على الإغراء والاستغفال فى دفع الناس إلى الرذيلة والعصيان!

قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ ... ﴾(1) .

فالبشر يلتذُّون بالمعصية والجن يلتذّون بإيقاع الناس فيها وتزيينها لهم!

ولم يقع أن الشياطين استخدمت سلطة قاهرة لإلزام سكير بشرب الخمر ، أو إلزام ماجن باقتراف جريمة ، وسيقول الجن المرَدَة هذا الكلام للناس يوم الحساب :

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي .. ﴾(2) .

ولو كان الجان يملك أن يَحْتَلَّ جسم إنسان فكيف يزعم أنه لا سلطان له وهو قادر على سحق لبِّه وقَلبه؟

ولا أنكر أن هناك أديانا أخرى تدعى احتلال الجن للإنس وتسخيرهم وإضرارهم ، فقد ذكر « متى » « أن عفريتا دخل جسم إنسان وآذاه فجيء به إلى يسوع فانتهره يسوع فخرج منه الشيطان ، وشفى فى تلك الساعة ، فدنا التلاميذ من يسوع وقالوا له فيما بينهم لماذا لم نستطع نحن أن نطرده؟

(1) الأنعام : ١٢٨ .
(2) إبراهيم : ٢٢ .

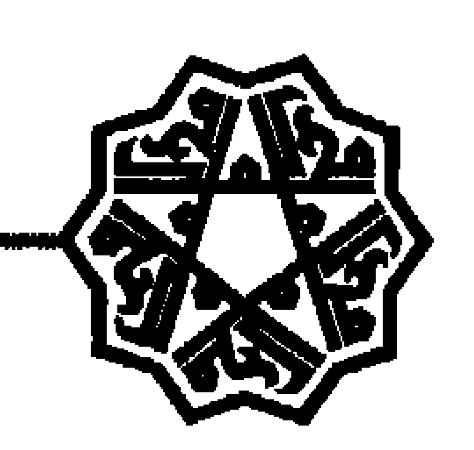
فقال لهم : لقلة إيمانكم . الحق أقول لكم : إن كان لكم من الإيمان قدر حبة خردل قلتم لهذا الجبل انتقل من هنا إلى هناك ينتقل وما أعجزكم شيء ، وهذا الجنس من الشيطان لا يخرج إلا بالصلاة والصوم . . » .

ولمتى أن يقول ما يشاء ولمن شاء من النصارى أن يتبعه وليس لأحد أن يلزمنا أن نسير وراء هذا الكلام ، بل إن فقهاءنا رأوا من باب سدّ الذرائع إغلاق هذا الباب .

فقد تزعم امرأة لعوب أنها متزوجة من القاضى « شمهورش » وأنه هو الذى فضّ بكارتها لا عشيق آخر من الناس!! وبذلك تنتشر الفاحشة دون نكير!!

إن نفرًا من القراء فى الكتب الدينية فقدوا القدرة على الميْز بين المعروف والمنكر انتشروا بيننا الآن يتحدثون عن احتلال الجن للإنس ، وقد تحوّلوا إلى جسور لنقل الأوهام والخرافات ، ولا ندرى هل يستعينون بكهنة أديان أخرى ، أم يعتمدون على أوهامهم الخاصة ، ونحن نحذر الجماهير من هذا الهزل ونحضهم على حفظ دينهم .

* * *



رسالة بقلم الشيخ الغزالى ..[1]

الإخوة الملتقون لدراسة قضايا الإسلام وأحزانه ، كان لزامًا علىّ أن أكون معكم ، ولكن السنّ والمرض أقعدانى . فأنا فى التاسعة والسبعين ، وفى جسمى جملة أمراض تجعلنى أردّد مع زكريا عليه السلام : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾[2] .

والحق أنى لا أعيش فى هذا القرن إنى أعيش كأن التتار دخلوا اليوم بغداد ، أو أن الصليبيين دخلوا بيت المقدس!

إننى أعيش داخل الهزائم الكبرى التى بلى الإسلام بها قديمًا وحديثًا ، وأشعر باستماتة المدافعين واستكانة اللاجئين وأطماع الذين يريدون طىّ أعلام التوحيد وجهود الذين صمدوا فى أرضهم فما وهنوا وما استكانوا وما ضعفوا ولا خانوا . . .

إننى أيها الإخوة لم أُفاجأْ بالضغائن التى تقابل الإسلام لأنى أدرك قوله تعالى :

﴿ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾[3] .

فلنثبت حتى يأتى أمر الله ولن يخلف الله وعده لعباده الصالحين ، ومما يزيدنا أملاً فى النصر أن شعب البوسنة وحكومته صف واحد يواجه أعداء الله بعزم وبأس . . وهى ميزة فى الكفاح البوسنى تجعله أرضى لله وأقرب إلى الفلاح . . .

ومازلنا نؤمل الخير فى العالم الإسلامى الذى تتعرض شعوبه لمؤامرات خسيسة لاسيما فى الشيشان وفلسطين وكشمير والفلبين وغيرها .

أيها الإخوان : إننى أدعو الله لكم أن يسدد الخطا ويتقبل الجهود واعتقادى أن فجرًا قريبًا سوف يطلع على المجاهدين يقر عيونهم :

﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[4] .

---

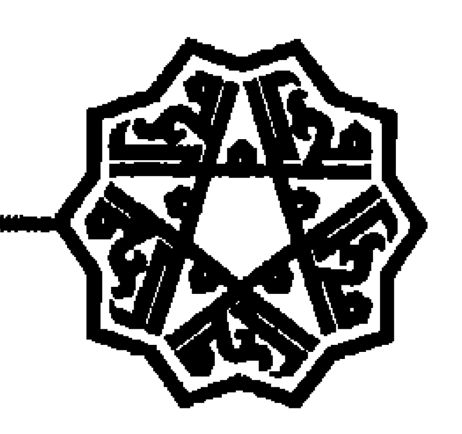
(١) بعث الشيخ الغزالى بهذه الرسالة لإخوانه المجتمعين لبحث قضايا المسلمين . فأردنا درجها فيما كتب تعميمًا للفائدة . ثم اتصل بهم تليفونيًا فيما بعد وتبادلوا معه المقترحات ولما استعسر الأمر سافر بنفسه وهو عليل .

«المحقق»

(٢) مريم : ٤ .

(٣) البقرة : ٢١٧ .

(٤) يوسف : ٢١ .



آخر ما خط قلم قلب الشيخ الغزالى ..

الحاجة إلى رسالة محمد لا تزال باقية، فإن الضلال القديم لم تنحسر شروره بل اتسعت
في هذا العصر دائرته وتكاثفت ظلمته، الوثنيون اشتد ساعدهم وأهل الكتاب
ازدادت المسافة بينهم وبين ما لديهم من صحائف بل أهملوها كل الإهمال ..!
ليس التدين علاقة موصولة بالله، فلا قيمة للتدين إذا لم يمنع الإسفاف
ويدفع إلى التسامي ويقمع غرائز الاستعلاء وقهر الضعفاء .. إن الحكمة
من رسالة محمد عليه الصلاة والسلام تزداد وضوحاً في عصرنا هذا الذي
تألق فيه الذكاء البشري ولكنه وقع تحت سلطة الهوى الجامح وتربع
فيه أهل الكتاب على قمة القوة ولكنهم خاصموا موسى وعيسى ومحمداً وأهالوا
التراب على تعاليمهم جميعاً لقد قال الله لنبيه الخاتم شارحاً حكمة إرساله
«تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فزين لهم الشيطان أعمالهم فهو وليهم
اليوم ولهم عذاب أليم، وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا
فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون» إن أقطار الغرب نسيت الله واليوم
الآخر وكرست العمر كله لإضاعة الصلاة واتباع الشهوات، وقد قرأت
بغضب تصريحاً لزوجة "ميتران" الرئيس الفرنسي السابق وأدركت بعد الشقة بين
القوم وبين تعاليم السماء! قيل لها أكان لك ابن غير شرعي من ميتران قبل
أن تتزوجيه فقالت للسائل إن عملك من هذا البحث فربما كشف عن خمسة
وعشرين ألف حالة من هذا القبيل! ما هذا البلاء؟ هل خمد الوازع
الديني فلم تعد له حركة؟ هل أظلمت الآفاق فلم نر بها أثارة من تقوى؟
يبدو أن الدين الذي يحارب الخنا لا يزال بين جوانحنا نحن! ومع ذلك
فإن الغرب -الراقي جداً- عقد عدة مؤتمرات ليجعلنا نرضى بالعلاقات
الوضيعة - فطلب منا في القاهرة وبكين أن نرضى بالزواج بين رجلين!
وبين امرأتين! وبين رجل وامرأة بغير عقد! فمن من أنبياء الله قبل
هذا الفحش الخسيس أو سكت عنه؟ إننا نحن المسلمين المتقيدين بتراث
محمد نناشد الإنسانية أن تتدبر هذا التراث بدل أن تنهزم وتحاربه
محمد الغزالي

فهـــرس

رقم الصفحة

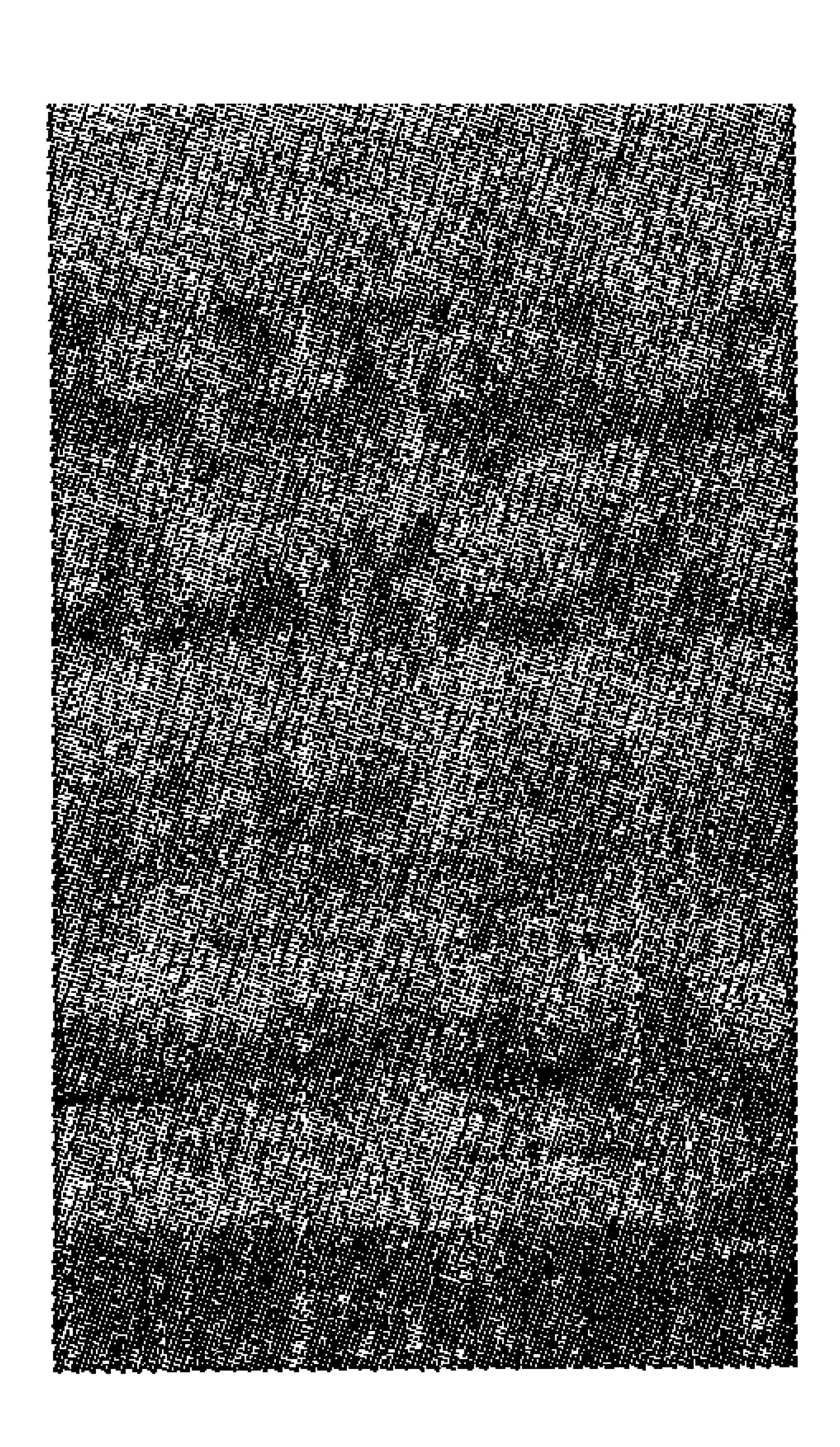
رقم الصفحة

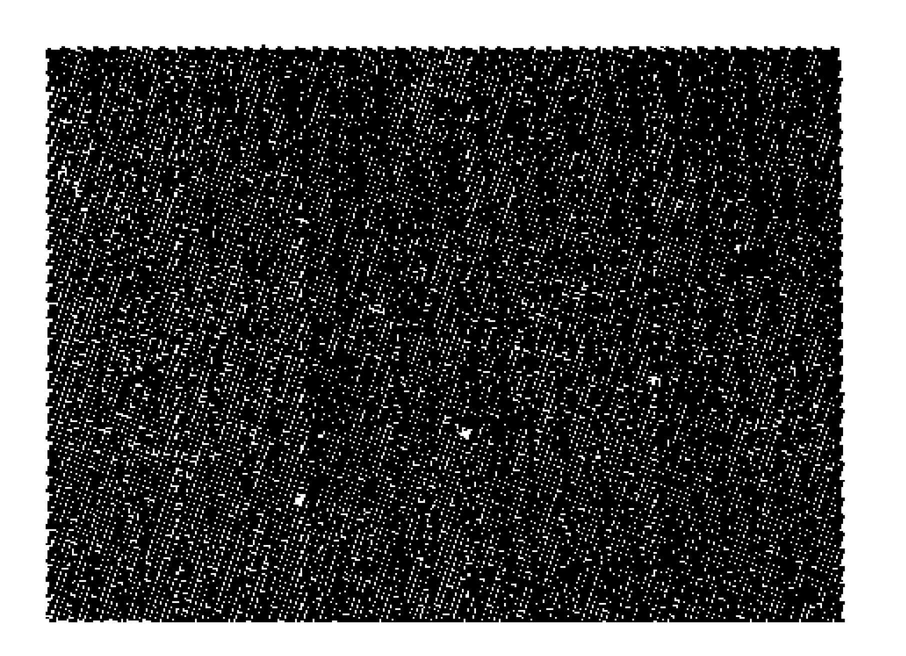
رقم الصفحة

مؤلفات فضيلة الشيخ

محمد الغزالي

١- هموم داعية.
٢- جدد حياتك.
٣- مشكلات فى طريق الحياة الإسلامية.
٤- سر تأخر العرب والمسلمين.
٥- دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين.
٦- مع الله.. دراسة فى الدعوة والدعاة.
٧- الإسلام والمناهج الاشتراكية.
٨- من هنا نعلم.
٩- الإسلام والأوضاع الاقتصادية.
١٠- نظرات فى القرآن.
١١- الحق المر.. «ستة أجزاء» من ١١-١٦.
١٧- الإسلام المفترى عليه.
١٨- معركة المصحف فى العالم الإسلامى.
١٩- خلق المسلم.
٢٠- الإسلام والاستبداد السياسى.
٢١- الاستعمار أحقاد وأطماع.
٢٢- فى موكب الدعوة.
٢٣- ظلام من الغرب.
٢٤- التعصب والتسامح.
٢٥- من معالم الحق.
٢٦- حقيقة القومية العربية.
٢٧- الإسلام والطاقات المعطلة.
٢٨- كيف نتعامل مع القرآن؟
٢٩- كنوز من السنة.
٣٠- الفساد السياسى فى المجتمعات العربية والإسلامية.
٣١- كفاح دين.
٣٢- جهاد الدعوة بين عجز الداخل وكيد الخارج.
٣٣- تأملات فى الدين والحياة.
٣٤- الإسلام فى وجه الزحف الأحمر.
٣٥- صيحة تحذير من دعاة التنصير.
٣٦- مقالات (أربعة أجزاء) من ٣٦-٣٩.
٤٠- حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة.
٤١- الجانب العاطفى من الإسلام.
٤٢- عقيدة المسلم.
٤٣- كيف نفهم الإسلام؟
٤٤- مائة سؤال عن الإسلام.





الجـــرعات الأخـــيرة

من الحـــق المـــر (الجزء السادس)

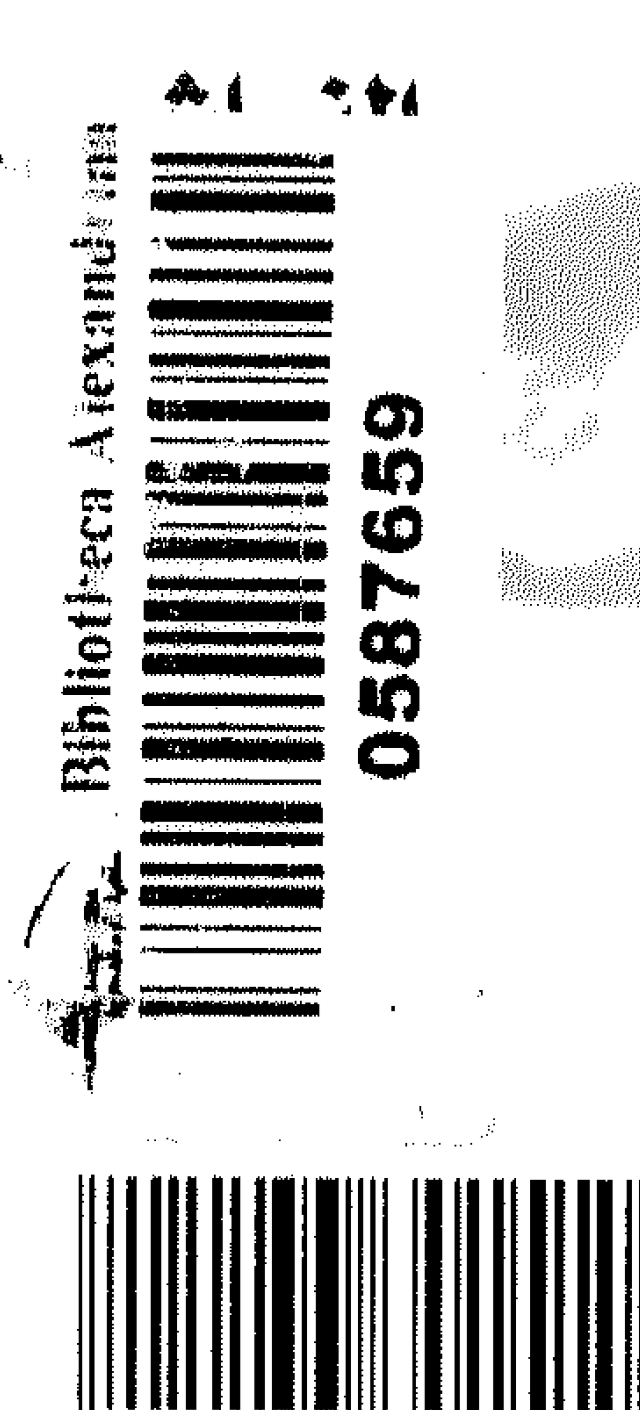
هذا الكتاب يحتوى على آخر ما خطّ قلم قلب الشيخ الغزالى النابض باليقين. فقد حرص الشيخ - رحمه الله - أن يدوّن يوميًا خواطره، وآلامه من فجائع تصيب المسلمين تترى.. ربما استيقظ فى سحر الليل ليكتب ويبين ويرشد ويصحح.. تقلقه مآسى العالم الإسلامى، ويقشعر جسده من المذابح التى يتعرض لها المسلمون فى شتى البقاع..

أخفى عليه أحباؤه يومًا صورة فى أحد الجرائد اليومية ليهودى يمزق مصحفًا كيدًا وغلاً .. واكتشف الأمر مصادفة فغضب منهم وأصابه المرض.. وأدمعت عيناه..

لقد حرص أن يستخدم روحه وجهده حتى الرمق الأخير فى حياته المجاهدة، يرد الكيد عن الإسلام، ويجلى الأفهام المغلقة، وينصف مظلومًا تكالبت عليه الشرور والآثام البشرية.

وسافر فى رحلته الأخيرة ليبلّغ آخر حرف من كلمة فى جملة يدعو بها للإسلام، وبينما هو قائم يبلغ كلمة الله فاضت روحه الطاهرة ولقى الله مبلغًا لدينه.

والجزء الأخير من جرعات الحق المر يحتوى على ما كتب الإمام الكبير بخط يده صبيحة يوم الوفاة.. فإلى المسلمين قاطبة.. نهدى هذا الكتاب.





نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

6 221133 301510